جامعة أحمد دراية –أدرار–

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية

قسم العلوم الإنسانية

التشكيلات العسكرية الأهلية في الجزائر خلال العهد العثماني (1518م–1830م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في: التاريخ

تخصص: التاريخ الاجتماعي والثقافي المغاربي عبر العصور

إعداد الطالبة: عائشة التمالي

تحت إشراف: د/ محفوظ رموم

أعضاء لجنة المناقشة:

الإسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة
أ.د. الطاهر ذراع	أستاذ	عضواً رئيساً	جامعة ادرار
د. محفوظ رموم	أستاذ محاضر	مشرفاً ومقرراً	جامعة ادرار
أ.د. محمد الصالح حوتية	أستاذ	عضواً مناقشاً	جامعة ادرار
د. أحمد الحمدي	أستاذ محاضر	عضواً مناقشاً	جامعة ادرار

السنة الجامعية: 1435هـ–1436هـ/2015م– 2016م.

الإهداء

إلى روح والدي تغمده الله برحمته.

إلى من تملك قلباً برحمته رعاني، وجه

تبسم إذ رآني، نبع جميل قد سقاني، يشع

من فيض الحنان، أمي الغالية العزيزة أطال

الله في عمرها.

وإلى كل عائلتي وعائلة زوجي .

وإلى كل الأصدقاء والأحباب والزملاء.

عائشة

شكر وتقدير

أشكر الله عز وجلَّ شكراً لا أوفي نعمته عليَّ، وأحمده حمداً كثيراً على أن أنعم عليّ بإتمام هذا العمل، وأسأله تعالى التوفيق في الدنيا والآخرة.

ثم أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساهم في إخراج هذا العمل إلى النور. وعلى رأسهم الأستاذ المشرف. الدكتور محفوظ رموم الذي لم يبخل علىَّ بتوجيهاته.

وأوجه خالص شكري للأستاذ الدكتور رمضان بورغدة ، الذي وافق على أن يشرف على عملي بداية. والدكتور حمادي بن موسى كمشرف مساعد. والذي كان معي من نقطة البداية في موضوع بحثي إلى أن رأى النور.

كما أتقدم بالشكر الخالص إلى زوجي العزيز بوجمعة قطبي، الذي رافقني وشجعني وكان خير معين لي في أصعب فترات مراحل البحث.

كما أشكر كل من ساعدني من قريب ومن بعيد.

عائشة

بسم الله الرحمن الرحيم

قائمة المختصرات:

المختصرات باللغة العربية:

د.ت: دون تاريخ.

د.ط: دون طبعة.

ش.و.ن.ت: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

ت.ع: تعريب.

ت.ق: تقديم.

م.م.و.ج: منشورات المتحف الوطني للمجاهد.

م.و.ف.م: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.

م.و.ك: المؤسسة الوطنية للكتاب.

المختصرات باللغة الأجنبية:

A.E.S.C: Annales, Economies, Sociétés, Civilisations.

ANEP: Agence Nationale de Communication d'Edition et de Publicité.

R.A: Revue Africaine.

مقدمة

إرتبطت الجزائر إسميا بالدولة العثمانية منذ سنة 1518م، وهي السنة التي أصبحت فيها الجزائر أول أيالة عثمانية في شمال إفريقيا بعدما أُلحقت بأسطنبول وعُيِّن خير الدين بربروس كأول حاكم عثماني للجزائر، ومكافأة هذا الأخير بإرسال 2000 إنكشاري لتدعيم وجوده بالمنطقة ، فكانت هذه البعثة النواة الأولى للجيش الإنكشاري الذي لم تعرف الجزائر مثل هذا النوع من الجيوش في العهود السابقة بحكم أن قانونه لا يسمح للأهالي بالانخراط فيه ولا بمشاركتهم في شؤون الحكم .

تطور هذا الجيش تدريجيا خلال فترات الحكم التركي بالجزائر وأصبح القوة السياسية والعسكرية الأولى داخل البلاد، خاصة في العقود الأولى من الحكم، وذلك لما تميزت به عناصره من الأخلاق والشجاعة والأمانة وطرق التجنيد الصارمة من الأناضول، ليتراجع بعد ذالك شيئا فشيئا بسبب العناصر ذاتها المكونة له .

أدت القوة العسكرية العثمانية في الجزائر ، على المستوى الخارجي وحتى الداخلي إلى تحول أفراد المجموعة العسكرية بشكل تدريجي إلى وضع شبه إقطاعي في الداخل ، واستنادا للشرعية الممنوحة لها ، بدأت تدعم نفوذها بسبب بعض الفئات الإجتماعية لمواجهة قوة بعض القبائل التي لا تعترف بالولاء للسلطة التركية، ولا تدفع الضرائب إلا بعد الدخول في صراع مع السلطة، حيث عملت هذه الأخيرة على استمالة بعض القبائل وكلفتها بمهمة جمع الضرائب ، وأصبحت هذه القبائل تحمل أسماء عديدة حسب طبيعة علاقتها بالـــــسلطة العثمانية ، فكانت أهمها القبائل المخزنية التي لعبت دور الشرطي بالإضافة الى قبائل الأحلاف والرعية وفرق الزواوة.

تطورت هذه القبائل تدريجيا ليصبح لكل منها فرق عسكرية تساعد السلطة في جمع الضرائب وحفظ الأمن في المناطق الريفية ، بل أصبحت هذه الفرق مع مرور الوقت ذات أهمية كبيرة بالنسبة للأتراك في الجزائر، خاصة ان مناطق ارتكازها كانت في البوادي البعيدة والتي تصعب مراقبتها والسيطرة عليها، كما ساهم في ازديادها ضعف الجيش الإنكشاري في الفترة الأخير من الحكم التركي بالجزائر أي في أواخر القرن 18م الى بدايات القرن 19 م.

لقد أصبح لكل قبيلة من هذه القبائل امتيازات حظيت بها مقابل الخدمات التي قدمتها للسلطة التركية في الجزائر، ففتحت لها هذه الامتيازات الطريق للقيام بأدوار مختلفة في ميادين عديدة منها الميدان العسكري وحتى السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

ومن هنا جاء بحثنا الموسوم ب" التشكيلات العسكرية الأهلية في الجزائر خلال العهد العثماني"

أسباب اختيار الموضوع:

إن من بين الأسباب ولعلأهمها التي أدت بي لاختيار موضوع الدراسة نذكر مـــــــــايلي :

1-الرغبة في دراسة تاريخ الجزائر العسكري إبان العهد التركي بصورة عميقة ، الذي اذا ما أمعنت النظر فيه أدركت ان دراسته كانت قليلةومُركزة على الجيش الانكشاري

2-أن البحث في التاريخ العسكري، يعطيني صورة عن الجانب السياسي وحتى الاقتصادي والاجتماعي للجزائر إبان تلك الفترة.

3-قلة الدراسات المعمقة في هكذا مواضيع حسب اطلاعي، إذ أن هذه التشكيلات كانت عبارة عن فرق احتياطية تستدعى وقت الحاجة اليها من السلطة التركية الحاكمة في الجزائر ، مماجعل ذكرها يكون هامشياً في أغلب الأحيان .

4-دراسة التشكيلات الأهلية العسكرية بشكل معمق ومتخصص ، لمعرفة الأدوار والآثار الناتجة عنها ، سواءً أكانت إيجابية أم سلبية ، ومدى فعاليتها في المجتمع الجزائري في الفترة قيد الدراسة ،

5- الأهمية التي اكتستها هذه التشكيلات في المنظومة العسكرية والسياسيةوالاجتماعية والاقتصادية رغم انها كانت عبارة عن فرق محلية شكلها الأهالي ، ومن المعلوم انه إذا نظرنا للقانون العثماني فإن العنصر المحلي كان مستبعدا عن أجهزة الدولة بما في ذلك الجهاز العسكري .

6- طبيعة الموضوع الذي من خلال دراسته ، تتكشف لي جوانب مهمة من تاريخ الحكم التركي في الجزائر ، فالبحث فيه كفيل بإزالة الستار عن حقائق تتعلق بالمجتمع الجزائري، وماتعلق له من ضغوطات ضريبية وتهميش من قبل السلطة الحاكمة

7- الرغبة الملحة في معرفة نوع العلاقات الجزائرية التركية ، أي علاقة الأتراك بالأهالي وما مدى تطور هذه العلاقات في إطار المصالح السياسية المتبادلة.

إشكالية البحث:

أما إشكالية البحث فتكمن في معرفة نقطة جوهرية في موضوع التشكيلات العسكرية الأهلية في الجزائر خلال العهد التركي، ودراسة أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية وعلاقتها بالمجتمع الجزائري من جهة وبالدولة من جهة أخرى. لذلك ارتأيت طرح مجموعة من التساؤلات تماشياً مع طبيعة الموضوع قيد الدراسة:

1- ما هي أصول هذه التشكيلات- العسكرية أو شبه العسكرية- في المجتمع الأهلي؟

2- ما هي الظروف والأسباب التي ساهمت في ظهور هذه التشكيلات؟. وهل كانت امتداداً للتنظيمات العسكرية التي سبقت الوجود التركي بالجزائر؟. أم هي تشكيلات مستحدثة؟.

3- أيضاً لماذا ساهم الأتراك في خلق مثل هذه التنظيمات، وهم الذين كانوا يخافون تمرد العناصر المحلية عليهم؟.

4- ما هي أهم المجموعات التي تتكون منها كل تشكيلة؟. وكيف كان يتم التنسيق بين هذه الفرق والسلطة في المركز؟.

5- كيف كانت علاقة هذه التشكيلات مع بعضها ومع السلطة السياسية؟ وماهي أنواع الضرائب التي كانت مفروضة على الأهالي؟ وهل كان لها تأثير كبير على هذه العلاقة ؟ وفيما تمثل دور هذه التنظيمات أو التشكيلات في الجانب السياسي والإداري والاجتماعي والاقتصادي؟.

إطار البحث:

إن الإطار الزماني للبحث الذي يمتد بين 1518 م-1830م ، يعتبر مرحلة مميزة شهدت ظهور أول دولة جزائرية ، بحدودها الشرقية والغربية والشمالية تقريبا، على يد السلطة التركية التي بلغت في ذلك الوقت أقصى امتدادها، والتي سيطرت على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط مدة ثلاث قرون تقريبا، وبالتالي فإن البحث هو ضمن حدود جغرافية وسياسية محدودة تختلف عن سابقيها من العهود.

مناهج البحث :

اعتمدت في كتابة بحثي هذا على المنهج الوصفي التاريخي الضروري لسرد الأحداث والحقائق التاريخية وفق تسلسل زمني يراعي الأمكنة والشخصيات كما كانت في الماضي ، ووصف الأحداث والوقائع ونقلها كما وردت من خلال المصادر أو المراجع التي تحدثت عنها.

بينما لجأت إلى أداة المقارنة في كثير من المرات لعرض الآراء المختلفة للمؤرخين ومحاولة الخروج برأي توافقي، وكذا معرفة أوجه الشبه وأوجه الاختلاف والتداخل بين الوقائع التاريخية واختلاف أدوار الفرق العسكرية.

ويمكن القول بأن حركية الأحداث التاريخية تتطلب الوصف والتحليل والتعليل والمقارنة ، وهنا يكون التزاوج بين المناهج لتكون دراستي في مستوى الموضوع ، لأصل إلى نتائج دقيقة، عن طريقمحاولةبناء وإعادة تركيب تاريخنا في الفترة محل الدراسة.

خطة البحث :

حاولت الإجابة عن الأسئلة المطروحة في الإشكالية سلفا ، من خلال خطة اعتمدت فيها على أربعة فصول سبقتهم مقدمة وتلتهم خاتمة، للوصول إلى تقديم بحث متكاملا .

وأما فيما يخص الفصل الأول فقد عرضت فيهاالأوضاع العسكرية في الجزائر وأسباب تشكل التنظيمات الأهلية ، وعرجت فيه على الأوضاع العسكرية في عهد الزيانيين وبعد ظهور الأتراك، ويشتمل الفصل على ثلاثة مباحث :

فالمبحث الأول عالجت فيه الأوضاع العسكرية في الجزائر قبل ظهور الأتراك، خاصة الوضع العسكري من خلالدراسة أحوال الجيش في عهد الدولة الزيانية ومدى مساهمته في طرد الإسبان وحماية المدن إضافة إلى الأسباب التي أدت إلى تدهور حالة الجيش في تلك الفترة .

أما المبحث الثاني فكان عنالأوضاع العسكرية في الجزائر بعد الأتراك، وتعرضت فيه للتنظيمات التي ظهرت وهي الأسطول البحري الذي يقوده رياس البحر و الجيش البري الإنكشاري

في حين خصصت المبحث الثالث: لأسباب ظهور التنظيمات العسكرية الأهلية في الجزائر إبَّان العهد العثماني، من خلالالحديث عن الظروف والأسباب التي ساهمت في ظهور مثل هذه التشكيلات وبداية العلاقة مابين هذه التشكيلات والسلطة.

أما الفصل الثاني فدرست فيه : تشكيلة قبائل المخزن، إذ تطرقت فيه بإسهاب إلى هذه التشكيلة العسكرية الأهلية والمجموعات التي تتكون منها. وقد تضمن هذا الفصل ثلاثة مباحث:

المبحث الأول حولالتعريف بقبائل المخزن ، وذلك بالتطرق إلى أُصولها وخلفياتها، والقبائل والأعراش التي تتكون منها.والمبحث الثاني حولعلاقتها مع السلطة والمجتمع ، وقد تمحور موضوع هذا المبحث حول علاقة قبائل المخزن بسلطة البايلك والتي تمثلت بالأساس في مسألة الضرائب والمشاركة

في المحلات، والجانب الآخر من العلاقات أي علاقة هذه القبائل بالمجتمع الريفي ، وذلك بتمركز قبائل المخزن في المواقع الإستراتيجية التي كانت تقطنها القبائل الخارجة عن سيطرة الأتراك .

أماالمبحث الثالث فكان محتواه حولدور هذه القبائل في الميدان الإداري والعسكري والاقتصادي والتي ساهمت في ربط سكان الريف بالسلطة المركزية.

أما بالنسبة للفصل الثالث فخصصته لتنظيم فرقة الزواوة ، وهو بدوره حوى ثلاثة مباحث:

فالمبحث الأول للتعريفبفرقة الزواوة ، وذلك من خلال إبرازأصول التسمية وأهم الفرق المكونة لها والجغرافيا التي كانت تتمركز فيها.

والمبحث الثاني فكان عنعلاقتها مع السلطة، وتناولت فيه المهام التي كانت تجمع فرق الزواوة مع السلطة وكيف تشكلت هذه العلاقات،وحالة العلاقات الغير مستقرة بين الطرفين.

في حين كان المبحث الثالث حول هاته القبائل في مختلف المجالات، خاصة الميدان العسكري والاقتصادي.

وخصصتالفصل الرابع لدراسة : تشكيلات عسكرية أهلية أخرى، وقسم بدوره إلى ثلاثة مباحث ليتسنى لي دراسة بعض التشكيلات العسكرية التي كان لها أدوار مختلفة، فخصصتالمبحث الأول : للقبائل المتحالفة مع السلطة التركية (الأحلاف)، والتي كانت تعامل مع البايلك بواسطة مرابطيها فكان منوطاًبيأن أتطرق إلى أهم هذه المجموعات المتحالفة وأماكن ارتكازهاوتسليط الضوء على نوع العلاقة التي كانت تربطها مع السلطة والمكانة التي حظيت بها بسبب المهام الموكلة إليها.

وفي المبحث الثاني درستقبائل الرعية الخاضعة للسلطة، ولقبائل المخزن، وكذلك المجال الجغرافي الذي كانت تشغله، وأنواع الضرائب التي كانت تستخلص منها.

وفي المبحث الثالث درستالقبائل الممتنعة عن السلطة (القبائل العاصية أو المستقلة)،ومختلف المجموعات الممتنعة وأماكن تمركزهاونوع العلاقة التي كانت تربط هذه القبائل بالسلطة ومدى تأثيرها على استقرار البلاد.

أما فيما يتعلق بالخاتمة فقد جعلتها عُصارة بحثيوضمّنتها النتائج التي توصلت لها.وبقائمة لأهم المصادر والمراجع المعتمدة وبملاحق للأعلام والأماكن والمجموعات والقبائل وفهرس للموضوعات حتيسهل على القارئ الوصول إلى المواضيع التي يبحث عنها في المذكرة بصورة سهلة.

نقدمصادر ومراجع المذكرة:

أما عن المصادر والمراجع فقد حاولت التنويع في الكتب المعتمد عليها، منها مؤلفات بعض الرحالة الأجانب الذين زاروا الجزائر وعايشوا الأحداث في تلك الفترات منذ القرن السابع عشر وحتى القرن التاسع عشر ومنهم السفير Jeam Michel venture De paradisوكذلك مؤلفات Peysonnel et Des Fontaines تحت عنوان: Voyages dans les Régences de Tunis et d'Alger والتي مكنتني من استقصاء معلومات عن مختلف الوظائف والأدوار التي كانت تقوم بها القبائل المتحالفة وعلاقتها بسلطة البايلك.ولو أن هذه المصادر أحادية الطرح ويجب أن تأخذ بحذر بحكم منطلقات مؤلفيها. وكذلك كتاب Louis Rinn بعنوان: Le beylik، chapter 7،d'Alger sous de dernier dey Royaume Qsantina.

والذي ساعدني في معرفة الأعراش والقبائل المخزنية ، والقبائل المتحالفة وقبائل الرعية في بايلك الشرق.

ومقال للمؤلف J.N. Robin في المجلة الإفريقية ، تحت عنوان:

l'organisation militaire et administrative des turcsdans "Note sur la grande Kabylie"،17 N° ، والذي أحاطني معرفةً بكيفية تشكل القبائل المخزنية والأدوار التي كانت تقوم بها .وهناك مؤلفات أخرى استفدت منها لـ: E.Vayssettes، وEmerit ،و Esterhazy. W.

وعن المصادر والمراجع المترجمة للعربية منها :

"مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا بالجزائر"، والتي ورد فيها ذكر المحلات وفترة خروجها والجيش القائم عليها ، و"مذكرات أسير الدّاي كاثكارث قنصل أمريكا في المغرب"، التي أفادتني في معرفة أحوال ثكنات الجند في الجزائر وظروف الأسرى ،كذلك كتاب "الجزائر في عهد رياس البحر" لويليام سبنسر الذي أعانني على وضع سلم الرتب التي كان يخضع لها الجنود الإنكشاريين.

أما المصادر العربية فقد استفدن من الأخبار التاريخية الواردة في مذكرات "أحمد الشريف الزهار" والتي تعتبر من أهم المصادر المحلية في تلك الحقبة خاصة حول أنواع الضرائب التي كانت تفرض في تلك الفترة والمحلات .

وفي السياق نفسه أحطت الدراسة بمصادر أخرى منها ما هو للمؤرخ محمد الصالح بن العنتري الذي ترك لنا كماً هائلاً من المعلومات عن الأحوال الإدارية والاقتصادية ببايلك قسنطينة في كتابه"تاريخ قسنطينة"، هذا إلى جانب صاحب كتاب "المرآة"لحمدان بن عثمان خوجة وما حواه من معطيات تاريخية شملت العديد من الجوانب والفئات بما فيها الإنكشارية والرياس والقبائل المخزنية وسكان الريف عامة وأنواع الضرائب المفروضة عليهم.

ومن المصادر كتاب أحمد بن هطال"رحلة محمد الكبير باي الغرب إلى الجنوب الصحراوي الجزائري"، والتي وردتنا فيها أخبار تاريخية عن كيفية انضمام بعض القبائل في صنف الرعية الخاضعة.

وبالنسبة للمراجع، فجاء في المقام الأول مؤلفات ناصر الدين سعيدوني ومقالاته التي غطت جوانب عديدة من الفصل الثاني المعنون بتشكيلة قبائل المخزن بالإضافة إلى بعض الجوانب من الفصول الأخرى ،من بينها مقال عن القبائل المخزنية المنشور في مجلة الأصالة وعنوانه "دور قبائل المخزن في تدعيم الحكم التركي"، وكذلك ما أورده حنيفي هلايلي عن الإنكشارية وعلاقتها برياس البحر وأسباب تدهور أوضاعها وتراجع قوتها ، في كتابه "بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني"، وكذلك كتاب "الجزائر خلال الحكم التركي (1514م-1830م)"لصالح عباد ، الذي كتب فيه عن الزواوة والسلطة المحلية وإدارتها بالريف.

كما كانت هناك أطروحات ورسائل جامعية تناولت الموضوع من نواحي مختلفة، أهمها رسالة دكتوراه دولة لأرزقي شويتام تحت "عنوان المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني" والتي اعتمدت عليها في فهم العلاقة بين سكان الريف والسلطة والمهام والأدوار المختلفة التي كانت تقوم بها القبائل القاطنة فيه ، بالإضافة إلى رسالة دكتوراه لبلبروات بن عتو الموسومة بـ "المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني" وقد شملت هذه الدراسة مختلف الجوانب الاجتماعية والاقتصادية للريف .

كذلك رسالة ماجستير لحميد آيت حبوش، المعنونة بـ "المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني (1519م-1830م) على ضوء المصادر الأوربية"، والتي تطرق فيها لمختلف الفئات الاجتماعية وأحوالها الإدارية والاقتصادية .

بالإضافة إلى رسالة ماجستير لجميلة معاشي بعنوان الأُسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 9هـ(16م) إلى 13هـ(19م) دراسة اجتماعية سياسية. والتي احتوت معلومات معمقة عن القبائل المتحالفة مع السلطة ببايلك قسنطينة، مكملة دراستها برسالة دكتوراه بعنوان "الإنكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة".

كما اعتمدت على رسالة ماجستير لفلة القشاعي موساوي ، الخاصة بالنظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني(1737م-1771م) والتي كانت خير معين لي على معرفة

أنواعالضرائب والفئات المفروضة عليها.دون أن أهمل الكم الهائل من المعلومات التاريخية المستقاة من نصوص ومقالات وسندات احتوتها بعض أعداد المجلة الإفريقية ومجلة الأصالة ومجلة الدراسات التاريخية والحضارية والتي أفادتني في بناء وترتيب المعلومات التاريخية ومقارنتها بالمصادر والمراجع .

الصعوبات :

أما فيما يتعلق بالصعوبات التي اعترضتني في إنجاز هذه المذكرة فكانت كثيرة أهمها :

1- قلة المصادر التي تطرقت للمواضيع ذات الصلة بالبحث لاسيما الجوانب العسكرية والاقتصادية.

2 -كون البحث جزء من التاريخ الوطني والذي يحتاج الى وثائق محلية لم يكن في مقدوري الحصول عليها، وذلك بسبب بعض العراقيل الإدارية، وعدم تقديم الكتب والوثائق والمخطوطات بحجة انها تحت الصيانة أو أنها ممنوعة من العرض.ومع ذلك فقد أمكنني الاطلاع على ما هو متوفر بمكتبات وهران- الجزائر وقسنطينة وتيزي وزو وسيدي بلعباس.

3 - افتقاري إلى اللغة التركية التي تعتبر أداة هامة جداً للبحث في المواضيع المتعلقة بالتاريخ العثماني.

4 - عدم التفرغ الكامل للبحث ، حيث ارتبطتُ بالتدريس في الابتدائية وهي مهنة شاقة للغاية تتطلب الجهد الكبير والوقت كذلك.

5 - افتقار البلدة التي أعيش فيها لأبسط الفضاءات الفكرية (المكتبات ونوادي الإنترنت ، المراكز العلمية) وكذلك بعدها عن أقرب مقر لهاته الفضاءات .

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أحمد الله أولاً وأخيراً على توفيقه لي لإتمام هذا العمل، والذي أتمنى أنأكون قد وفّقت فيه للمساهمة ولو بقسط قليل في تاريخ التشكيلات العسكرية الأهلية في الجزائر خلال العهد العثماني وما توفيقنا إلا بالله.

وأتقدم بجزيل الشكر والعرفان للأستاذ الدكتور محفوظ رومالذي تفضل بالإشراف على هذا العمل وعلى إرشاداته وتوجيهاته و وقوفه معي وصبره عليَّ طيلة أطوار هذا البحث. وإلى الأساتذة حمادي بن موسى ورمضان بورغدة اللذان أشرفا على البحث في بدايته وإلى لجنة المناقشة التي تجشمت قراءة هذه المذكرة.

الفصل الأول :الأوضاع العسكرية في الجزائر مطلع القرن 16 م وأسباب تشكل الفرق الأهلية

المبحث الأول: الأوضاع العسكرية في المغرب الأوسط قبل القرن 16 م.

المبحث الثاني: الأوضاع العسكرية في الجزائر بعد ظهور الأتراك.

المبحث الثالث: أسباب ظهور التنظيمات العسكرية الأهلية في الجزائر إبان العهد العثماني.

احتل الجيش مكانة بالغة الأهمية لدى الدولة الزيانية 633هـ-962هـ/1236م-1554م، فقد كان أداة للحكم و الحرب معاً، حيث كانت الحكومة عسكرية إلى حدٍ كبير، فكبار موظفي الدولة هم في نفس الوقت قادة الجيش، ذلك أن هذا الأخير شكل الأساس في نظام الحكم. كما ساهمت الأحوال السياسية المضطربة و الظروف الأمنية غير المستقرة آنذاك في إضفاء الصبغة العسكرية على المغرب الأوسط الذي كان لابد له من أن يبقى دائماً على أتم الاستعداد لمواجهة الهجمات الأوروبية .

و الصبغة العسكرية التي تميزت بها الدولة الزيانية استمرت حتى بعد سقوطها سنة962هـ/1554م، بل وبرزت أكثر في الجزائر، من خلال تولي رياس البحر و الانكشارية لشؤون الحكم بين 1518م-1830م.

كل هذا يقودنا إلى محاولة دراسة الأوضاع العسكرية للجزائر أثناء الحكم الزياني و بعده .

المبحث الأول: الأوضاع العسكرية في المغرب الأوسط قبل القرن 16م:

نحاول في هذا المبحث دراسة الأوضاع العسكرية وأحوال الجيش في عهد الزيانيين وأهم الحروب التي خاضها والأدوار التي قام بها إلى غاية سقوط الدولة الزيانية.

المطلب الأول: الوضع العسكري للجيش في عهد الدولة الزيانية .

ظهرت دولة بني عبد الواد مثلها مثل دولة الحفصيين و المرينيين على أنقاض دولة الموحدين التي سقطت سنة 1212م، فاستقر الحفصيون بتونس و المرينيون بالمغرب وبني عبد الواد بتلمسان[1]، وتنتمي هذه الأخيرة، إلى أحد بطون القبيلة البربرية العتيدة زناته وكانت مواطنهم مابين جبال سعيد شرقاً، ووادي ملوية غرباً، ومنهم فصيلة متوطنة بجبل أوراس. يرتادون صحراء المغرب

[1] عمار عمورة، موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ريحانة ، الجزائر ، 2002 م ، ص 79.

الأوسط مابين مصب –مزاب – إلى ملوية و فيجيج، ثم إلى سجلماسة – تافيلالت –، ومنها كذالك إلى ارض الزاب[1].

وقد أورد بن خلدون[2] ذلك بقوله: "بني عبد الواد هؤلاء من ولد يادين بن محمد إخوة توجين ومصاب وزردال وبني راشد، وأن نسبهم يرتفع إلى رزجيك بن واسين بن ورسيك بن جانا...وكان إخوانهم بمصاب وجبل راشد وفيكيك وملوية".

و بحكم الموقع الوسطي الذي كانت تحتله الدولة الزيانية بين دولتين معاصرتين لها- الحفصية والمرينية – ومحاولة السيطرة عليها، فإنها أولت عناية خاصة بالجيش، وخصصت له في الإدارة المركزية ديوان يعرف بديوان الجند، و صاحب الديوان يسمى كاتب العسكر، وكان ذلك منذ عهد يغمراسن بن زيان[3].ومما يؤكد وجود كاتب العسكر ما أشار إليه يحي بن خلدون حين وصف الاستعراض العسكري الذي نظم تحت رعاية السلطان أبو حمو موسى الثاني فقال في شأنه: " وحدق الكتبة بين يديه الكريمتين بحضور جنود القبائل و الشعوب منها الرامح والنادل فكان حساب الجميع أربعة عشر ألفاً ".

ويظهر من مصادر الدولة أن الإدارة المحلية كانت هي الأخرى تشرف على الجيش في الولايات لأنها إدارة عسكرية بالدرجة الأولى وتسير من قبل قادتها العسكريين الذين سبق لهم تولي قياد الجيش، والهدف من التعيين قمع القبائل المتحالفة مع القوى الخارجية المعادية للدولة .

---

[1] عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج2 ، دار الأمة ، الجزائر ، 2010م ، ص 205.

[2] عبد الرحمان ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج7، دار الفكر، بيروت، 2000م، ص97.

[3] مختار حساني وآخرون، التاريخ العسكري للجزائر من الفتح الإسلامي إلى القرن 10هـ/ 16م، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، د.ت، ص150.

أولاً: تركيبة الجيش الزياني:

إن الجيش الزياني لم يكن يختلف عن الجيوش المعاصرة له من حيث حشد القوة العسكرية[1]. فقد ذكر عبد الرحمان بن خلدون بأن تعداده عند بني عبد الواد في بداية عهدهم أقل بكثير من العدد الذي وصل إليه بنو مرين.

كان ذلك في بداية عهد الدولتين، وبعدما استقر وضعهم زادت قوة حشود كل دولة. وقد عملت دولة بني عبد الواد على استمالة القبائل العربية التي أقطعها يغمراسن بن زيان بعض الأراضي حول تلمسان في مقابل الدفاع عن الدولة[2].

وما يؤكد ذلك هو حشد السلطان أبو حمو موسى الأول أربعة فرق عسكرية في آن واحد وجهها لأراضي الدولة الحفصية، وزاد الأمر في عهد ابنه، حيث ذكر يحي بن خلدون أنه جند مجموعة من الفرق العسكرية .

وقد تألف الجيش الزياني من حيث أصوله إلى جنود من قبائل أمازيغية وأخرى عربية وعناصر مسيحية وأكراد[3].

1- القبائل الأمازيغية : من أبرز القبائل المشاركة في الجيش الزياني قبيلة بني عبد الوادي وهي عمود الدولة التي قامت على أساسها وهم عصبة الدولة وقوامها، ثم انضمت إلى هؤلاء، قبائل بربرية أخرى تحالفت معها في بعض المراحل التي مرت بها الدولة مثل قبيلة هوارة وقبيلة بني راشد وفي بعض الفترات بنو توجين[4].

---

[1] مختار حساني وآخرون،المرجع السابق، ص 150- 152

[2] عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ص- ص114- 115.

[3] مختار حساني وآخرون، المرجع السابق، ص151.

[4] مختار حساني وآخرون، المرجع السابق، ص-ص151-152.

2- القبائل العربية : يرجع دخول القبائل العربية إلى عهد الملك يغمراسن الذي حاول من خلالهم ضرب المعارضة التي تشكلت من قبائل بربرية زناتية حيث أن هؤلاء لم تكن موالاتهم للزيانيين مضمونة باستمرار.

3- العناصر المسيحية: وقد كانت هذه العناصر متواجدة في أغلب مراحل الدولة، وتولت قيادة الجيش، مثل ما حدث في عهد السلطان أبو حمو موسى الأول وابنه تاشفين الأول حيث تولى القيادة العسكرية **مسامح وهلال القاطالوني**[1].

ويعلل ابن خلدون اعتماد الزيانيين على جنود المرتزقة التي لم تكن مقتصرة عليهم بل شملت حتى الدول المجاورة، فيقول: "احتاج ملوك المغرب جنداً من هذه الأمة المتعودة الثبات في الزحف وهم الإفرنج يرتبون مصافيهم المحدق بهم هذا على ما فيه من الاستعانة بجند الكفر و إنما استخفوا ذلك للضرورة تخوفاً على مصاف السلطان و الإفرنج لا يعرفون غير الثبات لأن عادتهم في القتال الزحف فكانوا أقوم على ذلك من غيرهم " [2].

ويتضح من قول عبد الرحمان ابن خلدون أن الزيانيين وجدوا في الإفرنج ما لم يجدوه في المغاربة من الثبات والحزم والاستعداد للقتال دوماً. كما أن القبائل المتحالفة مع الزيانيين لم تكن محل ثقة دوماً فتارةً معهم وتارة ضدهم. مثل قبائل مغراوة وبني توجين. لذلك استعانوا بالإفرنج و غيرهم من الجنود المرتزقة .

4- الأكراد: وما يقال عن الإفرنج ينطبق على الأكراد الذين اعتمد عليهم بنو زيان ويرجع ذلك أن الترك في قتالهم بارعين في رمي السهام، يعتبرون من أمهر الرماة وينقسمون إلى ثلاثة صفوف يضربون صفاً وراء صف.

---

[1] مختار حساني وآخرون، المرجع السابق، ص152.

[2] مختار حساني وآخرون،المرجع السابق، ص152.

5- العبيـد: استعملهم الزيانيون لكثرة أعدادهم في أسواق الدولة وانخفاض أجورهم[1].

من خلال هذا يبدو أن بني عبد الواد قد اعتمدوا على عنصرين أساسيين في تركيبة الجيش الزياني وهما النصارى و الأتراك لضمان النصر[2] من جهة، ولانعدام الثقة في بعض القبائل المحلية. ولتغطية النقص المفترض في الجندية من جهة أخرى.

وانقسم الجيش الزياني إلى فرق من حيث أدوارها ومهامها وهو ما نستشفه من كلام السلطان أبو حمو موسى الثاني: " ينقسم الجيش إلى أربعة أقسام خاصتك وقبيلك وأنصارك ومماليكك" [3].

ثانياً: العطاءات والرواتب:

يربط ابن خلدون قوة الجيش بكثرة العطاء، وفي هذا الصدد يقول" تحتاج الدولة إلى الزيادة في الجباية لما تحتاج إليه الحامية من العطاء"[4].

ولعل كثرة العطاء دفع بسلاطين الدولة الزيانية إلى الإقطاع، فكانواْ يقطعون أراضي الدولة مقابل الخدمة العسكرية[5].

لقد لخص ذلك قول السلطان أبو حمو موسى الثاني: "تكون مرتبات الجيش في العطاء بثباتهم وشجاعتهم وسابقتهم واصطناعهم ومحبتهم وانقيادهم واجتهادهم فهؤلاء أهل الطالعات والمجابي والبلادي وهم القبيل والحماة والأنصار والأجناد ماعدا المماليك المنقطعين فإن جرايتهم في

---

[1] علي خلاصي، الجيش الجزائري في العصر الحديث، ط1، دار الحضارة،الجزائر، 2007، ص75.

[2] مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية الأحوال السياسية ، ج1، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009م، ص222.

[3] مختار حساني،المرجع السابق، ص222.

[4] مختار حساني وآخرون، المرجع السابق، ص 154.

[5] علي خلاصي،المرجع السابق، ص 76.

المرتب مشاهرة وارتزاقهم من بيت المال مباشرة على توالي الشهور وهم عندك في جرايتهم على قدر طبقاتهم"[1].

من خلال قول أبو حمو موسى الثاني، نجد أن الإقطاعات كانت خاصة بالقبيل والحماة والأنصار وتتفاوت حسب الولاء للزيانيين. أما الأنصار فمرتباتهم تدفع من بيت المال. ومعنى أن بني عبد الواد رغم اعتمادهم على النصارى والعبيد والأكراد فإنهم لم يصلوا إلى الأهمية التي تمكنهم من الحصول على أراضي. فقد باءت هذه المِيّزة مقتصرة على القبائل البربرية والقبائل العربية.

إذاً نستنتج مما سبق أن الدولة الزيانية أولت عناية خاصة بالجيش، وذلك نظراً للظروف الأمنية التي كانت تحيط بها، من خلال الاعتداءات التي كانت تتعرض لها من طرف جيرانها المرينيين والحفصيين. فكان الجيش الذي قامت بإنشائه بمثابة الدعامة الأساسية التي ارتكزت عليها. حيث ضم في صفوفه جنود ذات أصول مختلفة منها ما هو بربري الأصل وعرب ومسيحيين إضافة إلى الأكراد والعبيد.

المطلب الثاني: دور الجيش والفرق العسكرية الزيانية في التوسع:

تأسست الدولة الزيانية فعلياً سنة 633هـ /1236م، على يد يغمراسن بن زيان، وبذلك بدأت مهام الزيانيين في حماية المدن الواقعة تحت نفوذهم من أخطار جيرانهم الحفصيين والمرينيين.

ولما بدأت دولة الموحدين في الانهيار، وسيطر المرينيون على عدة نواحي من المغرب،كان الموحدون يستعينون ببني زيان، فكثر الخلاف و الشقاق بين أبناء العمومة –الزيانيين والمرينيين– وغلبت المصلحة الذاتية لكل قبيلة على روابط الدم والعقيدة، ما أدى إلى استمرار الخلاف ونشوب الحروب بينهم. ونتيجة لتطلعات الطرفين في وراثة عرش الموحدين في المغرب الإسلامي.انتهج السلطان يغمراسن سياسة تهدف إلى بسط نفوذه على الجهات الغربية وبالتالي

[1] مختار حساني وآخرون، المرجع السابق، ص- ص 154-155.

الاستيلاء على تاوريرت حتى تازة، أي على الأقل امتلاك القسم الشرقي من المغرب الأقصى. إلاَّ أن مخططاته باءت بالفشل لقلة العدة والعتاد[1].

لقد كانت فترة السلطان يغمراسن الذي توفي سنة 681هـ/1282م مليئة بالأحداث، فدخل في الكثير من الحروب مع بني مرين و مني فيها بالهزائم المتتالية على أيديهم، فكان لها وقع سيء في نفسه، ما جعله يتيقن أنه لا يمكن بأية حال من الأحوال مجابهتهم، نظراً لعدم تكافؤ موازين القوى بينهم، ولتجنب تكرار المأساة مع ولي عهده، أوصاه بمسالمة المرينيين وعدم الاعتداء على أراضيهم[2].

وأبرز ما حدث في فترة حكم السلطان أبوسعيد الحصار الطويل المضروب على تلمسان سنة 683هـ/ 1284م، من طرف الدولة المرينية والذي دام ثماني سنوات وثلاثة أشهر وبضعة أيام[3]، وعندما لم يتمكنواْ من دخولها شيدوا بالقرب منها مدينة المنصورة، إلاّ أنّ أهل تلمسان لم يستسلموا، وتوفى ملكها أبوسعيد والحصار لازال قائماً على دولته. فخلفه على العرش ابنه أبو زيان محمد سنة 703هـ/1304م، فواصل المقاومة حتى جاءه سنة706هـ/1307م، نبأ مقتل السلطان المريني يوسف بن يعقوب فعاد الجيش المريني إلى المغرب ورفع الحصار على تلمسان، فأصلح ما أفسدته الحرب وأعاد أبو زيان منطقة الونشريس و الشلف وغيرها من مدن المغرب الأوسط إلى حظيرة ملكه. ثم توفي سنة 707هـ / 1308م، إثر مرض أصابه[4].

---

[1] محمد مكيوي، العلاقات السياسية والفكرية المغاربية للدولة الزيانية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول(633هـ-1236م/737هـ-1337م)، إشراف د.الغوتي بسنوسي، رسالة دكتوراه في الفنون، جامعة تلمسان، 2007م-2008م، ص75.

[2] محمد مكيوي،المرجع السابق، ص84.

[3] شوقي ضيف،المرجع السابق، ص 42.

[4] عمار عمورة، المرجع السابق، ص80.

وبذلك حافظ بني عبد الواد على تلمسان، التي بقيت تحت سلطتهم، إلاّ أن الحصار الطويل كانت له آثار كبيرة على البلاد والعباد، فانتشرت المجاعات وكثر الموتى، وعَمَّ الخراب المدينة.

خلف أبو حمو موسى الأول بن عثمان أخوه أبو زيان، وكان شخصاً صارماً شجاعاً داهية، محباً للعلم، فأمن دولته من خطر المرينيين بتحقيق السلم معها، ونهض باقتصاد تلمسان فتحسنت أوضاع سكانها وعمَّ الرخاء أرجائها فاستعادت الدولة قوتها. ثم سير جيشه نحو بجاية التي كانت في يد الحفصيين وحاول الاستيلاء عليها سنة 715هـ/ 1316م و716هـ/1317م لكنه لم يستطع. وأثناء وجود أبوحمو بالشلف وصله نبأ تحرك الجيش المريني بقيادة الملك أبا سعيد[1]، سنة 714هـ/1315م، فالحملة جاءت على إثر سوء العلاقة بينه وبين أبوحمو موسى الأول الزياني، الذي اتهم بدعم المعارضة الوطاسية. وحينما استعصت مدينة تلمسان على أبي سعيد سيَّر الحملات إلى نواحيها: "وانحجز موسى بن عثمان من وراء أسوارها وغلب (أبوسعيد) على معاقلها ورعاياها، وسائر ضواحيها فحطمها حطماً ونسف جهاتها نسفاً"[2].

كذلك ثار على السلطان أبوحمو موسى، راشد بن محمد المغراوي بشلف، واتجه إليه، واستخلف ولده السلطان أبا تاشفين، فاستعصم راشد ببني بوسعيد فنزل السلطان وادي تهل لحصارهم، وبنى هنالك قصره المعروف به، ففر راشد إلى زواوة منحازاً إلى الموحدين[3]. واستولى السلطان في طريقه على الونشريس ومتيجة ومدينة الجزائر، وحاول من جديد التوسع على دولة

[1] عمار عمورة، المرجع السابق، ص 80.

[2] عبيد بوداود، " تلمسان في مواجهة الحملات الحفصيةالمرينية "، مجلة عصور، ع07/06، جوان/ ديسمبر،2005م، ص208.

[3] محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، (ت ح) محمود بوعياد، منشورات ANEP، د.ت، ص- ص 146-147.

الحفصيين في كل من بجاية و قسنطينة و عنابة لكنه لم يفلح، وقتل أبوحمو في قصره رفقة مسعود بن برهوم ووزيره، سنة 718هـ / 1319م[1].

خلف أبوتاشفين عبد الرحمان الأول، أبوه أبوحمو موسى الأول عام 718هـ/1319م[2]، كما جاء في تاريخ ابن خلدون، قوله[3]: "وكان موسى ابن علي الكردي قائد العساكر قد سمع فركب إلى القص، فوجده مغلقا دونه، فظن الظنون فخشي استيلاء مسعود على الأمر فبعث إلى العباس بن يغمراسن كبير القرابة، فأحضره عند باب القصر حتى إذا مرّ بهم الهاتف واستيقن مهلك أبي سرحان، رد العباس على عقبه إلى منزله. ودخل إلى السلطان أبي تاشفين، وقد أدركه الدهش من المواقعة فثبته ونشطه فحفه، وأجلسه بمجلس أبيه وتولى له عقد البيعة على قومه خاصة وعلى الناس عامة، وذلك آخر جمادى الأولى من تلك السنة. وجهز السلطان إلى مدفنه بمقبرة سلفه من القصر القديم، وأصبح مثلاً في الآخرين والبقاء لله ".

يتضح من قول ابن خلدون أن العباس خاف من أن يستولي أحد من غير الأسرة الحاكمة على الحكم، فعقد البيعة لأبي تاشفين، ابن أبوحمو موسى الأول وتكفلبها .

وأول شيء قام به القضاء على ثورة محمد بن يوسف فحاصره هو وجنوده بجبل الونشريس وقتله، وعفا عن الباقين من أتباعه[4]. كما غزى بجاية بجيوشه بقيادة موسى بن علي الكردي وابتنى بالقرب منها حصن تمبكر الأول على وادي بجاية الصومام وأنزل به العسكر تحت قيادة يحي بن موسى قائد الشلف[5]. ثم أقيم ابتداءً من سنة 726هـ /1326م حصناً آخر أقرب من المدينة، وهو

---

[1] عمار عمورة، المرجع السابق، ص80.

[2] الحسن بن محمد الوزان الفاسي،وصف إفريقيا،ط2،ج2، (تر) محمد حجي-محمد الأخضر،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م،ص17.

[3] عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ص141.

[4] عمار عمورة، المرجع السابق، ص80.

[5] مختار حساني وآخرون، المرجع السابق، ص254.

حصن تمززدكت الذي يمكن أن يأوي أكثر من ثلاثة آلاف رجل[1]. فشعر بنو حفص بخطر هذه الحصون على بجاية، لذلك أرسل السلطان أبو يحي سنة727هـ/1327م عسكراً لتدميرها فخرج أبو عبد الله بن سيد الناس من الحصن لمقاتلة بني حفص، فالتقى الجمعان بناحية تمزيزدكت وانهزم الجيش الحفصي و قتل قائده ظفر الكبير مقدم البلاط من العلوجيين[2] بباب السلطان[3].

ثم بعث السلطان قوة أخرى لمواجهة قوة بني زيان ترأسها بنفسه فوقعت بين الطرفين معركة انهزم فيها بنو حفص بعد انسحاب القبائل العربية التي احتشدوها. فاستولى بنو زيان على مكان بمعسكره بما فيه من الحريم[4].

وبالإضافة إلى ذلك، فقد كان السلطان أبو تاشفين، يستقبل جميع الناقمين القادمين من إفريقية، من شيوخ الأعراب الثائرين والمطالبين بالعرش الحفصي، وقد وافق أبوتاشفين أكثر من مرة على مساندة أولئك وهؤلاء بإرسال جنوده وقوَّاده أنفسهم. ونفس الأمر بالنسبة للمعارضين لبني مرين، فقد آواهم وساندهم. بل أكثر من ذلك، حاصر قسنطينة واحتل تونس سنة 729هـ/1329م، لكن الهزيمة التي مُني بها السلطان الحفصي في تلك السنة، دفعته إلى الاستنجاد بسلطان فاس أبي سعيد عثمان، فأوفد إليه عن طريق البحر ابنه أبا زكرياء يحي والشيخ الموحدي المهيّأ لأعلى المراتب، وهو أبو محمد عبد الله بن تافراجين. وقد خُصَّ الوفد باستقبال حسن من طرف السلطان الذي أعرب في الماضي عن عواطف الودّ تجاه أبي بكر، فوافق على التحالف

---

[1] روباربرنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13م إلى نهاية القرن 15م، ط1، ج1، (تر)حَمَّادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ص178.

[2] أي الأعلاج وهم الذين اسلموا وتدينوا بدين الاسلام.

[3] مختار حساني وآخرون، المرجع السابق، ص- ص 254-255.

[4] مختار حساني وآخرون، المرجع السابق، ص 255.

المعروض عليه، وأوفد إليه بدوره في أواخر سنة 730هـ /سبتمبر1330م وفداً مكلفاً بإبرام الاتفاق بين العائلتين عن طريق المصاهرة[1].

بعد المصاهرة التي تمت بين العائلتين، أرسل السلطان المريني أبو الحسن رسلاً، إلى أبو تاشفين لاسترجاع بجاية وما استولى عليه من المدن إلى حظيرة الدولة الحفصية، لكن هذا الأخير رفض القيام بذلك[2].

وكان ذلك سبباً في تحرك الملك المريني نحو تلمسان وفي تلك المدة الزمنية ثار عليه أخوه حاكم سجلماسة أبي الحسن، فقتل الملك أبي السعيد وأصبح مَلِك الدولة المرينية ثم سيَّر جيشه نحو تلمسان فحاصرها سنة 735هـ / 1335م، وشيد بالقرب منها مدينة المنصورة الجديدة على أنقاض القديمة، وبعد حصار دام سنتين[3]، دخل بنو مرين المدينة في رمضان سنة 737هـ/1337م فوقف ابو تاشفين بباب قصره، وقال: يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه!وقاتل حتى قتل هو وأبناؤه عثمان و مسعود ويوسف وكبار دولته، وفي واسطة السلوك أن سبب الهزيمة اعتماده على حصانة المدينة و إمساكه عن العطاء. فلما كاد العدو يدخل عليه طلب من يأخذ ماله فلم يلقه[4].

ووصف ابن خلدون تلك المأساة بقوله[5]: "واستمرت منازلة السلطان أبي الحسن إياها إلى آخر رمضان من سنة سبع وثلاثين وسبعمائة فاقتحمها يوم السابع والعشرين منه غلاباً. و لجأ

---

[1] روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص- ص 179-180.

[2] شوقي ضيف،المرجع السابق، ص42.

[3] عمار عمورة، المرجع السابق، ص81.

[4] مبارك بن محمد الميلي،تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، (تق) محمد الميلي، م، و، ك، الجزائر، ص 458.

[5] عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ص 148.

السلطان أبو تاشفين إلى باب قصره في لمة من أصحابه، ومعه ولداه عثمان ومسعود ووزيره موسى بن علي...فمانعوا دون القصر مستميتين إلى أن استلحموا ورفعت رؤوسهم على عصي الرماح، فطيف بها،...واستتبع زناته عصباً تحت لوائه من بني عبد الواد و توجين ومغراوة وأقطعهم ببلاد المغرب سهاماً أدالهم بها من تراثهم من أعمال تلمسان، فانقرض ملك آل يغمراسن برهة من الدهر".

رغم الهزات التي تعرض لها ملك بني زيان في السابق و الحصار الطويل المضروب على تلمسان، فإن الدولة بقيت قائمة وصامدة بفضل جيشها، ولكن التحالف الأخير الذي جمع بين القوتين المرينية والحفصية، وتضييقهما الخناق على تلمسان أدى إلى سقوطها في يد المرينيين سنة 737هـ/1337م، وقتل السلطان الزياني أبو تاشفين وأبنائه. وبالتالي اختفاء دولة بني عبد الواد فترة من الزمن .

ثانياً: دور الجيش في إعادة بعث الدولة الزيانية:

بقي المرينيون يسيطرون على تلمسان منذ أن احتلوها عام 737هـ/ 1337م، إلى أن نكب سلطانهم أبو الحسن قرب القيروان على يد عرب بني هلال، وبني سليم، عام 748هـ /1348م. بعد أن تخلى عنه معظم جيشه الذي حاول أن يغزو به تونس، فاغتنم بنو عبد الواد الفرصة وسعوا لإحياء دولتهم و بعثها من جديد. فبايعوا[1]،أباسعيد عثمان الثاني بن عبد الرحمان بن يحي بن يغمراسن، سنة 749هـ /1348م، فاتحد مع مغراوة وتوجين وتوجهوا إلى بلادهم في زهاء خمسمائة فارس[2]، واقتحموا تلمسان في سبتمبر749هـ / 1348م، وسلم لهم عامل المرينيين أبو فرار، وعين أبو سعيد عثمان، أخاه أبا ثابت مسؤولاً على الشؤون العسكرية وأمور الحرب، ثم نهض لمقاومة الخصوم و المنشقين، وأعاد سيطرة بني عبد الواد على ندرومة ووهران،ومازونة، وتنس

[1] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 66.

[2] مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 458.

والمدية وعاصمة المغراويين مليانة وبرشك، وشرشال والجزائر ودللس، وجرت معارك طاحنة في حوض الشلف والونشريس ضد المغراويين الثائرين.

و قد استطاع أبو ثابت أن يلحق الهزيمة بالسلطان المريني أبي الحسن في مدينة الجزائر، عندما كان عائداً من تونس، ليواجه بعد ذلك ابنه أبي عنان و يدخل معه في صراع على السلطة، انتهى بقتل أبي الحسن و سيطرة أبي عنان على العرش[1].

قام أبو عنان بالهجوم على تلمسان، فخرج إليه أبي سعيد والتقى الجيشان بواد القصب فقتل أبي السعيد واستولى أبي عنان على تلمسان سنة 753هـ /1352م. ما أدى إلى اختفاء الدولة الزيانية من جديد[2]. وقتل أيضاً أبو ثابت ووزيره الذين استنجدوا بحاكم بجاية، إلاّ أن هذا الأخير سلمهم إلى الملك المريني. ولم ينجو منهم سوى أبو حمو موسى الثاني. حيث توجه هذا الأخير إلى تونس، فأكرمه ملكها الحفصي إسحاق بن أبي يحيى بن أبي زكريا[3].

خرج أبو حمو موسى الثاني سنة 760هـ/1358م على رأس جيشه من تونس والجزائر إلى تلمسان التي تمكن من فتحها و طرد بني مرين منها[4]. و بايعه سكانها وأطلق على الدولة اسم الدولة الزيانية، فاعتنى بالعلم والعلماء و كان شاعراً فعرفت تلمسان في عهده الرخاء [5]. وألف كتاب **"واسطة السلوك في سياسة الملوك"**.

---

[1] يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص- ص 66- 67.

[2] عبيد بوداود، المرجع السابق، ص 209.

[3] عمار عمورة ، المرجع السابق، ص 82.

[4] محمود السيد، المرجع السابق، ص 160.

[5] عمار عمورة، المرجع السابق، ص 82.

اهتم أبو حمو بتدعيم سلطته وإمارته وبالقضاء على نفوذ بني مرين في كل أنحاء المغرب الأوسط، فافتك وهران منهم عام1361م، ومدينة الجزائر في العام الموالي، وبلاد القبائل في العام الذي تلاه[1].

لكن أثناء حكم أبو حمو موسى الثاني وقعت اضطرابات داخلية أدت الى إشعال نار الثورة بينه و بين أخيه الأمير أبا زيان، فاستغل الملك المريني أبو فارس عبد العزيز هذه الفرصة واستولى على تلمسان، إلاّ أن أبو حمو تمكن من استرجاعها.كما دخل في نزاع مع ابنه أبا تاشفين، انتهى بمقتل أبوحمو، وبعد فترة عاد الصراع حول العرش من جديد بين أبي تاشفين وأخيه أبوزيان حاكم مدينة الجزائر. كانت نتيجته مقتل أبي تاشفين، فاستغل المنتصر المريني الوضع واحتل تلمسان، وأصبح المرينيون يتدخلون في الشؤون السياسية للدولة الزيانية يولُّوُن عليها من يرغبون ويخلعون من لا يتماشى ومصلحتهم، حتى ضعفت الدولة المرينية .

الأمر كذلك بالنسبة للدولة الحفصية حيث تدخلت هي الأخرى، ففي سنة 827هـ/1423م سيرت جيشاً كبيراً، لم يستطيع الأمير الزياني أبو مالك مقاومته، واستولى الحفصيون على تلمسان ونُصِّبَ عليها محمد بن أبي تاشفين المدعو بابن الحمراء الموالى للحفصيين. إلاَّ أن هذا الأخير استبد بالحكم وخرج عن طاعة الحفصيين.

أخذت دولة بني زيان بتلمسان وغربي الجزائر تتدهور سريعاً منذ نهاية القرن التاسع الهجري، وبالمثل تدهورت الدولة الحفصية في شرقي الجزائر وتونس وطرابلس. والدولة المرينية بالمغرب الأقصى [2].

[1] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص- ص 70-71.

[2] شوقي ضيف،المرجع السابق، ص 43.

فعمت الفوضى والاضطرابات في الدولة الزيانية و تطاحن أمراؤها على السلطة ففقدت هيبتها على سكان المغرب الأوسط، وانفصل عليها سكان مليانة والمدية والجزائر، فاستغل الإسبان هذه الفرصة بعد قضائهم سنة 1492م، على آخر معقل للمسلمين بغرناطة[1].

وخلاصة القول فإن الزيانين منذ تأسيس دولتهم سنة 633هـ /1236م عملوا على تشكيل جيش هدفه حماية المدن الواقعة تحت نفوذهم. والتوسع على حساب جيرانهم من الناحية الغربية باتجاه دولة المرينيين، ومن الناحية الشرقية باتجاه دولة الحفصيين. إلا أن حدود دولتهم طيلة فترة حكمهم لم تكن ثابتة. وكثيرا ما تعرضت أراضي الدولة الزيانية إلى النهب والاستيلاء، خاصة تلمسان التي كانت محل أطماع الكل، بسبب موقعها الاستراتيجي وضعف سلاطينها جراء تناحرهم.

إضافة إلى تحالف الحفصيين والمرينيين، وبالتالي سقوط تلمسان، واختفاء الدولة الزيانية، حيث عرفت فترة مد وجزر. إلى أن ضعفت الدويلات الثلاث و بدأ التدخل الإسباني ومحاولة السيطرة على المغرب الإسلامي بكامله.

[1] عمارة عمورة، المرجع السابق، ص- ص82-83.

المطلب الثالث: التحرشات الاسبانية على المغرب الأوسط:

تعتبر هذه المرحلة المحطة الأخيرة من تاريخ دولة بني عبد الواد الزيانيين، فكثرة التدخلات والحروب الداخلية والخارجية أنهكتها، ما أدى إلى ضعفها. بل إن هذا الوضع لم يقتصر عليها وحدها حتى جاراتها – المرينيةوالحفصية- أصابهما ما أصابها، بسبب هذه الحروب. فكان ذلك استنزافاً لثروات البلاد وجهوداً ضائعة لا فائدة منها.

عندما حل القرن الخامس عشر ظهر واضحاً عجز ملوك بني عبد الواد على فرض سيطرتهم على المغرب الأوسط بأكمله ليس هذا فحسب بل لم يتمكنوا من فرض وجودهم بالناحية الغربية وبتلمسان إلاّ بصعوبة[1].

تميز الوضع السياسي للبلاد، بانقسامها إلى مجموعة من الإمارات والمشيخات والقبائل المستقلة. فهناك: مشيخة الجزائر التي تزعمتها قبيلة الثعالبة، و إمارة "كوكو" التي تشمل القسم الغربي من جبال القبائل الكبرى. وأما القسم الشرقي من بلاد القبائل وعاصمته قلعة بني عباس فقد كان تابعاً للأمير عبد العزيز الحفصي، ومن ثمة فإن حكم ملوك بني زيان قد اقتصر على تلمسان وضواحيها[2].

كانت الدولة الزيانية في هذه الفترة قد وصلت إلى أقصى درجة من الضعف والانحلال[3]، والفوضى السياسية العارمة، التي كانت عاملاً مشجعاً للأطماع الصليبية، ونلمس هذا بكل جلاء، فيما كتبه" **فرنا ندو دي زافرا**[4]: " إن بلاد المغرب بأكملها تجتاز حالة انهيار نفسي يظهر معها

---

[1] عائشة غطاس وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954م، د.ت، ص 11.

[2] عائشة غطاس،المرجع السابق، ص 11.

[3] يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2007م، ص 234.

[4] كان كاتباً بالبلاط الإسباني و مكلفاً بحراسة شواطئ إسبانيا وبمراقبة حركة الأندلسيين المتوجهين إلى بلاد المغرب في أعقاب إجراءات الطرد إلى بلاد المغرب.

أن الله قد أراد منحها لصاحبي الجلالة." يتضمن هذا القول حقيقتين: الأولى وصف مطابق للحقيقة ينم عن معرفة دقيقة بالوضع السياسي المتدهور لأن إسبانيا كانت تتابع عن كثب ما يجري في بلاد المغرب. والثانية : تحريض صريح للاستيلاء على بلاد المغرب[1].

فبعد أن وصل آخر أمراء بني الأحمر بغرناطة أبو عبد الله محمد بن سعد الزغل عبر وهران، بدأت التهديدات الإسبانية تظهر في الأفق ضد تلمسان، واضطر الأمير الزياني محمد السابع أن يذهب بنفسه إلى اسبانيا ليطمئن فرديناند الخامس، ويقدم له الهدايا استرضاءً له[2].

أولاً: الاحتلال الإسباني للشواطئ الجزائرية :

توحدت شبه جزيرة إيبيريا في شكل مملكة اسبانية عام 1474م بعد الزواج السياسي الذي تم بين فرديناند ملك أراغونة وإيزابيلا وارثة عرش قشتالة عام 1469م. وهذا الأمر سمح للأسبان بتركيز جهودهم في محاربة المسلمين بالأندلس،وإخراجهم منها.

وابتداء من عام1503م، أصبح الخطر الاسباني على الجزائر حقيقة واقعة. فقد تنافس على عرش تلمسان الأخوان: أبوزيان الثالث المسعود، وأبو حمو الثالث بوقلمون، وتغلب الثاني على الأول وأدخله إلى السجن. فاغتنم الإسبان فرصة هذه الاضطرابات بتلمسان وأقدموا على احتلال المرسى الكبير عام 911هـ /1505م. وأيدوا الأمير يحي بن الثابتي شقيق السلطان أبي زيان، على الاستقلال بمدينة تنس وأحوازها عام912هـ/1506م تحت حمايتهم وبتوجيه من سياستهم حتى لا تقوم وحدة وطنية ضدهم.

تسبب التدخل الاسباني في مشاكل تنس، في حدوث حروب طاحنة بين عرش تنس وعرش تلمسان، سالت فيها الدماء، ولم يستفد من ذلك سوى الإسبان الذين ثبتوا أقدامهم في

[1] عائشة غطاس وآخرون، المرجع السابق، ص12.

[2] يحي بوعزيز،المرجع السابق،ص234.

بعض أطراف الإمارة[1]، واحتلوا وهران عام 915هـ/ 1509م بمساعدة " سطورا" قابض المكوس العامة لمدينة وهران، وعيسى العربي و ابن قانص. وبذلك تمكن الإسبان من ذبح أربعة آلاف مسلم، وأسروا ثمانية آلاف، وأنقذوا ثلاثمائة أسير مسيحي.

توسع الإسبان في احتلال موانئ الجزائر، فاحتلوا مدينة بجاية في بداية عام 1510م، وخضعت لهم مدن دلس، شرشال ومستغانم، وأجبرت على دفع الجزية للدولة الإسبانية.وأصبحت تلمسان بين فكي كماشة يحيط بها الخطر الإسباني من كل جهة[2].

ثانياً: ظهور الإخوة بربروسا في شمال أفريقيا:

تزامن الوجود الاسباني في سواحل المغرب مع انتقال قراصنة من المشرق الى الحوض الغربي للبحر المتوسط. كان عروج من أكبر هؤلاء القراصنة، وفي ربيع سنة 1504م، أي قبل أن يحتل الإسبان المرسى الكبير، حصل عروج على حق الإرساء في الموانئ الحفصية والتمون منها. مع إخوانه الثلاثة، إسحاق وخير الدين ومحمد إلياس[3].

أول اتصال لعروج بالجزائر كان سنة 1512م، حين طلب منه أهالي بجاية مساعدتهم على طرد الإسبان واستعادة مدينتهم المحتلة منذ عامين. فلبى عروج النداء، ووصلها في شهر أوت من نفس السنة على رأس 12 قطعة بحرية محملة بالمدفعية و الذخيرة وألف تركي وبعض الأهالي. واصطدم في معركة بحرية قبالة بجاية، بسفن إسبانية، تمكن من إغراق سفينتين منها والاستيلاء على أخرى. فتح نار مدافعه على تحصين رئيسي من تحصينات بجاية، المتمثل في قلعة كان بيدرونفارو، الذي احتل بجاية سنة 1510م، قد أعاد بنائها في الوقت الذي نزلت فيه قوات الأهالي البرية نحو المدينة. بعد ثمانية أيام من الحصار والقصف المدفعي، أصدر عروج أمر الاقتحام العام، لكن قذيفة

[1] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص234.

[2] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 234.

[3] صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514م-1830م، دار هومة، الجزائر، 2014م، ص 43.

سقطت على ذراعه الأيسر أوقفت العمليات، وتفرق الجمع البري والبحري. واتجه عروج نحو تونس، بعد أن فقد أخاه إلياس في هذه المحاولة الأولى[1].

أدرك عروج عقب هذه الهزيمة أن محاصرة بجاية وهو بقاعدته البعيدة حلق الواد أمر صعب، فقرر الانتقال منها إلى جيجل. وكانت يومئذٍ مدينة صغيرة وقاعدة تجارية للتجار الجنويين، الذين يعود استقرارهم بها إلى1260م. و بعد معركة عنيفة وقاسية تمكن عروج من اقتحام المدينة وكان هذا أول انتصار ساحق حققه عروج وأضحت جيجل قاعدة انطلاق جديدة في حدود1513م[2].

أما فيما يخص العاصمة الزيانية، فقد كان من المفروض في مثل هذه الظروف الصعبة، اتحاد القوى الداخلية للإمارة، إلاّ أنه حصل العكس، فحدثت بتلمسان اضطرابات ضد أبو حمو الثالث[3]، إذ تحزب ضده أنصار أخيه أبي زيان – الذي سجن – واستنجدوا بعروج[4]، الذي استطاع أن يفتك تنس من أميرها الموالي للأسبان[5]، عام 1517م[6]، وولى عليها أبو زيان أخ أبو حمو[7]، في حين فَرَّ هذا الأخير إلى فاس ومنها إلى وهران حيث أمده الإسبان بقوات كبيرة، فأعاد

---

[1]صالح عباد،المرجع السابق، ص 44.

[2]عائشة غاطس وآخرون، المرجع السابق، ص 21.

[3]يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 234-235.

[4]عبد القادر فكاير، " الغارات الاسبانية على مدينة تلمسان خلال النصف الأول من القرن السادس عشر " ، مجلة عصور الجديدة، ع2، 2011م، ص 233.

[5]يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 235.

[6]يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 81.

[7]أبو عبد الله الأعرج السليماني، تاريخ الجزائر بين قيام الدولة الفاطمية و نهاية ثورة الأمير عبد القادر، (ت ح)، مختار حساني،م.و.ج، د.ت، ص 195.

الكرة على تلمسان واستردها عام 1518م، وتمكن من قتل عروج و إسحاق الذي كان يرابط في قلعة بني راشد قرب مدينة معسكر[1].

وجد خيرالدين نفسه وحيداً خاصة وانه لم يكن ذو شعبية مثل أخيه عروج. فقرر كتابة رسالة إلى السلطان العثماني سليم الأول من أجل ضم الجزائر إلى الخلافة العثمانية، فمنحه السلطان الموافقة وجعله بايلرباياً (أمير الأمراء). وهي رتبة تخول صاحبها اختصاصات إدارية و سياسية واسعة[2]. وبذلك الحقت الجزائر رسمياً إلى الدولة العثمانية سنة1518م.

توجه خير الدين إلى تلمسان عام 1519م، ولكن أبا محمد سرعان ما استرد عرشه، إلى أن توفي عام 1524م. فخلفه على العرش محمد السابع، و لكنه انحاز إلى الإسبان ضد الأتراك بالجزائر[3].

بدأ خير الدين بغزو إمارة كوكو، فتمكن من ذلك سنة 1525م. وبعد ذلك وجه أنظاره إلى حصن البنيون في شهر ماي 1529 فقصفه، مدة أسبوعين وفي اليوم السادس عشر، تمكن من اقتحام الجزيرة في 27من شهر ماي.وقرر بذلك خير الدين إنجاز رصيف يربط الجزيرة باليابس.

نظم الإسبان حملة على شرشال بقيادة أندريا دوريا، سنة1530م، غير أن هذه الحملة انتهت بهزيمتهم. فكان رد فعلهم أن قاموا باحتلال هنين وانتزعوها من مملكة تلمسان التي كان على رأسها في هذه الأثناء الملك عبد الله الذي كان يميل إلى الأتراك[4].

---

[1] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 82.

[2] عائشة غاطس و آخرون، المرجع السابق، ص 24-25.

[3] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 82.

[4] صالح عباد، المرجع السابق، ص51_55.

بقي أفراد الأسرة الزيانية يوالون الإسبان تارة والأتراك تارة أخرى، إلى أن فرضت عليهم إسبانيا معاهدة بعدما احتلت تلمسان، تجبرهم فيها بدفع ضريبة سنوية. وأيضاً مساعدة القوات الإسبانية على التوسع في موانئ الجزائر بدعوى مقاومة الأتراك[1].

أثارت هذه المعاهدة المذلَّة، سكان تلمسان، وثاروا ضد الملك، فبرز أبو زيان أحمد الثاني الذي افتك العرش من أخيه عام1542م، بتأييد ومساعدة البايلرباي حسن باشا ابن خير الدين. وهرب الملك محمد السابع المعزول، ليستنجد بالإسبان. لكنه انهزم وأعاد الكرة في العام الموالي وتمكن من احتلال تلمسان عام 1544.

فما كان من سكان تلمسان إلاَّ أن بحثوا عن حليف يخلصهم مما هم فيه، خاصة وأن الصراع كان على أشده بين الإسبان وبين الأتراك على عرش تلمسان[2].

ومما زاد الأمر تعقيداً ظهور السعديين ومحاولتهم السيطرة على تلمسان. لكن حسن بن خير الدين أرسل قواته بقيادة حسن قورصو الذي ألحق بهم الهزيمة في حوض الشلف، وأرغمهم على الانسحاب إلى المغرب الأقصى[3].

دخل حسن بن خير الدين تلمسان، فعزل أبا زيان وولّى مكانه الحسن بن عبد الله عام957هـ/1550م، ولم تكن للسلطان حسن سلطة تذكر، وإنما كانت السلطة الفعلية للأتراك. وفي عام 962هـ/ 1554م، خلعه الأتراك وضمت تلمسان منذ ذلك الحين إلى حكومة الجزائر وانقرضت دولة بني زيان على يد آخر سلاطينها السلطان الحسن بن عبد الله[4].

---

[1] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص235.

[2] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص236.

[3] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص86_87

[4] د. م، موسوعة المغرب العربي، ط1، مج3،ج5، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994م، ص192.

بهذه الطريقة انتهت السلطة الشرعية بالمغرب الأوسط لصالح الأتراك، إلا أن الجهة الغربية لم تعرف الاستقرار، فقد ظلت الحروب قائمة بها إما بين الأتراك والأسبان وإما بين الأتراك والسعديين[1].

وخلاصة القول، فإن الظروف التي عاشتها الدولة الزيانية منذ تأسيسها على يد السلطان يغمراسن، جعلها تولي عناية خاصة بالجيش، فموقعها الوسطي بين دولتين معاصرتين لها جعل حدودها دائماً في حالة المد والجزر، كذلك العناصر المشكلة للجيش من القبائل البربرية والعربية والمسيحيين، لم تكن محل ثقة دائماً فبالتالي ساهمت أحياناً في إضعافها وانهزامها في العديد من الحروب.

إضافة إلى هذا طموح كل دولة من الدويلات الثلاث في السيطرة على المغرب الإسلامي بأكمله، أدى إلى النزاعات والحروب، التي نتج عنها ضعف الأطراف الثلاثة.

مع العلم أن الدولة الزيانية لم تكن تعاني من هذه المشاكل فحسب، بل كانت هناك حروب داخلية بين أفراد الأسرة الحاكمة، من أجل تولي السلطة والسيطرة على العرش. فالابن يقتل أباه، والأخ يقضي على أخيه لتلكالغاية.وبسبب تلك الصراعات انقسمت الدولة الزيانية إلى عدة إمارات.

[1]صالح عباد، المرجع السابق، ص73.

المبحث الثاني: الأوضاع العسكرية في الجزائر بعد ظهور الأتراك:

كانت البعثة التي أرسلها السلطان سليم الأول النواة الأولى لظهور الإنكشارية[1] بالجزائر.هذا الجيش الذي كان له دوراً في تسيير أمور الدولة، إلى جانب البحارة الذين لقبوا برياس البحر وكان لهم دوراً في التوسع في المدن الساحلية الجزائرية كما تولوا السلطة في الجزائر بداية من خير الدين بايلرباي.

من هم الإنكشاريون؟، وماهي فرقهم؟ وأماكن تواجدهم؟ ومتى ظهر الأسطول البحري؟ ومن هم أهم رياس البحر؟ وفيما تمثل دور كل منهما ؟ وكيف كانت علاقتهما مع بعضهما البعض؟. وذلك ما سنتعرض له فيما يلي:-

المطلب الأول: ظهور الإنكشارية ووضعها بالجزائر (الجيش البري):

تحتل المسألة العسكرية مكانة هامة في تاريخ الدول، لأنها إحدى الأعمدة الأساسية لأي كيان سياسي، وبحكم هذه الأهمية فإن حكام الجزائر طول الفترة العثمانية واجهوا أحداثاً سياسية خارجية وداخلية مرتبطة بهذه المسألة.

لقد كان توفير قوة عسكرية وبناء نظام حربي من الأولويات لتثبيت أركان الوجود التركي بشمال افريقيا والإيالة خاصة. وقد كان الجيش الإنكشاري هو العمود الفقري للجيش التركي بالجزائر في المرحلة الأولى، والذي يتكون من متطوعين جاءوا من المناطق التابعة للدولة العثمانية.

---

[1] الإنكشارية (يني كَري)yeniçeri. بمعنى القوات الجديدة، مصدرها الدرويش حاج بكتاش ولي صالح. وهي فيالق عسكرية تكونت من أبناء رعايا الدولة العثمانية تم جمعهم مابين السادسة والخامسة عشرة من عمرهم من مختلف الولايات العثمانية في أوروبا، في وقت معين من السنة. وكانت الفرقة الواحدة تسمى أوجاقات جمع وجق. ينظر:سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، (مر) عبد الرازق محمد حسن بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000م، ص41.

لقد وضع خير الدين النواة الأولى للجيش الإنكشاري،[1] عام 1520م. حينما أرسل السلطان سليم الأول، 2000 من الجنود الإنكشارية، وأتبعهم بعد ذلك بأربعة آلاف من المتطوعين من الرعية مع إعطائهم الامتيازات والحقوق المادية والأدبية التي يتمتع بها الجيش الإنكشاري في استانبول[2]. لتدعيم قوة "خير الدين"، المؤلفة آنذاك، من5000 جندي، لتثبيت حكمه وحماية موانئ الجزائر من الهجمات الاسبانية[3].

أرسل السلطان"سليمان القانوني" 40 سفينة تحمل 6000 جندي إلى الجزائر من أجل المساعدة على استعادة وهران والمرسى الكبير من أيادي الإسبان. ومنذ ذلك التاريخ لعبت الهجرة والتجنيد الطوعي من جميع أنحاء الإمبراطورية، وبشكل خاص الأناضول، دوراً هاماً في تزويد إيالة الجزائر بالعناصر العسكرية[4]. فكانت هذه المناطق الجديدة عامل جذب للعثمانيين بهدف تثبيت الوجود التركي بها.

كما أصبح للجزائر جيش إنكشاري خاص، عرف "بأوجاق[5] الجزائر" بجميع هياكله ومؤسساته وكان استقراره بمدينة الجزائر، حيث بنيت له ثكنات للإيواء ونظمت قوانينه وحددت أجوره.

---

[1] جمعي بودالي، الحياة السياسية والعسكرية لإيالة الجزائر في عهد البايلربايات (1518-1587)، رسالة ماجستير تخصص تاريخ حديث ومعاصر،إشراف.أ.د. لونيسي إبراهيم، جامعة الجيلالي اليابس، 2011م-2012م، ص71.

[2] حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، ط1، دار العهد، الجزائر،2007م، ص14.

[3] جميلة معاشي، الانكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، رسالة ماجستير تخصص تاريخ حديث،إشراف.أ.د. كمال فيلالي، جامعة منتوري قسنطينة،2007م-2008م، ص12.

[4] سعاد الحداد، دراسة مجموعة الأسلحة الخفيفة للفترة العثمانية المحفوظة بمتحف الآثار القديمة دراسة أثرية فنية، رسالة ماجستير في الآثار العثمانية، إشراف. د. عز الدين بويحياوي، جامعة الجزائر2، 2010م-2011م، ص21-22.

[5] أوجاق:كانون، موقد، فصيل من الجند، مكان خاص بالخضروات في البستان0 ينظر: محمود عامر"المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية"، مجلة دراسات تاريخية، العددان117-118،كانون الثاني-حزيران لعام2012م، ص364.لمزيد أكثر، ينظر سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، ص42.

أولاً: عملية التجنيد:

خول السلطان سليمان القانوني(1520م/1566م) ل"خير الدين بربروس"، حق التجنيد من مناطق الأناضول، ابتداء من سنة 1525م، ومنذ ذلك التاريخ أصبح للجزائر، وكالات خاصة منها خان إزمير يقيم فيه الموظفون المشرفون على جمع المتطوعين وإرسالهم إلى الجزائر،[1] وكان يطلق على هؤلاء اسم "**الدائيات**" الذين يرأسهم شخص يدعى "**الباش دائي**"، وهم من إنكشارية الجزائر يقودهم ضابط سامي أو أحد الموظفين السامين للإيالة، وكانت توضع تحت تصرفهم مبالغ مالية يتم جمعها عن طريق غنائم الجهاد البحري أو ممارسة التجارة في موانئ الإمبراطورية العثمانية وسواحل بحر إيجه[2].

عندما يشرع في تسجيل المتطوعين بإحدى المدن التركية، لا يقدم للمتطوعين عقوداً ولا التزامات تربطهم بالحكومة الجزائرية، فبينما تنصب الخيام المعدة لاستقبال الشباب –وهي علامة أصبحت من التقاليد بالمدن الساحلية التركية، ترمز إلى فتح باب التطوع- يمكن للمتطوعين أن يأتوا للأكل كل صباح ومساء كدليل على الارتباط، حتى يوم الإعلان عن الرحيل حيث يوزع عليهم الأكل مجاناً[3]، ويُوزّع الضابط المكلف بتسجيل المتطوعين عليهم بعض النقود لشراء ما يستحقونه ليومهم، ليظهر لهم حسن النية، كما يمنيهم بالحياة السعيدة والرخاء والجاه والثروة التي تنتظرهم بالجزائر[4].

---

[1] جميلة معاشي، المرجع السابق، ص12.

[2] محمد بوشنافي، الجيش الإنكشاري خلال العهد العثماني في الجزائر(1700م-1830م)،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث،إشراف.أ.د. بلقاسمي بوعلام، جامعة وهران، 2001م-2002م، ص43.

[3] علي خلاصي،المرجع السابق، ص118.

[4] مختار حساني وآخرون، المرجع السابق، ص165.

يتم التجنيد للعمل بالجزائر بطلب من حكامها وبترخيص من الباب العالي، وكان باستطاعة السلطان إيقاف التجنيد إذا أراد التأثير على ولاة الجزائر، في السياسة الخارجية للأوجاق.

لكن ونظراً لحاجة الدولة العثمانية لمزيد من الجند لحماية ولاياتها، وتضاءل دور عملية"**الدوشرمة**"[1] في تغطية هذه الاحتياجات، كان يسمح لإيالة الجزائر بتنظيم عمليات التجنيد بين مسلمي الأقاليم العثمانية[2].

عبرت عن هذا رسالة محمود الثاني إلى محمد باشا في 1241هـ/، أبلغه فيها عن تراجع الباب العالي عن قرار منع الجزائريين من تجنيد المتطوعين في الأناضول مقابل توقفهم عن اعتراض سفن رعايا الدولة العثمانية والدول التي لها علاقة مع الباب العالي[3]. واحترام الأتراك الجزائريين الذين يتوجهون إلى المدن العثمانية لزيارة أقاربهم وأداء فريضة الحج، وعدم طلب الرسوم الجمركية منهم في الموانئ التي تتبع الخلافة العثمانية[4].

والتجنيد في البداية كان يتم بين الشجعان والمستقيمين أخلاقياً[5]، كما يذكر حمدان بن عثمان خوجة في كتابه المرآة "من النادر أن تجد سارقاً أو قاتلاً من بين هؤلاء الجنود، وقد كانوا شديدي

---

[1] **الدوشرمة**:دوفشرمة، تعني الجمع، القطف، وقد طبق هذا النظام على الشبان المسيحيين0 ينظر: محمود عامر، المرجع السابق، ص373.

[2] جميلة معاشي، المرجع السابق، ص13.

[3] مختار حساني وآخرون، المرجع السابق، ص167.

[4] علي خلاصي،المرجع السابق،ص122.

[5] جميلة معاشي،المرجع السابق،ص15.

الحرص على احترام عادات البلاد ليحببوا أنفسهم إلى سكان الإيالة. ولأن مستقبلهم موقوف على حسن سيرتهم"[1].

لكن فيما بعد، أصبح التجنيد يفتح أمام المشردين والمجرمين الفارين من العدالة. خاصة في القرن التاسع عشر. فقد كان الباب العالي نفسه يشجع على ذلك لإبعاد العناصر المنحرفة عن أوطانهم محافظة على الأمن وتحويلهم إلى الولايات والأيالات البعيدة[2].

كانت عملية التجنيد تتم كل خمس أو ست سنوات كما يشير الرحالة الإنجليزي "**شاو**"shaw.. فقد بقي تجنيد العناصر من الأناضول وإرسالهم إلى الجزائر كبيراً طيلة القرنين 16 و17م، أي في عصر قوة الدولة العثمانية والإيالة الجزائرية معاً. غير أن عمليات التجنيد بدأت تتراجع في مطلع القرن 18م نظراً لضعف الإيالة وندرة مهاجمتها للسواحل الأوروبية[3]. ونظراً لحاجة الإيالة الماسة إلى الجند، عاد التجنيد بقوة خلال القرن 19م حيث أصبح يتم كل سنة تقريباً.

نلاحظ أن التجنيد الذي كانت تقوم به الجزائر في أراضي الدولة العثمانية، كان يخضع لطبيعة العلاقة بينهما، فكلما كانت العلاقة حسنة، يسير التجنيد وفق رغبات الجزائر والدولة العثمانية على حدٍ سواء. أما في حال سوء العلاقة بينهما، فإن السلطان العثماني يصدر قانون منع الجزائر من الاستفادة من التجنيد والمتطوعين.

لذلك نجد الجزائر في القرن 18م، تعاني من قلة الجنود، إضافة إلى ضعفهم، ما أدى بالحكام إلى الاستعانة بالأهالي من أجل الخدمة والمشاركة في الحروب.ومن ثمّ تشكل تشكيلات عسكرية أهلية أخرى.

---

[1] حمدان بن عثمان خوجة،المرآة، (تع) محمد العربي الزبيري، م. و. ف.م، الجزائر، 2006م،ص81.

[2] جميلة معاشي، المرجع السابق، ص15.

[3] سعاد الحداد، المرجع السابق، ص24.

ثانياً: عدد الجيش وتنظيمه في الثكنات:

لم يكن عدد القوة العسكرية ثابتاً في إيالة الجزائر، ففي هذا الصدد قدّم الرّحالة الأوروبيون، أرقاماً متباينة. فالدكتور"شاو"(Shaw) يقول "بلغ عدد القوة العسكرية العاملة في الجزائر مابين 25 إلى30 ألف عنصر ويصل العدد أحياناً إلى مائة ألف(100000)، يوزعون على النحو التالي من 15إلى 16ألف جندي تركي والباقي مؤلف من البدو المقيمين في القسم الجنوبي من الإيالة، والخاضعين لسلطة الداي..."[1]وهو نفس العدد، تقريبا الذي أشار إليه لوجي دو تاسي"l.detassy" الذي حدد القوات التركية بالجزائر ب12 ألف جندي[2].

إذن يصعب تحديد تعداد الأوجاق بالجزائر، لعدم استقرارهم جميعاً بالثكنات داخل مدينة الجزائر،ولاتوجد سجلات خاصة بالأتراك العثمانيين بالجزائر، مدنيين وعسكريين الذين يتلقون الأجور والمنح المخصصة لهم[3].

يسكن الجنود أو الميليشا التركية، في الثكنات تحت إشراف قوادهم، كل غرفة تحمل رقماً، ويسيّر كل كتيبة ثلاثة قواد، اسم الأول بولكباشي والثاني أوضاباشي والثالث باش يولداش. وعندما يتغيب أحدهم يستخلفه الآخر ويتولى تطبيق الانضباط[4].

---

[1] سعاد الحداد، المرجع السابق،ص24.

[2] De tassy (laugier)، Histoire du royaume d'Alger، amesterdam ،.p204

[3] جميلة معاشي، المرجع السابق، ص19.

[4] حمدان بن عثمان خوجة،المصدر السابق،ص82.

تحتوي كل ثكنة على مجموعة من الأوجاقات (أوجاقلر) يوزعون على مجموعة من الغرف (أوده). حيث بلغ عدد الثكنات في الجزائر ثمانية[1]، والجدول التالي يبين ذلك[2]:

إسم الثكنة	عدد غرفها	عدد جنودها	عدد أوجاقها
ثكنة المقرر	27 غرفة	899 جندي	48 وجاق
ثكنة باب عزون	28 غرفة	1661 جندي	63 وجاق
ثكنة صالح باشا	26 غرفة	1266 جندي	60 وجاق
ثكنة علي باشا	24 غرفة	1516 جندي	55 وجاق
ثكنة أوسطا موسى	31 غرفة	1833 جندي	72 وجاق
ثكنة يالي أو(Bord de la mer) تسمى أيضاً دار الدرج	15 غرفة	602 جندي	27 وجاق
ثكنة ايسكي القديمة	31 غرفة	1089 جندي	60 وجاق
ثكنة يني "الثكنة الجديدة"	19 غرفة	856 جندي	38 وجاق

لقد تمتعت الثكنة في الجزائر إبان العهد العثماني بحصانة فائقة. وتميزت باتساعها ونظافتها، إذ سخر البايليك لخدمة الإنكشارية في الثكنات الأسرى المسيحيين حيث كانوا

[1] عائشة غطاس وآخرون،المرجع السابق،ص76.

[2] لعربي مجاهد، الحزام الدفاعي لمدينة الجزائر في الفترة العثمانية – برج الكيفان أنموذجاً –، رسالة ماجستير تخصص الآثار الإسلامية،إشراف.أ.د. بويحياري عز الدين، جامعة الجزائر، 2007م-2008م، ص42.

يصهرون على نظافتها دائما. ولم يكن هؤلاء الأسرى ليشكوا من حالهم في الثكنات لأن الجند كانوا يعاملونهم معاملة حسنة[1]. أما الجند المتزوجون فكانوا يفضلون اكتراء دور في المدينة أو ضواحيها.

كما كانت رواتب الإنكشاريين تتراوح بين أربع دوبلات وأربعين دوبلة[2]، وذلك على مدى القرن السابع عشر، وكانت هذه الرواتب ترفع تدريجياً كل شهر وكذلك في مناسبات عديدة[3]. وتدفع أجور الجند بحضور رئيس الديوان. لأن خزينة الدولة، في الجزائر لا تفتح إلا بحضور الخوجة أو موثق الدولة وبحضور لجنة خاصة يكون لكل عضو فيها مفتاح وكلما استدعيّ رئيس الديوان جاء لتقييد المداخيل والمصاريف[4].

كانت الرواتب تبلغ أقصاها في فصل الربيع حيث توزع على الانكشارية بعض الترضيات من عوائد القرصنة البحرية وعوائد الدنوش، وتدوم عملية دفعها 40 يوماً دون انقطاع في شكل حفل تكريمي تحت خيمة شرفية يشرف عليها الخزناجي والموظفون السامون بحضور فرقة موسيقية وضباط سامون ورئيس الدولة، ومن بين شروط توزيعها انضباط الجندي الإنكشاري والتزامه واحترامه للقواعد العسكرية[5].

---

[1] عائشة غطاس وآخرون، المرجع السابق، ص77.

[2] تسمى بالدينار الخمسيني. قيمة 1 دوبلة سنة عادلت 5،0 livre بريطاني سنة 1634م.

[3] أمين محرز،الجزائر في عهد الآغوات(1659م-1671م)،رسالة ماجستير تخصص تاريخ حديث،إشراف.د.عائشة غطاس،جامعة الجزائر، 2007م-2008م،ص11.

[4] حمدان بن عثمان خوجة،المصدر السابق،ص84.

[5] حسان كشرود، رواتب الجند وعامة الموظفين وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر العثمانية من 1659 إلى 1830م، رسالة ماجستير تخصص تاريخ حديث، إشراف فاطمة الزهراء قشي، جامعة منتوري قسنطينة، 2007م-2008م، ص71-72.

وكانت الترقية في سلم الرتب العسكرية تتم وفق الأقدمية، ولا يؤخذ اعتبار البتة للمقدرة والمعايير الشخصية الأخرى. وحسب ما تفيد به المصادر، كان نظام التدرج في الرتب يتم كل 03 سنوات ويتسلسل على النحو التالي[1]:

يولداشyoldas الذي هو أدنى رتبة في الأوجاق، وبعد ثلاث سنوات فإن اليني يولداشyeniyoldas (اليولداش الجديد) يحييه رفقاؤه بمثابة ايسكي يولداشyoldaseski (القديم). وفي خلال ثلاث سنوات أخرى يصبح باش يولداشBazyoldaz أو رئيس فرقة الخيمة seffara التي تتكون من ستة عشر إلى عشرين جندي، وهي المجموعة القاعدية للوحدة الإنكشارية.

وبعد ذلك فإن كل ترقية في رتبة الأوجاق تأتي بالتدرج وتعرف مسبقاً كنتيجة للأقدمية، وهذا حتى يصل الجندي الخاص إلى رتبة فيكيلهارجيvekilhardji (عريف أول).

أما بالنسبة للضباط فهي خمس رتب أولها،أوداباشيodabasi(ملازم أول) ثم بولوكباشيbolukbasi(نقيب)، فأغا باشي aghabasi (رائد)، ثم كاهيا(عقيد). ثم آغا(الجنرال). وكل آغا يبقى في وضعيته لمدة شهرين يصبح بعدها عضوا في الديوان ثم يخلفه أقدم كاهيا[2].

كان الآغا في قمة التسلسل العسكري العثماني في الجزائر، فحامل هذا اللقب يوصف بأنه قائد الجيش وحامي العدالة،وكان"الآغا" يقبض مرتبا مهماً ويتمتع بالاحترام العام. وقد وصل الأغوات إلى رأس السلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر بين عامي 1659م-1671م. وكان الآغا يدير الحكم خلال فترة شهرين فقط يحمل بعدها اسم "معزول آغا"[3].

---

[1] أمين محرز، المرجع السابق، ص12.

[2] وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، (تع) عبد القادر زبادية، دار القصبة، الجزائر، 2007م، ص68-69.

[3] سعاد الحداد، المرجع السابق، ص27.

وكانت الأسلحة المستعملة لدى الجيش تتمثل في الأسلحة النارية، من بنادق والأسلحة البيضاء من سيوف وخناجر، إذ تستعمل أثناء التحام الجنود بصفوف العدو. كما أنهم استعملوا المدافع وهي أسلحة ثقيلة، ظهرت وتطورت مع الوقت[1].

ارتبط ظهور الإنكشارية بالجزائر، بانضمامها للدولة العثمانية، إذ بمجرد قبول السلطان العثماني سليم الأول، انضمام الجزائر إلى إمبراطوريته. بادر بإرسال أول بعثة من الجيش الإنكشاري، والتي شكلت النواة الأولى والأساس لإنشاء جيش إنكشاري خاص بالجزائر.

وتطورت بعد ذلك الأوضاع لتقوم الجزائر بتنظيم عمليات التجنيد في الأراضي العثمانية باسمها الخاص وعن طريق دائياتها. فكانت هذه العملية كورقة ضغط تملكها الدولة العثمانية وتستعملها متى دعت الحاجة إلى ذلك أو في حالة العصيان والخروج عن الطاعة للباب العالي.

وكان الجنود القادمين للجزائر يقيمون في الثكنات مع باقي الجند. ومن لحظة قدومهم تبدأ عملية تدرجهم في سلم الرتب العسكرية. فكانت الترقية تخضع لقوانين محكمة وتسير حسب الأقدمية والخبرة، والأخلاق التي يتمتع بها كل فرد.

المطلب الثاني: البحرية الجزائرية:

لم تكن البحرية الجزائرية وليدة انضمام الجزائر إلى الإمبراطورية العثمانية، فقد كانت قديمة قدم الوجود الجزائري على سواحل المتوسط حيث اهتمت ممالك الغرامنتوالنوميدوالموريطانيين بالبحرية وأصبحت أكثر قوة أيام الرستميين والموحدين. إلاّ أن قوتها الحقيقية بلغت أوجها خلال القرن 16م.

ساهمت الظروف التي كانت سائدة آنذاك (سقوط غرناطة وهجرة الأندلسيين إلى سواحل شمال أفريقيا) إلى تغيير كبير في الوضع، وذلك بقدوم الأتراك واتخاذهم الجزائر مركزاً متقدماً في صراع الإمبراطورية العثمانية والاسبانية على الحوض الغربي للمتوسط.

[1] حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص41-43.

بذلك بدأ عهد جديد[1]، اتسم فيه النشاط البحري بصفة القرصنة[2]، والدفاع والتحرش، وشيئاً فشيئاً تحول إلى أحلاف كبيرة تشارك فيها بلدان عديدة وانتقلت الجزائر من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم، وأخذت قوتها البحرية تضرب أوكار القراصنة الأوروبيين في عقر ديارهم وعلى شواطئ بلدانهم[3].

ولم يكن اهتمام الجزائر بالجيش البري أكثر من اهتمامها بالأسطول[4] الذي كان يشكل محوراً أساسياً في قوتها العسكرية وجعل منها قوة بحرية من الطراز الأول. ولقد كان أمراً طبيعياً لصد هجومات الأساطيل الأوروبية المتكررة من جهة، وخدمة الإستراتيجية العثمانية في البحر الأبيض المتوسط من جهة أخرى[5].

---

[1] سعاد الحداد، المرجع السابق، ص28-29.

[2] القرصنة: لصوصية البحر: والقراصنة ليسوا سوى لصوص وقطاع طرق ومغامرين. يهدفون إلى الاستيلاء على الأملاك والممتلكات دون أي اعتبار ديني وسياسي. والمتأمل في العمليات العسكرية التي كان يقوم بها البحارة العثمانيون وغيرهم، يلاحظ أنها كانت تهدف إلى الدفاع عن المسلمين في السواحل الإسلامية والمساهمة في إنقاذ المسلمين في الأندلس والانتقام من سفن وسواحل الدول والممالك المعادية. فهي إذن عمليات عسكرية يقوم بها أفراد مسلمون قبل أن ينتظم ذلك ليتحول إلى حالة حرب مفتوحة على كل الجبهات بين الدولة العثمانية انطلاقا من الجزائر ثم من تونس وليبيا من جهة، وبين اسبانيا وغيرها من الممالك الموالية لها من جهة ثانية. ينظر: خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، ط1، تر:محمد دراج، شركة الأصالة للنشر، الجزائر،2010م، ص 10.

[3] جمعي بودالي، المرجع السابق، ص84.

[4] الأسطول:أطلق على مجموع السفن وهو لفظ يوناني (stolos) نقل إلى العربية، ويقال له أيضاً عمارة.للمزيد،أنظر:سرحان حليم الطالب، تطور صناعة السفن الحربية بالجزائر على عهد العثمانيين (1514م-1830م) من خلال المصادر التاريخية والأثرية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2007م-2008م، ص117-118.

[5] حنيفي هلالي، المرجع السابق، ص44.

فيذكر جون ب.وولف أن البحارة الأوائل هم المهاجرين من الأندلس الذين رفضوا اعتناق المسيحية. لكن الحقيقة أنهم دعموا البحرية وليسوا هم الأوائل. وبعد ذلك جاء عروج وخير الدين بربروس ودرغوث، أولئك الذين قادوا أساطيل مؤلفة من عشرة إلى خمسة وعشرين سفينة[1].

أولاً: أسباب قوة البحرية الجزائرية:

تعود قوة البحرية الجزائرية في العصر الحدي إلى عدة أسباب منها:

1- موقع الجزائر وطبيعة سواحلها المفتوحة على أوروبا والمتحكمة في الحوض الغربي للبحر المتوسط[2].

2- الظروف الدولية والمتمثلة في التنافس بين الدول الأوربية والإمبراطورية العثمانية وما انجر عن ذلك من صراع وتوترات، مثل العداوة بين فرانسوا الأول ملك فرنسا والإمبراطور شارل الخامس(1516م-1556م) عاهل اسبانيا وجرمانيا، وكذلك التنافس الهولندي-الفرنسي-الإنجليزي، فيما بعد على المستعمرات والسيطرة على التجارة العالمية أثناء القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين.

3- تجنيد الأوروبيين في البحرية الجزائرية والذين اصطلح على تسميتهم بالأعلاج(Rénégats)[3].فقد كانوا يشكلون حوالي ثلثي الشخصيات القيادية في أسطول

---

[1] جون ب. وولف، الجزائر وأوروبا 1500م-1830م، (تر) أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص180.

[2] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2000م، ص 190.

[3] أعلاج: أطلقت في العهد العثماني على المرتدين على المسيحية والملتحقين بالإسلام.

[4] حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص45.

البحارة، فمن جملة ستة وثلاثين رايساً بحرياً يقودون السفن ذات خمسة عشر مجدافاً فأكثر، كان اثنان وعشرون منهم من الأعلاج[1].

4– الاستعداد النفسي والإيمان بحق الدفاع عن حرمة الإسلام بعد انهيار الأندلس والتحرش الإسباني بالسواحل، وقد كان في طليعة من تطوع لركوب البحر لمواجهة سفن النصارى، أهالي المدن الساحلية وعلى رأسهم جماعة الأندلسيين وطائفة الأتراك. ومن التحق بهم من الأعلاج.

5– استخدام البحارة الجزائريين الأساليب الحربية الملائمة مثل الالتجاء إلى الغارات المفاجئة واستعمال بنادق البارود السريعة الطلقات والمدافع الخفيفة في هجوماتهم[2]، واعتمادهم على السفن الصالحة للقرصنة والدفاع عن السواحل وذلك بالتخلي عن السفن الضخمة البطيئة التي لا تصلح للمناورة أثناء المعركة[3]، منها الغليوطات[4].

6– مهارة البحارة الجزائريين وكفاءتهم الحربية ومقدرتهم القتالية العالية التي مكنتهم من تحقيق انتصارات حاسمة، ومن هؤلاء قارة حسن، محي الدين رايس، صالح رايس، سنان رايس، حسن آغا، حسن بن خير الدين، حسن قورصو[5]، علي بتشين والرايس حميدو وغيرهم. وبفضل هؤلاء الرياس أضحت البحرية الجزائرية مدرسة رائدة للبحرية الإسلامية في العهد العثماني[6].

اكتسبت البحرية الجزائرية مكانتها من خلال عملية الإنقاذ التي كانت تقوم بها. كذلك المواجهات المتكررة مع الدول الأوروبية، خاصة إسبانيا وإلحاق الهزائم بها عدة مرات.

---

[1] جون ب.وولف، المرجع السابق، ص183.

[2] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص190-191.

[3] صالح عباد، المرجع السابق، ص321.

[4] الغليوطة هي مركب لا يتعدى عدد مصاطبه 25 ومدافعها حوالي 20 ولا يتجاوز عدد بحارتها الثلاثين.

[5] حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص46.

[6] المنورمروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني القرصنة- الأساطير والواقع، ج2، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009م، ص66.

تكونت البحرية الجزائرية في العصر الحديث من ثلاثة مصادر أساسية وهي المرتزقة المسيحيون وهم الأعلاج، والمسلمون من مناطق الإمبراطورية العثمانية، ثم الأقلية وهم الجزائريون من سكان الإيالة.

كما أن إدارة البحرية الجزائرية تسيّر من طرف طاقم يتكون من وكيل الحرج، القبودان، قائد المرسى وواردیان باشي[1].

ثانياً: السياسة الإستراتيجية للبحرية الجزائرية:

منذ بدايتها لعبت البحرية دورا هاما، ولقد تطور أدائها باكتشاف البارود ومختلف استعمالاته في الحروب البحرية. وشكل القرن السادس عشر الميلادي، القرن الذهبي للنشاط البحري عموما وللقرصنة تحديداً[2].

إذاً فالسياسة الإستراتيجية لقوة البحرية الجزائرية تتمثل في:

الأسطول البحري الذي تطور منذ القرن 16م وأوائل القرن17م[3]، فقد عمل البحارة على تطوير السفن وتنظيمها، واعتمدوا في معظم حروبهم على الكادرغات[4]، فالأضرار التي ألحقها ألحقها الرياس بأعداء الدولة العثمانية، يصعب بل يستحيل تقديرها أو حساب النتائج التي ترتبت

---

[1] حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص47-55.

[2] سعاد الحداد، المرجع السابق، ص28.

[3] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص193.

[4] كادرغة: نوع من السفن في الأسطول العثماني. كان أكبرها، وكان يسمى في الأساطيل الأجنبية بالغالي أو غالر. لكل واحدة منه خمسة وعشرون مقعداً وتسعة وأربعون مجدافاً، يحرك المجداف الواحد أربعة أو خمسة أشخاص. وكان طول الواحدة منها 165- 168 قدماً وعرضها 21- 22 قدماً. كانت تعمل بالمجداف والشراع. وتحمل الواحدة منها مدفعية كبيرة وأربع وسطى وثماني صغيرة، ويعمل فيها196 مجدّفاً و100 محارب، و35 بحاراً بالإضافة إلى أصحاب المهن الأخرى. ينظر: سهيل صابان، المرجع السابق، ص172.

عنها. ففي سنة 988هـ/1580م بلغ عدد سفن القراصنة الجزائريين خمساً وثلاثين قادرغة وخمساً وعشرين فرقطة (فرقاطة)[1]. إضافة إلى عدد من السفن الأخرى والمسلحة بأسلحة متنوعة.

أما الأسرى المسيحيون فهم الذين وقعوا في الأسر وقدر عددهم بمدينة الجزائر وحدها بحوالي 25 ألف نسمة طيلة القرن17م، أي ما يعادل ربع سكان المدينة البالغ عددهم آنذاك حوالي مائة ألف نسمة، وكان هؤلاء الأسرى موزعين بين مصالح البايليك وسكان المدينة وجلهم كان يتوجب عليه قضاء الليل في سجون البايليك الأربعة التي أنشئت خصيصاً لهذا الغرض منذ سنة 1607م، وقد كان أغلب هؤلاء الأسرى يطلق سراحهم مقابل فدية وبعضهم اعتنق الإسلام ففي سنة 1643م ما يقارب8000 اعتنقوا الإسلام من مجموع 25000 أسيرا. وقد كانوا يقومون بالخدمات الاجتماعية والمهام الاقتصادية داخل مدينة الجزائر[2]. مثل العمل كحراس أو خدم. كذلك الخدمة في الحجارة عبر طرق الأيالة، وفي ضيعات الدولة، أو في دار الصناعة بالجزائر وورشة بناء السفن[3]

كانت الفدية التي تقدم لافتداء الأسرى، جزءاً من مداخيل الدولة، وبالتالي انعكس ذلك إيجاباً على البحرية، وذلك من خلال إيجاد مصدر لتمويل الحروب البحرية التي كان يخوضها الأسطول الجزائري إلى جانب الدولة العثمانية ضد الدول الأوروبية المعادية لها.

كما كان الأسرى ورقة ضغط بيد الجزائر تبرز من خلالها قوتها بالتحكم فيهم وإجبارهم على عقد اتفاقيات من أجل احترامها. كما أدت العلاقات السيئة في عدة مناسبات بين القناصل

---

[1] الفرقاطة وهي نوع من أنواع السفن الحربية الرفيعة والثقيلة، تسع من 10 إلى 17 مجداف ويعمل على كل مجداف شخصان، سعتها أثناء الحرب 80 شخصاً وعليها رئيس ووكيل وبحار وموجه وشاويش ، وهي تزود من 4 إلى 8 مدافع متنوعة، ونظراً لسرعتها تستخدم لنقل الأخبار بين السفن أثناء المعارك. ينظر:عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، ط1، (تر) محمود علي عامر، بيروت:دار النهضة العربية، 1989م، ص149.

[2] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص194.

[3] حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري...، المرجع السابق، ص 64.

الأوروبيين والدايات إلى اشتداد الوطأة على الأسرى، ففي عهد الداي إبراهيم(1732-1745م) أمر بوضع السلاسل على جميع المقبوض عليهم ويبعث بهم إلى العمل الشاق حتى حصول الموافقة على مبلغ أعلى للافتداء[1].

كان أسطول القرصنة البحرية مورداً مهماً للغنائم التي عرفت وفرة في القرن 16م، فالرياس أثناء غزواتهم كانوا يحصلون على غنائم كثيرة، وهذه الغنائم عمت فائدتها على جميع سكان المدينة، ويقول هايدو:"عندما كان الرياس يعودون من غزواتهم كانت المسرة والفرحة تعم الجميع، فالتجار يشترون الأسرى والمجوهرات والتحف الثمينة التي أحضرها القراصنة معهم، والتجار يبيعون الألبسة والأرزاق للقادمين الجدد، فيكسبون من جراء ذلك أرباحاً كبيرة، وكان كل شخص من سكان المدينة يتذوق لذة الفرح والسعادة، وهذا ما دفع الجميع إلى إظهار حبهم وإخلاصهم للقراصنة " [2].

لكن فيما بعد تدهورت الأرباح من الحملات البحرية. ذلك أنه بعد الصراع على العرش في إسبانيا، وبعد أن أصبح الانكليز متمركزين بقوة في البحر الأبيض: جبل طارق، وجزيرة ماهون، وبعد أن حصن الفرنسيون قواعدهم في طولون ومرسيليا، أصبح الهجوم على التجارة الإنكليزية أو الفرنسية من طرف الأسطول الجزائري غير آمن. لأن الانجليز والفرنسيين أصبحت أساطيلهم تضاهي الأسطول الجزائري في القوة والتنظيم والدقة وأصبحوا مستعدين لأي هجوم من طرف الأعداء[3].

ومن مظاهر السياسة الإستراتيجية للبحرية أن الدولة الجزائرية فرضت على الأمم الأوروبية المتعاملة معها تجارياً إتاوات، مقابل السماح لها بحرية الملاحة في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وإعطاء تجار تلك الدول امتيازات خاصة، منها تخفيضات على الرسوم الجمركية، وهذا ما ينفي صفة

[1] حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 65.

[2] التر عزيز سامح، المرجع السابق، ص150.

[3] جون ب. وولف، المرجع السابق، ص191.

اللصوصية والقرصنة أو الاعتداء على حرية التجارة العالمية عن البحرية الجزائرية، والتي حاول الكتاب الأوروبيون إلصاقها بالبحارة الجزائريين، لتبرير تحرشاتهم والتمهيد لاعتداءاتهم[1].

فقد اشترى الهولنديون والدول الأوروبية الأخرى التجارية حصانتهم من الهجوم بدفع إتاوة في شكل نقود أو معدات حربية. بل حتى جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية الناشئة وقعت معاهدة سنة 1795م تنص على دفع إتاوة خاصة للجزائر[2].

اكتسبت البحرية الجزائرية قوتها من خلال أعمال البحر والفرص التي كانت تمنحها لها الدول الأوروبية التي كانت آنذاك في صراع مع بعضها البعض. إذ أن ضعف هذه الدول نشط الأسطول، الذي تطور بفضل الرياس شيئاً فشيئاً، فمن عملية إنقاذ لمسلمي الأندلس وحماية سواحل شمال أفريقيا إلى اكتساب الغنائم وخوض الحروب البحرية الكبيرة مثل معركة ليبانتLépante في اليونان في 09 أكتوبر 1571م، وفي الحروب الروسية العثمانية سنة 1787م. وفي معركة الدولة العثمانية لطرد نابليون من مصر. كذلك في سنة 1619 اكتسح الأسطول الجزائري الجزيرة البرتغالية ماديرا على المحيط الأطلسي، وفي سنة 1631م أغلق البحارة مدخل بحر المانش وأخذوا أسرى من بحر الشمال[3]. التي من خلالها امتلأت الخزينة الجزائرية وأصبح معظم السكان والبحارة يتمتعون يملكون أموال كثيرة.

إذ بلغت البحرية أوجها في القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر. كما تعتبر مرحلة البايلربايات أزهى تلك الفترات، لأن رياس البحر كانوا هم أنفسهم حكام الإيالة.

إن عملية الأسر والحصول على الغنائم، كذلك الإتاوات والهدايا تعكس مدى القوة والسلطة التي وصلت إليها البحرية الجزائرية في فترة من فترات الحكم التركي بالجزائر.

---

[1] حنيفي هلالي، المرجع السابق، ص71.

[2] جون ب. وولف، المرجع السابق، ص191.

[3] مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830م، ط2، ج1، دار الأمة، الجزائر، 2007م، ص- ص 73-74.

المطلب الثالث: دور الإنكشارية ورياس البحر في بناء الدولة:

سنحاول في هذا العنصر إبراز مختلف المهام والأدوار التي كان يقوم بها الجيش الإنكشاري ورياس البحر على رأسها حماية الإيالة وتثبيت أركانها وكذا العلاقة المتداخلة بينهما. ودور ذلك في مد السلطة بالاطارات لشد الدولة.

أولاً: أدوار الجيش الإنكشاري في بعث الاستقرار:

للجيش الإنكشاري مهمة أساسية، توكل لأي جيش نظامي في أي دولة كانت وهي حماية الدولة من أي عدوان خارجي والسهر على استتباب الأمن داخل أرجاء الوطن، إضافة إلى مهام أخرى. وهذا من باب الواجب العسكري الذي يقوم به الانكشاري[1].

فمنذ ظهور العثمانيين بالجزائر بدأ الحكام في تأسيس الحاميات العسكرية بربوع البلاد لما لها من أهمية كبرى وإستراتيجية داخل الإيالة. وتفيد الدراسات أن عروج هو أول من فكر في إقامة مراكز الحاميات في المناطق التي تم إخضاعها لسلطانه، فشيد حامية بشرشال مكونة من مائة جندي، وأخرى بقلعة بني راشد أوكلت قيادتها لأخيه إسحاق لتكون مركز العودة أثناء غزوه تلمسان[2].

والإنكشاري هو جندي أيام الحرب، وجابي للضرائب من الريف أيام السلم، وفي نهاية حياته العملية يتحول في أغلب الأحيان إلى الأعمال الإدارية، التي قد يصل من خلالها إلى أعلى المناصب السياسية في الدولة.وهذه الوظائف تدر على أصحابها أموالاً طائلة وجاهاً كبيراً [3].

ففي الجانب العسكري تقوم الإنكشارية بحملات عسكرية في المناطق البعيدة عن السلطة المركزية بهدف إخضاع القبائل المتمردة أو الثائرة، وإجبارها على دفع الضرائب[1]. حيث توجه المحلات إلى

---

[1] عائشة غطاس وآخرون، المرجع السابق، ص81.

[2] حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص107.

[3] جميلة معاشي، المرجع السابق، ص09.

البايليكات، وتختلف مدة كل محلة عن الأخرى، ففي بايليك التيطري تبقى المحلة فيه شهرين لأنه بايليك صغير وفقير، ثم تعود إلى الجزائر. وتبقى تلك الموجهة إلى معسكر بايليك الغرب أربعة أشهر، أما المحلة الموجهة نحو قسنطينة فتبقى ستة أشهر. والملاحظ هنا أن الإنكشاري لابد أن يؤدي واجبه في المحلات الثلاث ثم يعين بعد ذلك في النوبات[2].

إضافة إلى المحلات التي كانت تجوب أرجاء الإيالة، فإن الحاميات التي أقامها عروج اكتسبت أهمية كبرى واستراتيجية داخل الإيالة، لأن هذه الحاميات مكنت الترك من تركيز وتثبيت وجودهم في كامل التراب وخاصة في المدن الكبرى أو في الأبراج المتمركزة في النقاط الإستراتيجية لمراقبة السكان. كما أنها انتشرت بشكل كبير في أواخر العهد العثماني بالجزائر، ويرجع ذلك إلى القوة والخطورة التي أصبح يشكلها السكان على القوات الإنكشارية، ففي العهود الأولى كانت هذه الفرق تجوب أنحاء البلاد بكل حرية لإخضاع المتمردين حتى في المناطق المحصنة طبيعياً، بفضل سياسة التحالفات مع القبائل وامتلاكها للأسلحة النارية، غير أن الأوضاع تغيرت بعد ذلك نتيجة امتلاك الجزائريين للأسلحة النارية[3].

برز الجيش الإنكشاري كقوة وذلك من خلال تصديه لحملات الدول الأوروبية خاصة اسبانيا التي كانت دائمة الهجوم على الجزائر، من ذلك حملة 1541م لغزو الجزائر والتي قادها شرلكان، لغسل عار هزيمته في بروزة[4]. كما كانوا يقومون بغارات من وهران والمرسى الكبير الذي

---

[1] حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص108.

[2] عائشة غطاس وآخرون، المرجع السابق، ص84.

[3] محمد بوشنافي، المرجع السابق، ص167-168.

[4] مذكرات خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص12.

بقي تحت سيطرتهم حتى 1792م تاريخ تحرير وهران. فواجهت الجزائر خلال 1775م-1784م ثلاثة حملات، إلاّ أن إسبانيا منيت بالهزيمة والفشل فيها[1].

لا يمكننا أن نقول هنا أن الجيش الإنكشاري كان له الدور الكبير والفعال في التصدي لحملات الأوروبيين، إلا أنه في نفس الوقت لا يمكننا أن ننكر مشاركته إلى جانب رياس البحر والأهالي في أداء واجب الحماية وحفظ الأمن للإيالة. مع العلم أن الجيش في أواخر القرن 18م، قد بدأت ملامح الضعف تسري بين صفوفه بسبب انعدام الكفاءة والخبرة والأخلاق لدى الجند المستقدمين من الولايات العثمانية.

والدور الآخر للجيش الإنكشاري تمثل في الدفاع على مدينة الجزائر وحمايتها من الواجهة البرية والبحرية والذي وقع على عاتق الجيش الإنكشارين وبفضل إفشال كل المحاولات الأوروبية المسيحية للاستيلاء عليها، فقد عرفت مدينة الجزائر باسم "**الجزائر المحروسة**" أو "**الجزائر المنصورة**"، فقد كانت عبارة عن قلعة جيدة التحصين يصعب على أي عدو اقتحامها، رغم أنها كانت دائمة التعرض للاعتداءات الخارجية القادمة من البحر، مما جعلها دائمة التأهب لصد هذه الهجمات وردها خائبة[2]. مثل حملة الإسبان على ميناء الجزائر في عهد الملك كارلوس وفشلها أمام الجيش الذي قاده عروج[3].

إلاّ أن هذا الدور الإيجابي للجيش الإنكشاري لم يدم طويلاً، فسرعان ما انتشرت بين صفوفه ظاهرة جديدة، تمثلت في العزوف عن الخدمة العسكرية، والتي ساهمت بدورها في تراجع معنويات

---

[1] يحي بوعزيز، المراسلات الجزائرية الاسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد (1780م-1798م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م، ص22-25.

[2] محمد بوشنافي، المرجع السابق، ص172.

[3] مذكرات خير الدين، المصدر السابق، ص77.

الجيش وعجزه عن أداء مهامه، وكان يتم العزوف إما لأجل رعاية مصالحهم وتجارتهم بالجزائر أو الهروب دون الالتحاق بوحداتهم[1].

سياسياً تجلّى دور الجيش الإنكشاري في تولي قادته المناصب الإدارية، حيث نجد آغا الإنكشارية، وهو القائد العام للإنكشارية من الناحية الإدارية والنظامية، له سلطة مطلقة عليها، فهو الذي يوقف الإنكشاري أو يعاقبه أو يوقف أجرته، وفي هذا الشأن فإن الباشا نفسه لا يصدر عقوبة ضد الإنكشاري إلاّ بواسطة الآغا. ويمكن لهذا الأخير أن يبطل عقوبة صدرت ضد الإنكشاري من القاضي الحنفي. مع هذا فإن الآغا عرضة للتنحية في أية لحظة، ففي أوت 1579م طرد الإنكشاريون مثلاً أربعة آغوات لا لشيء إلاّ لأن هؤلاء الإنكشاريون زعموا أن سيرة نسائهم كانت سيئة قبل زواجهن[2].

وقد بدأ نفوذ الأوجاق بشكل تدريجي يتعاظم في الديوان العام، حيث كان أغلب الأعضاء من ضباط الإنكشارية، وزاد إدراك عناصره لأهميتهم ومقدرتهم العسكرية والسياسية، فأخذوا يقحمون أنفسهم في السياسة العليا للدولة.

والظاهر أن أول تدخل للإنكشارية في القضايا السياسية، هي الأحداث التي أعقبت وفاة صالح رايس(1552- 1556م)، فقد ولّى أعضاء الديوان، كاهيته حسن قورصو، لكن السلطان العثماني أرسل والياً جديداً وهو"تكلرلي محمد باشا. فاتخذ الديوان قراراً يقضي برفض الوالي الجديد وإبقاء حسن قورصو على رأس الأيالة[3]. ومنذ ذلك الحين بدأت الإنكشارية تتدخل في الأمور السياسية.

---

[1]فاطمة شيخ، الصورة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للجزائر في عهد الداي حسين باشا (1818م-1830م)، رسالة ماجستير تخصص تاريخ حديث ومعاصر، إشراف.أ.د. حنيفي هلايلي، جامعة سيدي بلعباس، 2011م-2012م، ص11.

[2]صالح عباد، المرجع السابق، ص313.

[3]أمين محرز، المرجع السابق، 21.

لكن يبدو أن توسع صلاحيات ديوان الإنكشارية أدى في الأخير إلى تمرد الإنكشارية على إبراهيم باشا سنة 1659م، حيث ألقوا القبض عليه ورموه بالسجن. وتولى البولكباشي خليل أول آغا، وبذلك بدأ عهد الآغوات الذي امتد بين 1659م-1671م [1]. كذلك تولى الإنكشارية منصب الداي في عهد البدايات وهذا بعد إجبار حسن ميزومورتو(1683-1688م) على الاستقالة، واستمروا في المنصب إلى سنة 1830م.

لكن منذ التمرد على الباب العالي وطرد إبراهيم باشا، المعين من قبل السلطان، ضعفت العلاقة بين الجزائر والباب العالي، وان لم تنقطع بسبب الحاجة إلى شرعية الخلافة الإسلامية، والحاجة إلى التجنيد من الأناضول، وهو ما عبر عنه عمر باشا، داي الجزائر في رسالة إلى السلطان، يقول فيها بأن طاعة السلطان مستمرة، لكن دون المساس بشرف الإنكشاريين. إذ لم يولد استقلال الجزائر عن الباب العالي نفس الاستقرار الذي نعمت به كل من تونس وطرابلس، بعد استقلالهما، بل كان استقلال الجزائر عن الباب العالي سبباً في تفاقم الاضطرابات السياسية وانتشار الفوضى وتعدد الانقلابات والثورات، وهو ما دلت عليه الاغتيالات التي راح ضحيتها، كل الآغوات(1659م-1671م) ومعظم الدايات(1671م-1830م)[2].

كان استقرار الجزائر يتوقف على الجيش البحري والبري على حدٍ سواء، إلاّ أن هذا الأخير بدأ يضعف لعدة عوامل أولها مسألة التجنيد في أواخر العهد العثماني، حيث فتح باب التجنيد على مصراعيه، ما أدى إلى تكوين فرقة من المرتزقة همها الوحيد جمع الأموال. إذ سمح للأهالي بالانخراط في الجيش بسبب تراجع عملية التجنيد من أراضي الإمبراطورية، وانتشار المجاعة والأوبئة التي أدت إلى تناقص أفراد الإنكشارية[3]. ويؤكد ذلك إصدار"حسين باشا" قانون سنة

---

[1] صالح عباد، المرجع السابق، ص127.

[2] جميلة معاشي، المرجع السابق، ص43-44.

[3] حنيفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الإيالة 1815م-1830م، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2007م، ص61-65.

1827م يجيز فيه تسجيل كل فارس ومحارب في سجلات ودفاتر جند الإنكشارية فانخرط بذلك 200 فارس[1].

لقد سبب وجود الإنكشارية في الجزائر العديد من الاضطرابات، والثورات والاغتيالات، ما أدى إلى الفوضى وانعدام الأمن والاستقرار في معظم فترات الحكم التركي بالجزائر من ذلك اغتيال كل الآغوات الذين تولوا حكم الأيالة. كذلك من أكبر سلبياتها هو قيامها بأعمال لا أخلاقية، خارجة عن القانون مثل الزنا وشرب الخمر والاغتصاب.

إلاّ أننا لا ننكر الدور الإيجابي لها في حماية حدود الجزائر من مختلف الهجمات وتحرير المدن الجزائرية كلها من الوجود الإسباني. وأبرز ما يلاحظ أن الجيش الإنكشاري ساهم من الناحية السياسية في تثبيت دعائم الحكم التركي بالجزائر. من خلال إشرافه على الضرائب، وذلك بعد تراجع غنائم البحرية.

ثانياً: دور رياس البحر في استقرار الجزائر:

لقد دأب الأوروبيون على نعت نشاط البحرية الجزائرية في العصر الحديث بالقرصنة، ووصف رجالها بالقراصنة، وهو إدعاء مغرض بعيد عن الحقيقة والواقع. لأن أول من مارس أعمال القرصنة وتوسع في تطبيقها بكل وحشية، وشراسة هم الأوروبيون أنفسهم في أعقاب الحروب الصليبية، وبداية التراجع الإسلامي بالأندلس، وذلك بدافع الحقد الديني، وروح الانتقام والرغبة في الغنائم. والدليل على ذلك هو مباركة الحكومات الأوروبية لأعمال قراصنتها وتقديم الحماية والعون المادي لهم، كما فعلت إنجلترا، فرنسا، النمسا، الإمارات الإيطالية، والألمانية، بل وحتى بعض دول شمال أوروبا مثل الدانمارك[2].

---

[1] الحاج أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر (1168هـ-1246هـ) الموافق لـ (1754م-1830م)، تحقيق أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1980م، ص 166.

[2] يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ط.خ، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص67.

لذلك عمل رياس البحر على حماية أراضي المسلمين بما فيها الجزائر، وهذا خوّلهم القيام بدور أساسي في تاريخ إيالة الجزائر سواءً كان ذلك في المجال الداخلي أو الخارجي.

ففي المجال الداخلي، عرفت طائفة الرياس أوج قوتها خلال القرن 16م، حيث سيطرت على الحياة السياسية. سواء خلال عهد البايلربايات(1518- 1587م) حيث كانوا من الرياس أين لعبوا دوراً في المجال الإقليمي والمجال المتوسطي كله، أمثال خير الدين بربروس[1]، وصالح رايس وحسن بن خير الدين وعلج علي والرايس حميدو والرايس عمر والرايس محمد والرايس مصطفى والرايس علي بتشيني.

وتكون الأسطول الجزائري من أنواع السفن والمراكب الحربية ذات الشهرة مثل: البركنتي، البريك، الحراقة، الفرقاطة، القرقور، الغليوطة، اللنجون، الغليون، الشطية[2]

أثر الرياس على نظام الحكم، فتزايد نفوذهم بفعل الدور الكبير الذي كانوا يقومون به، والذي ساهم في رخاء المعيشة وازدهار المدينة. فقد سيطرت هذه الطائفة على السياسة الداخلية، وقد أصبح أمير البحر القبودان باشا القائد الأعلى للقوات البحرية يترأس الديوان ابتداءً من 1671م وحتى 1689م أي بعد سيطرة قادة الأوجاق على الأوضاع العسكرية والسياسية في الجزائر. وبذلك ازداد دورهم السياسي مما سمح لهم في مرحلة الدايات من أن يساهموا في استقرار الأوضاع نسبياً على عكس العهد الذي سبق هذه الفترة.

تحكمت طائفة الرياس في جميع أوجه النشاط البحري بطريقة شديدة الانتظام من حيث التوظيف والتنظيم والتمويل والعمليات الحربية وقد أصبحت الطريقة الجزائرية مثالاً يحتذى بها بالنسبة لطائفة الرياس في تونس وطرابلس[1].

---

[1] عائشة غطاس وآخرون، المرجع السابق، ص111.

[2] سرحان حليم الطالب، تطور صناعة السفن الحربية بالجزائر على عهد العثمانيين (1514م-1830م) من خلال المصادر التاريخية والأثرية، رسالة ماجستير تخصص الآثار الإسلامية، إشراف.د. صالح بن قربة، جامعة الجزائر، 2007م-2008م، ص123.

أما في المجال الاقتصادي والاجتماعي، فقد كان لهم دور في تخفيف عبء الضرائب على سكان المدن والأرياف، إذ كلما زادت مصادر الدخل البحري خفت الضرائب على الأهالي وبالتالي نقصت الانتفاضات وحركات العصيان. وتسبب النشاط البحري لطائفة الرياس في رفاهية مجتمع المدن وزاد في غنى الحضر، وتجمعت ثروات طائلة في أيدي البحارة. وعليه فدور طائفة الريّاس في فترات قوتها كان يشكل متنفساً للدولة ولخزينتها وللأهالي[2].

لكن بداية من منتصف القرن17م بدأ الضعف يدب في القوات البحرية وهو الضعف الذي سجلت ملامحه الأولى عند بداية الثلاثينيات ليصبح حقيقة ملموسة عند بداية الستينات من نفس القرن. ما شجع الدول الأوروبية وجعلها تتجرأ على قنبلة وقصف مدينة الجزائر بمدافع سفنها. وهي المحاولات التي قامت بها كل من انجلترا وهولندا ثم حملة فوردوكانfort dus kan من طرف فرنسا التي قامت بعملية إنزال للجنود واحتلت مدينة جيجل عدة أسابيع عام 1664م[3].

ومن المؤكد أن الكوارث الطبيعية التي داهمت الجزائر خلال هذا القرن كان لها دوراً كبيراً في إضعاف قوة البحرية. وفي مقدمة هذه الكوارث، الأوبئة التي كانت تجتاح البلاد في دورات متعاقبة وبصورة شبه منتظمة. والتي أدت إلى نقص عدد السكان، فكان هذا النقص عاملاً من عوامل ضعف الأسطول في هذه الفترة [4]. لأن الأسطول الجزائري منذ البداية فتح مجال الانخراط للجزائريين الراغبين في خوض غمار البحر. وبسبب تراجع النمو الديمغرافي نظراً للأسباب التي سبق ذكرها فَقَدَ الأسطول جزءاً كبيراً من البحارة ما أدى إلى تراجعه شيئاً فشيئاً.

---

[1]علي خلاصي، المرجع السابق، ص170-171.

[2]عائشة غطاس وآخرون، المرجع السابق، ص102.

[3]جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، م. م. و. ج، الجزائر، 1994م، ص35.

[4]جمال قنان، المرجع السابق، ص35.

ورغم ذلك فقد شهد نشاط البحرية نوعاً من الانتعاش في القرن الثامن عشر بسبب الأوضاع التي كانت تعيشها دول أوروبا وشعوبها التي كانت في حالة غليان نتيجة تردي أوضاعها الاجتماعية، حيث انتشر الفقر والبؤس، وازدادت حدة الإقطاع وفساد الأنظمة السياسية والملكية المطلقة والرجعية، وقد برز في هذه الفترة عدد كبير من رياس البحر مثل"الرايس حميدو"، وقد انتعشت البحرية الجزائرية في فترة الثورة الفرنسية 1789م، إذ تضاعف عدد القطع البحرية في أسطول الإيالة، فوصل إلى واحد وأربعين قطعة[1].

أما في المجال الخارجي، تمثل دور الرياس في إنقاذ مسلمي الأندلس، فكانت هذه القضية من بين أهم القضايا التي أولى الرياس لها أهمية، إذ بذل خير الدين كل جهده لأجل ذلك. فتشير بعض الدراسات أنه في سنة 1529م بعث حملة بحرية قوامها خمسة عشر سفينة تحت قيادة ايدين رايس إلى مشارف نهر أوليفا(Oliva) بإسبانيا[2] لإنقاذ الموريسكيين[3].

كما ساند رياس البحر الدولة العثمانية في حروبها، حيث أن علاقة هذه الأخيرة بالجزائر مرت بمرحلتين متباينتين، وبالتالي مرحلة التحالف أو توافق المصالح ومرحلة تناقض المصالح". فخلال الفترة الأولى كانت المصالح مشتركة بين طائفة الرياس والدولة العثمانية، إذ كان الخطر مشتركاً يتمثل في مقاومة النفوذ الإسباني في الحوض الغربي للبحر المتوسط، لذا تضافرت الجهود للقضاء عليه، فكانت مجموعة من المعارك الكبرى في البحر الأبيض المتوسط خلال القرن16م، انتهت برسم خريطة جديدة في هذه المنطقة. منها معركة بريفيزا سنة 1538م على السواحل الايطالية.

---

[1] بن جبور محمد، "البحرية الجزائرية في أواخر العهد العثماني"، مجلة عصور، ع12-13/14-15، 2008م-2009م، ص123-124.

[2] حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص114.

[3] الموريسكيين: وهم الأندلسيين القادمين من الأندلس إلى سواحل شمال أفريقيا.

فقد استدعت الدولة العثمانية بايلرباي الجزائر خير الدين باشا، في 1536م وكلفته بقيادة الأسطول العثماني[1]، فتحرك باربا روسا مع مساعديه درغوث رايس وصالح رايس. وكان قد أعد قوة تتكون من مائة واثنين وعشرين سفينة حربية، إضافة إلى سفن الإسناد والتموين. والتقى الأسطول مع أسطول أندريا دوريا andre doria الجنوي بتفويض من الملك الإسباني شارل الخامس. فاحتدم الصراع بينهم في معركة بريفيزا (945هـ/1538م) وكان النصر حليف العثمانيين[2]. الذين تمكنوا من فرض سيطرتهم على البحر المتوسط أكثر من 30 عاماً[3].

كذلك التدخل لمساعدة فرنسا في حربها ضد شارلكان (1542م/1543م)، كما حاصر الأسطول الجزائري مالطا 1565م التي كانت تشكل خطراً على المصالح العثمانية، كما شارك في معركة ليبانت 1571م التي رغم انتهائها بهزيمة الأسطول العثماني، إلاّ أن الأسطول الجزائري الذي كان تحت قيادة علج علي باشا لم يتضرر من المعركة التي عرف كيف يسيرها. واستدعته بعد ذلك الدولة العثمانية لإعادة بناء الأسطول العثماني المحطم خلال المعركة، فلبى رغبتها ونجح في إعادة إنشائه. وأجبرت الدول الأوروبية على الجنوح للسلم. كما تمكن الأسطول الجزائري من فتح تونس سنة 1574م وضمها للدولة العثمانية. وبالتالي أجبرت إسبانيا على عقد معاهدة الصلح مع الدولة العثمانية في 1580م وجُدّدت في سنوات 1581م، 1584م، 1587م[4].

اتسع نطاق المساعدة الجزائرية للدولة العثمانية في عهد السلطان مراد الرابع(1623-1639م)، وذلك بالمشاركة في الحروب ضد جمهورية البندقية سنة 1630م[5].

---

[1] عائشة غطاس وآخرون، المرجع السابق، ص102.

[2] سرحان حليم الطالب، المرجع السابق، ص166-167.

[3] مذكرات خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص- ص11-12.

[4] عائشة غطاس وآخرون، المرجع السابق، ص103.

[5] حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص119.

انتهجت طائفة الرياس بعد عقد الصلح بين الدولة العثمانية واسبانيا، إستراتيجية جديدة في مواجهتها لإسبانيا وحلفائها، تتمثل في شنها حرب استنزاف لإلحاق أضرار اقتصادية وعسكرية بها. فعملت الدول الأوروبية التي حققت تقدماً تقنياً وصناعياً، على محاولة كبح جماح البحرية الجزائرية والتقليل من دورها، فكانت حملات متعددة منها الحملات الهولندية في 1620م، 1623م، 1624م، 1662م، والحملات الإنجليزية 1620م، 1622م، 1655م، 1661م، 1816م، 1824م والحملات الدانمركية في 1770م، 1772م، والحملات الاسبانية في 1603م، 1775م، 1783م، 1784م، والحملات الفرنسية في 1621م، 1623م، 1634م، 1689م، 1827م-1830م الحصار ثم الاحتلال.هذا إضافة إلى الحملات المشتركة [1].

وقد استمرت مساعدة البحرية الجزائرية للدولة العثمانية إلى غاية 1827، حيث كانت آخر معركة شاركت فيها هي معركة نافارين التي تحطم أسطول الجزائر فيها.

لقد حظيت الجزائر بأسطول بحري ضخم وكبير، مكنها من السيطرة على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط خاصة في القرن 16م و17م . وجعل منها قوة مُهَابة من طرف الدول الأوروبية. وتبوأت بذلك مكانة مرموقة بين دول العالم آنذاك. لكن مع حلول القرن 18م بدأ يتدهور وتراجع أكثر في القرن 19م، فلم يستطع حتى الدفاع عن الجزائر التي احتلتها فرنسا سنة 1830 بعد حصار دام ثلاثة سنوات.

[1] عائشة غطاس وآخرون، المرجع السابق، ص- ص 103-104.

ثالثاً: علاقة الجيش الإنكشاري برياس البحر:

ساهمت العلاقة بين الجيش الإنكشاري(أي جيش البر) والرياس(أي جيش البحر) بقسط مباشر في التأثير الايجابي والسلبي على التطور السياسي والعسكري للإيالة، ذلك أن هذه العلاقة كثيراً ما كان يشوبها صراع حاد خاصة في العهود الأولى، إذ كان الإنكشارية يتشكلون من أتراك الأناضول الذين تم تجنيدهم حديثاً، في حين كان معظم الرياس من المرتدين عن المسيحية والذين هيمنوا على النشاط البحري واستحوذوا على غنائمه [1].

فالعامل الاقتصادي المتمثل في الغنائم التي يجنيها رياس البحر ساهم في حدوث انزلاقات خطيرة كادت أن تعصف بمصير الإيالة. باعتبار أن هذه المسألة أثارت حسد الانكشارية على رجال الطائفة، نظراً للأرباح الطائلة التي يدرها عليهم عملهم. كما كان الرياس بدورهم يحتقرون الجند الانكشارية ويسمونهم"ثيران الأناضول". ما دفع بالانكشارية في عام 1556م بعد وفاة صالح رايس إلى محاولة السيطرة على الحكم، وذلك بمنع البايلرباي الجديد من تولي منصبه كحاكم للإيالة حيث عينوا حسن قورصو بدله. أما الرياس فقد ساندوا محمد طاكلري وأدخلوه إلى المدينة وقبضوا على المتمردين وأعدموهم[2].

لتخفيف الصراع بين القوتين، عمد محمد باشا ابن صالح رايس عام 1568م إلى إصدار مرسوم يبيح بموجبه للجند الانكشاري بالانضمام إلى أسطول الرياس والمشاركة في النشاطات البحرية.وفي المقابل سمح للرياس بالمشاركة ضمن فرق جنود الإنكشارية التي تجوب البلاد لجمع الضرائب. والظاهر أن هذا التوازن بين الطائفتين قد ساعد في التخفيف من حدة الصراع الدائر

[1] محمد بوشنافي، المرجع السابق، ص157.

[2] حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص- ص127-128.

بينهما، وبذلك تغذت فرق الإنكشارية بعناصر جديدة من الأعلاج الذين تتوفر فيهم الخبرة القتالية والكفاءة العسكرية [1].

غير أن فرق الانكشارية بمرور الزمن، أخذ ضباطها يتطلعون إلى الحكم والسيطرة بمختلف الوسائل[2]، حتى تمكنوا من ذلك سنة 1659م واصطلح على عهدهم بالآغوات، الذي شهدت فيه الجزائر عدة اضطرابات داخلية. واشتد الصراع بين القوتين من جديد[3]. أما عهد الدايات ففيه تمكنت طائفة الرياس من تعيين الدايات الأربعة الأوائل(1671م-1683م)، ولكن سرعان ما تمكن الجيش البري من الاستحواذ على هذا المنصب وواصل تعيين الدايات من فرقته حتى عام 1830م[4].

غير أن هذا الصراع كثيراً ما كانت توقفه المصلحة المشتركة التي تجمع بين الطرفين، حيث كانت كل فرقة بحاجة إلى الأخرى، فالرياس كانوا يساهمون في ملئ الخزينة وبالتالي توفير الأموال المخصصة لدفع مرتبات الجند. في حين كان الانكشارية يعملون على توفير الأمن والاستقرار الداخلي وصد الغارات الخارجية، وهذا ما سمح للرياس بالتفرغ لممارسة الجهاد البحري دون غيره من المهام الأخرى[5].

---

[1] حنيفي هلايلي، النظام الحربي للجزائر في العهد العثماني منذ مطلع القرن السابع عشر حتى سنة 1830، رسالة دكتوراه تخصص تاريخ حديث ومعاصر، إشراف.أ.د. عبد الحميد حاجيات، جامعة سيدي بلعباس، 2003م-2004م، ص-ص130-131.

[2] يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ط2، ج2، د. م. ج، الجزائر، 2009م، ص38.

[3] حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 131.

[4] محمد بوشنافي، المرجع السابق، 158.

[5] محمد بوشنافي، المرجع السابق، ص158.

ويتضح ذلك في الفترة الأولى أي البايلربايات، حيث ارتكزت على قوة سلاح الإنكشارية، سلطة متجهة إلى البحر، مصدر ثرواتها وطاقاتها البشرية المتجددة [1]. وذلك طبعاً بعدما سمح للانكشارية بالانخراط في البحرية.

هذا ما أدى إلى بلوغ نشاط البحرية الجزائرية ذروته مع حلول النصف الثاني من القرن السابع عشر، إذا أصبح يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأوضاع الداخلية للإيالة الجزائرية. في المجال الاقتصادي والاجتماعي عن طريق ما توفر للسكان من مصادر للعيش خاصة بالنسبة للصناع والحرفيين. وقد أصبحت الغنائم تشكل مورداً اقتصادياً هاماً لأغلب سكان الإيالة والمدن الساحلية، وفي هذا القرن اكتسى نشاط البحرية صبغة اقتصادية وسياسية[2].

ويلاحظ مارسيل كولومب أن مصير هذين الفريقين(الانكشارية ورياس البحر) كان يسير خلال التاريخ في خطوط متوازنة. فقد زادت قوة الطرفين بالنسبة نفسها حتى أواخر القرن السابع عشر، لتهبط بعد ذلك بصورة متتالية حتى التدخل الفرنسي(1830م). وما دامت قوى الفريقين متكافئة فإن محاولة الحكم بالاعتماد على هذه القوة أو تلك مصيرها الفشل.

كما أن تهميش السكان المحليين من أية مشاركة فعلية سواءً في الدفاع أو المحافظة على الأمن الداخلي، واعتماد العنصر التركي-العثماني- في مجال التطور السياسي والعسكري للجزائر وحده في الخدمة العسكرية ساعد على المحافظة على الطابع التركي العثماني للدولة الجزائرية [3].

---

[1] رحمونة بليل، القناصل والقنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية من 1564م إلى 1830م، رسالة دكتوراه تخصص تاريخ حديث ومعاصر، إشراف.أ. فغرور دحو، جامعة وهران، 2002م-2003م، ص76.

[2] بن جبور محمد، صورة الجزائر والجزائريين من خلال الكتابات الفرنسية في القرنين 17مو18م، رسالة ماجستير تخصص العلاقات الدولية، إشراف.د. غازي جاسم، جامعة وهران، 2002م-2003م، ص76.

[3] حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص- ص132-133.

إن تهميش الأهالي ساهم بشكل كبير في فشل سياسة الأتراك، الذين اضطلعوا بمختلف الوظائف الحكومية. ما أدى إلى انغلاقهم على أنفسهم وانعدام العلاقة بينهم وبين السكان المحليين، إلاّ فيما يخص المعاملات المالية أي الجانب الاقتصادي بصفة عامة.

يتضح لنا من خلال العلاقة بين القوتين، أن كل منهما كان مكمل للآخر، وذلك بالعمل على تقوية الجبهة الداخلية والخارجية للبلاد. من خلال توحيد الجهود وتبادل الخبرة والكفاءة بينهما.

كما أن الجانب العسكري بعد ظهور الأتراك حظي باهتمام كبير، وذلك نظراً للظروف التي كانت تعيشها الجزائر، فظهور الأتراك في الأساس ارتبط بصراعهم على مناطق النفوذ مع الإسبان الذين قاموا بالهجوم على سواحل شمال إفريقيا، لهذا عمل الأتراك على تطوير الجيش وأساليب القتال، من خلال الجيش الانكشاري الذي لم يشكل من العناصر المحلية. وقد بلغ أوج قوته في القرن السادس عشر والنصف الأول من القرن السابع عشر، ليتدهور بعد ذلك.

أما البحرية فإننا لا ننكر وجودها في العهود السابقة، لكن الاختلاف هنا أنها حظيت باهتمام ومكانة كبيرة مكّن الجزائر من أن تكون القوة الضاربة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط. ما جعلها تفرض على الدول الأوروبية غرامات وتراقب سفنهم. وتجبرهم على دفع الإتاوات والهدايا، للمرور وعقد الاتفاقيات. فكانت هذه المعاهدات الموقعة سبباً في سيادة السلم. وفي مقابل تراجع الغنائم المكتسبة من القرصنة والجهاد البحري. لتتدهور بعد ذلك البحرية وتفقد أسطولها بتحطيمه في معركة نافارين 1827م.

المبحث الثالث: أسباب ظهور التنظيمات العسكرية الأهلية في الجزائر إبان العهد العثماني:

بعد قدوم الأتراك إلى الجزائر وإلحاق هذه الأخيرة إلى الدولة العثمانية، انتهج الأتراك سياسة جديدة لم يعهدها بلدان شمال أفريقيا، وذلك بإنشاء جيش جديد، لا تنتمي إليه العناصر المحلية، والذي اصطلح عليه الجيش الإنكشاري الذي اعتمدت عليه الدولة العثمانية. فكان للجزائر أيضاً جيشها الإنكشاري الخاص. لكن مع مرور الزمن بدأت بوادر الضعف والانهيار تصيب هذا الجيش، ما أجبر الأتراك على الاعتماد ولو بشكل نسبي على العناصر المحلية في إخماد الثورات، ووقف العدوان الخارجي.

إذاً ما هي الأسباب التي دعت الأتراك إلى الاعتماد على العناصر المحلية (الأهالي) بعدما استبعدوهم في بادئ الأمر؟.

سنحاول الإجابة على هذا السؤال من خلال هذين العنصرين:

المطلب الأول: الامتداد الجغرافي للأيالة: ونقصد به طبيعة البلاد من الناحية الجغرافية والبشرية.

اعتمد الأتراك خلال القرن 16م على الأوجاق في غزو البلاد، بتنصيب حاميات في المدن والأرياف، أما في القرن الذي أعقبه فقد دعت الحاجة إلى الاستعانة بالأهالي خاصة القبائل الموالية للسلطة التركية وأوكلت لها مهام جمع الضرائب من خلال الحملات الفصلية التي كانت تعد لهذا الغرض. ومع مستهل القرن18م ازداد اهتمام الأتراك بالمناطق الداخلية نتيجة لضغوط خارجية والاحتياجات المادية الملحة، بعدما تقلص النشاط البحري وعوائده من إتاوات وغنائم، ما جعلهم يجندون قبائل محلية[1].

[1] إسمهان لعريبي، الحياة الاقتصادية في بايليك الشرق خلال العهد العثماني (1713م-1792م)، رسالة دكتوراه تخصص تاريخ حديث ومعاصر، إشراف.أ.د.حنيفي هلايلي، جامعة سيدي بلعباس، 2012م-2013م، ص147.

إن الوضع الديمغرافي للأقلية التركية الحاكمة في الجزائر، دفع الحكام الأتراك إلى استخدام قبائل المخزن لتكون لهم سنداً داخلياً وقوة حليفة، بعد أن عجزواْ عن تجنيد أكثر من اثني عشر ألف رجل من أتراك وكراغلة في أوقات الحرب.

أما السبب الآخر الذي شجع الحكام الأتراك على استخدام القبائل، فيتعلق بالوضع المادي الممتاز الذي كان يعيشه أفراد الطائفة التركية، فهذا الوضع هو الذي دفع الأقلية التركية إلى الحفاظ على امتيازاتها ومصالحها الخاصة، وذلك بالتقليل من عدد الجيش المرتزق وعدم الإكثار من جلب المجندين من الأناضول لأن عملاً مثل هذا يضطرهم إلى صرف أجور كثيرة ومصاريف إضافية تنقص من ثرواتهم ومواردهم الخاصة. ولهذا التجئوا إلى القبائل يوفرون بها القوة العسكرية الضرورية لحفظ الأمن ويوفرون عن طريقها تلك المصاريف والنفقات التي هم في غنى عن إنفاقها[1].

وبالإضافة إلى هذه الأسباب فهناك سبب آخر يتصل مباشرة بحفظ الأمن وفرض سيادة الأتراك على الأرياف. ويظهر هذا السبب واضحاً في كون حكومة الأتراك في الجزائر اضطرت أن تعتمد كثيراً على قوة القبائل القادرة على التحرك والمهيئة للقتال في كل وقت، بعد أن لم تعد تتلقى هذه الحكومة التركية في الجزائر أي دعم مادي أو بشري من مركز السلطة العثمانية.

فبفضل هذه القبائل استطاع الأتراك أن يفرضوا سيطرتهم ويمدوا نفوذهم على جهات متباعدة من الإيالة الجزائرية مثل سلاطين بني جلاب في وادي ريغ. حيث استطاعوا أن يحافظوا على الحاميات التركية في الأسواق المهمة والحصون الإستراتيجية والمواصلات الحيوية، لكي يتمكنوا من استخلاص الضرائب وإخضاع الثائرين[2].

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق ، ص- ص261-262.

[2] ناصر الدين سعيدوني،"دور قبائل المخزن في تدعيم الحكم التركي بالجزائر" ، مجلة الأصالة، مج13، ع32، الجزائر، ابريل1976م، ص52.

أما السبب الآخر فهو يكمن في محاولة الحكومة التركية التقليل من عداء بعض القبائل، وذلك بإدراجهم ضمن القبائل الموالية لهم، مثل القبائل المخزنية منها الدوابر والعبيد في بايلك التيطري وإعطائهم الحق في القيام بمهمة مراقبة المنطقة التي شهدت ثوراتهم.

هذا العمل أمن البايليك من ثورات القبائل المشاغبة، وتخلص من المشاكل التي كانت تثيرها، بل وانتفع رجال البايليك بنشاطها الجديد عندما أمكن لهم مراقبتها وتوجيهها لإخضاع بعض المناطق الجبلية أو الصحراوية [1].

المطلب الثاني: ضعف الجيش الإنكشاري:

من بين العوامل التي دعت الأتراك إلى الاعتماد على القبائل، وخلق قوة جديدة من العناصر المحلية ما آل إليه الجيش الانكشاري وما شهده من انهيار وضعف، بعدما كان القوة الضاربة في الجزائر، فقد أصبح يتدخل في السياسة، وهمه الوحيد جمع الأموال. وقد ساهمت في ضعفه عديد من الأسباب وذلك بتراجع عملية التجنيد، إضافة إلى الاضطرابات التي أصبحت الجزائر تعاني منها. وفرار الجنود من الجيش.

لعل أهم سمة ميزت وجود الأتراك العثمانيين بالجزائر هي هيمنة الجيش شبه المطلقة على أمور الإدارة والجيش والاقتصاد، وكانت بعض الأقليات إما ممن ارتدوا عن المسيحية أو من اليهود الذين حظي بعضهم بامتيازات وارتقاء أعلى المناصب والرتب في هرم السلطة أو في الميليشا.

ومن المشاكل التي ظهرت على الساحة السياسية لإيالة الجزائر، جهود الإنكشارية في التدخل في طريقة تعيين الباشا.

وقد بدأت هذه الاضطرابات عندما حاول الإنكشارية تعيين حسن قورصو باشا جديد خلفاً لصالح رايس، لكن السلطان العثماني أرسل باشا آخر ليتسلم أمور الحكم. فرفضه الجنود الإنكشاريون. فكانت هذه بداية التدخلات للجيش في أمور السياسة وبداية الاضطرابات[1].

[1] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص264.

كذلك من بين الاضطرابات التي ساهم فيها الإنكشارية، تمردهم على خضر باشا، فشهدت هذه الفترة تعيين أكثر من باشا، كذلك خسائر معتبرة في الأرواح ونزوح الكثير من العائلات من الجزائر إلى البليدة وملیانة.

في سنة 1659م تمرد الإنكشاريون على إبراهيم باشا بسبب تأخر الأجور وألقوا عليه القبض ورموا به في السجن. وعينوا مكانه آغا الإنكشارية خليل بولكباشي، فعمل هذا الأخير على إعلان نهاية نظام الباشوات. وبداية عهد الآغوات. الذي تميز بسلسلة من الاغتيالات والتي بدأت مع اغتيال خليل آغا قائد التمرد نفسه، سنة بعد تعيينه.

ساد هذا العهد الاضطرابات سواءً كانت متعلقة بالسلطة أو الوضع الداخلي للبلاد، أي ما عرفته البلاد من تحركات داخلية وثورات. وعلى المستوى الخارجي، ساد التوتر في علاقة الجزائر مع فرنسا[2].

أما في مرحلة الدايات، فقد استولى الإنكشارية على السلطة بعد فترة من تولي الرياس الحكم وبقيت –السلطة– فيهم حتى سنة 1830م [3].

في الفترة الأولى من عهد الدايات التي بدأت سنة 1671م تول الحكم الرياس فساد الهدوء، لكن سرعان ما عاد الجيش الإنكشاري إلى إثارة الفوضى، معبراً بذلك على نهاية فترة الاستقرار السياسي، وكان من نتائج ذلك أن دخلت الإيالة في دوامة خطيرة من الصراعات والأزمات منذ مطلع القرن التاسع عشر، وتواصلت إلى غاية دخول الفرنسيين وسقوط حكومة الداي حسين سنة1830م [4].

---

[1] حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص94.

[2] صالح عباد، المرجع السابق، ص، ص 109، 127.

[3] حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 95.

[4] محمد بوشنافي، المرجع السابق، ص185.

وصف حمدان خوجة ما آل إليه الجيش الإنكشاري في أواخر العهد العثماني قائلاً[1]: "صارت تلك الميليشا المسلحة التي لا مبدأ لها، صارت ترتكب المخالفات ضد البدو والقبائل. ثم قام هؤلاء البؤساء بإشعال الثورات وقلب قادة الدولة بحسب هواهم".

إن هذا الوصف يشرح بدقة الوضعية التي آلت إليها القوات التركية بالجزائر وخطورة الفساد الذي انتشر بين أفرادها، فتراجع دورها في توفير الأمن للإيالة داخلياً وخارجياً خاصة بعد تحطيم معظم قطع الأسطول الجزائري من طرف "اللورد اكسموث" "lord exmouth"، في حملة عام 1816م، ما أدى إلى إطلاق سراح الكثير من الأسرى، الذين كانوا مصدر دخل الخزينة. فهذه الثروة كان يتم دفع أجور الجنود منها. لكنها تراجعت. فعمل الحكام الأتراك على إرهاق سكان الأرياف بالضرائب. الذين قاموا بدورهم، بإعلان الثورة والعصيان ضد السلطة المركزية [2].

هذه الأوضاع كلها أثرت بشكل سلبي على نفسية الجندي الإنكشاري الذي أصبح أكثر عنفاً وثورة من السابق، فتراجعت معنوياته القتالية بشكل يثير الانتباه، مما جعله يفقد هيبته داخل المجتمع الجزائري بعدما كان مرهوباً من طرف الجميع[3].

إن كثرة الفوضى والاضطرابات التي قام بها الجيش الانكشاري، والوضع الذي آلت إليه البلاد بسبب تمردات الجيش، أدى بالحكام الأتراك والبايات إلى محاولة استبداله بقوات أخرى أكثر كفاءة وتنظيم.

كما عرفت إيالة الجزائر منذ مطلع القرن التاسع عشر اختلالاً في التوازن المالي، وبالرغم من التجاء الحكام إلى الزيادة في إنعاش الخزينة بواسطة الضرائب، بالقوة العسكرية، مع محاولة إحياء نشاط البحرية بتشجيع غزوات الرايس حميدو. إلاّ أن هذه المجهودات لم يكن لها أي مظهر

---

[1] حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص111.

[2] محمد بوشنافي، المرجع السابق، ص- ص185-186.

[3] محمد بوشنافي، المرجع السابق، ص186.

إيجابي، بل ساهم ذلك في نشوب ثورات عديدة وجدت في الزوايا وسيلة للتعبير عن كراهيتها للسلطة الحاكمة، مما انجر عنه تناقص في عدد المجندين الوافدين من الأناضول، والذين عجزت الإيالة عن توفير مرتباتهم وتسديدها في الآجال المحددة[1].

وذلك ما تؤكده رسالة الداي عمر باشا(1815م-1817م) إلى السلطان يخبره فيها"إننا ملزمون على دفع إتاوات مابين ثلاثين وأربعين ألف إنكشاري، ففي سالف الزمن كنا ندفع أجورهم على دفعة واحدة، ولكن منذ عشر سنوات لم نتمكن من مضاعفة إتاواتهم، كذلك كنا نسدد الأجور كل شهرين، أما اليوم فإن تسديد إتاواتهم يتم مرة واحدة كل أربعة أشهر بالنسبة للبعض وستة أشهر بالنسبة للبعض الآخر، وقسم ثالث تسدد أجورهم كل سنة"[2].

وساهم انتشار المجاعة والأوبئة بمدينة الجزائر وغيرها من مدن الإيالة في هلاك عدد كبير من السكان، وعلى رأسهم أفراد الجند[3]، وفي هذا السياق ما رصده كاثكارت عن ثكنات مدينة الجزائر قبل 1786م حيث قال:"كانت هذه الثكنات مزدحمة بالنزلاء قبل انتشار وباء الطاعون في البلد في سنة 1786م، ذلك الوباء الفظيع الذي حصد عدداً كثيراً من الأرواح وترك متسعاً من المكان للناجين من أظافر الموت"[4].

أما مصدر هذه الأوبئة فيرجعه الحاج أحمد الشريف الزهار إلى أولئك المتطوعين الوافدين إلى الإيالة عن طريق البحر من المدن التركية باعتبارها مراكز تلتقي فيها أجناس مختلفة من كل أنحاء الدولة العثمانية، وفي هذا المجال يقول:"وفي سنة 1201هـ/1785م وجاء الوباء للجزائر، حتى وصل الأموات أحياناً خمسمائة جنازة كل يوم، ويسمى بالوباء الكبير، قيل أنه أتى من بر الترك في

---

[1] حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص62.

[2] محمد بوشنافي، المرجع السابق، ص 196.

[3] حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص65.

[4] جيمس ليندر كاثكارث، مذكرات أسير الداي كاثكارث قنصل أمريكا في المغرب، د.ط، (تر) إسماعيل العربي، د. م. ج، الجزائر، 1982م، ص100.

مركب مع رجل يدعى ابن سماية، وطال الوباء بالجزائر إلى سنة 1795م، وقد ضرب هذا الوباء المدينة في عهد الداي محمد باشا(1766م-1791م)[1].

لم تكن الأمراض الفتاكة وحدها سبباً في تناقص عدد أفراد الجيش، بل ساهمت الثورات في إنهاكه، بالإضافة إلى إحالة الكثير ممن تقدموا في السن إلى التقاعد أو العجز عن القيام بأداء الواجب العسكري[2].وأمام كل هذا كانت الإيالة مضطرة إلى استقدام متطوعين جدد لتعويض هؤلاء، غير أن عدد المستقدمين لم يكن كافياً لسد هذا النقص.

تبين لنا الإحصائيات العراقيل التي أصبحت تواجه عملية جلب المتطوعين إلى الإيالة خاصة منذ مطلع القرن19م، فما بين عامي 1801م و1809م وصل إلى الجزائر 2264 مجنداً(أي بمعدل 251 مجنداً كل سنة)، أما ما بين عامي 1810م و1820م فقد استقدمت الإيالة 4115 مجنداً جديداً(أي 411 مجنداً في كل عام) في حين قدم إلى الجزائر 4154مجنداً مابين 1820م و1830م- أي 415 مجنداً في السنة- إن هذه الأعداد لم تكن لتعوض حتى الجنود الذين يقتلون في المعارك والثورات الداخلية[3].

تعتبر سياسة التجنيد نفسها إحدى العوامل الأساسية التي كانت وراء تدهور الأوضاع وفساد المؤسسة العسكرية، فبعدما كان الجيش يدافع عن البلاد، أصبح مصدر ومنبع الفوضى والقلاقل. وبالرغم من ذلك ظل باب التجنيد مفتوحاً حتى أواخر الحكم العثماني بالجزائر[4].

---

[1] محمد بوشنافي، المرجع السابق، ص197.

[2] حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص66.

[3] محمد بوشنافي، المرجع السابق، ص- ص 197-198.

[4] حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص70.

كذلك من بين الأسباب التي أدت إلى انهيار الجيش، فرار الجنود منه بسبب المشاكل التي كانوا يواجهونها وتدهور وضعيتهم في أواخر عهد الإيالة. خاصة بعدما أضاع كل امتيازاته وفرص الحصول على ثروة بسبب تراجع دور البحرية وتناقص مداخيل الضرائب[1].

هذه الأسباب كلها مجتمعة أدت بالأتراك إلى البحث عن قوة بديلة، تتوفر فيها الشروط المطلوبة.

على ما يبدو وحسب ما نرى، فإن الأسباب التي دعت الأتراك إلى الاعتماد على هذه التشكيلات تتعلق بطبيعة المجتمع من جهة، ومن جهة أخرى بجغرافية الجزائر.

فالجانب الاجتماعي يتعلق الأمر بطبيعة التركيبة البشرية للمجتمع الجزائري الذي هو عبارة عن قبائل مكونة من مجموعة من الأسر المتحالفة فيما بينها. فهذه الطبيعة تتميز بولاء الفرد إلى قبيلته، أكثر من ولائه للسلطة الحاكمة بالجزائر(أي الأتراك). لذلك عمل الأتراك على استمالة القبائل التي جندت أفراد قبيلتها لخدمتهم.فكانت هذه القبائل حلقة وصل مابين الأتراك والأهالي. فرغم البعد عن السلطة إلاّ أن هذه القبائل سهلت مهمة الأتراك في المناطق البعيدة عنها.

إذاً فالأتراك رأوا أن ربط هذه القبائل بالسلطة لا يتم إلاّ عن طريق استخدام قبائل تُمَاثِلُهَا في القوة وتشبهها في العادات.

أما من الناحية الجغرافية فتتمثل في طبيعة البلاد ووعورة مناطقها، حيث أن الأتراك، لم يتمكنوا من فرض سيطرتهم على الكثير من المناطق خاصة الجبلية منها، هذا ما دفع الأتراك إلىاستخدام هذه القبائل، التي تعرف المناطق المألوفة بالنسبة لها.

إن تدهور الجيش الإنكشاري يعود إلى العناصر المشكلة له، أي المجندين المستقدمين من الأراضي العثمانية، فبعدما كانوا يختارون من ذوي الأخلاق والنزاهة، أصبح يضم العناصر الخارجة عن القانون، وكان همها الوحيد جمع المال والثروة.

[1] محمد بوشنافي، المرجع السابق، ص206.

كل هذا ساهم في محاولة الأتراك إنشاء بعض التنظيمات العسكرية من الأهالي من أجل الحفاظ على أمن البلاد واستقرارها وتحصيل الضرائب.

والخلاصة التي يمكن أن نخرج بها في هذا الفصل، أن الجيش في الجزائر قبل وبعد ظهور الأتراك، كان على قدر كبير من الأهمية، إذ أن الدولة الزيانية، أولت عناية خاصة بالجيش. بسبب موقعها والأوضاع التي كانت تعيشها، ليأتي الأتراك، ويطبعوا الجيش بطابع آخر، وهو إحداث تشكيلة جديدة لم يعهدها المغرب الإسلامي قبل ظهورهم. ويتم لأول مرة استبعاد العناصر المحلية من أداء واجبها الوطني في الدفاع عن أراضيها.إلاّ أنّ ذلك لم يستمر طويلاً، فسرعان ما تغيرت القوانين العثمانية، وتم إنشاء تنظيمات عسكرية أهلية كلفت بالعديد من المهام وحصلت على مجموعة من الامتيازات. بل وصل الأمر إلى محاولة القضاء على الإنكشارية. واستخدام العناصر المحلية كبديل لها.

علماً أنّ هذه التنظيمات أو التشكيلات لم تكن حديثة الظهور، فقد كانت قبل هذا العهد. لكن الذي تغير هو الأسماء، وبعض المهام الموكلة إليها دون إعطائها السلطة المطلقة. وسوف نعرف ذلك في الفصول اللاحقة، ونتعرض له بشيء من التفصيل.

الفصل الثاني: تشكيلة قبائل المخزن

المبحث الأول: التعريف بقبائل المخزن.

المبحث الثاني: علاقة قبائل المخزن مع السلطة والمجتمع.

المبحث الثالث: دور قبائل المخزن الإداري والعسكري والاقتصادي.

اعتمدت سلطة أيالة الجزائر منذ المنتصف الثاني من القرن 17م في إرساء قواعد حكمها وهياكلها الإدارية في الأوطان والأرياف على مجموعة من القبائل التي شكلت منها بنية عسكرية وجيشاً غير نظامي، هدفه ضبط الأوضاع الإدارية والاقتصادية والاجتماعية بالجزائر. كما نجح الأتراك في تكوين تجمعات قبلية اصطناعية متمايزة في أصولها ومستقرة في حدود إقليمية مشاعة بينهم ومرتبطة بحكم وإدارة، شريانها سلطة البايلك ودواوين الأيالة.

اعتمدت السلطة العثمانية بالجزائر على تنظيمات عسكرية أهلية لتدعيم قوتها بالريف. وعليه نطرح الأسئلة: ما هي القبائل التي جندت أبنائها؟ وما أصلها؟ وأماكن تواجدها؟ وما هي أهم التسميات التي أطلقت عليها بعد انضمامها لصنف المخزن؟ وكيف كانت علاقتها بالسلطة والمجتمع؟ وفيما تمثل دورها في المجال الإداري والعسكري والاقتصادي؟.

وللإجابة على هذه الأسئلة قسمنا الفصل إلى ثلاثة مباحث، أولها التعريف بقبائل المخزن، وبعدها علاقتها بالسلطة والمجتمع، وأخيراً دورها في الميادين الثلاث المذكورة سابقاً.

المبحث الأول: التعريف بقبائل المخزن.

كانت قبائل المخزن تمثل الجيش الاحتياطي في الجزائر. وقد أسست بناءً على النظرية العثمانية التي اعتبرت الخدمة العسكرية من أهم واجبات الرعية المسلمين ووفقاً لذلك قسمت الرعية إلى فئتين:

فئة تؤدي ذلك الواجب فتحظى بالإعفاء من بعض الضرائب وتتلقى مرتبات عينية على شكل غلال ومحاصيل زراعية أو مرتبات نقدية من خزينة الدولة مثل الأوجاق.

وفئة ثانية لم تكن تؤدي الواجب المذكور فيفرض عليها دفع الضرائب بأنواعها ومنها العشور والحكور واللزمة....وغيرها[1].

المطلب الأول: قبائل المخزن أصولها وخلفياتها.

إن قبائل المخزن من حيث نشأتها وتطورها واستمرارها كانت انعكاساً صادقاً وتطبيقاً عملياً لسياسة الحكام الأتراك مع الغالبية الساحقة من الجزائريين، هذه السياسة التي أبرزت قبائل المخزن بالخصوص في شكل مجموعات سكانية تعميرية لها صبغة فلاحية وعسكرية وإدارية،

[1] حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص104.

استمدت منها تماسكها. وجعلتها تتميز عن بقية القبائل الأخرى التي تعتمد في تدعيم كيانها وجمع شملها على رابطة الأصل المشترك والنسب الواحد[1].

إن قبائل المخزن من حيث تكوينها يمكن أن نعرفها على أنها مجموعات سكانية[2]، لها صبغة فلاحية عسكرية[3]، وإدارية لما تقوم به من أعمال وتؤديه من أدواراً وهي لا تعود في أصولها إلى نسب واحد أو أصل مشترك بل هي في واقع الأمر[4]، تجمعات سكانية اصطناعية متمايزة في أصولها مختلفة في أعراقها، فمنها من أقرها الأتراك بالأراضي التي وجدت عليها، لتكون سنداً لهم، ومنها من أعطيت لها الأرض لتستقر عليها، ومنها من استقدم كأفراد مغامرين أو متطوعين من جهات مختلفة، ليؤلف جماعة شبه عسكرية ترتبط مصالحها بخدمة الحكومة التركية[5].

وبفعل الانتساب والاستقرار والنشأة على أراضي البايلك اكتسبت هذه المجموعات البشرية المعروفة بقبائل المخزن كياناً مستقلاً متمايزاً. ولم تعد تعرف من أنسابها القديمة ومواطنها الأصلية إلاّ ما علق بتسمياتها الجديدة كقبائل: الصحاري والغرازلة وهاشم والعبيد والعثامنة. في حين اتخذت الغالبية الكبرى من قبائل المخزن تسميات محلية وألقاباً خاصة بها استمدتها من مواطنها الجديدة، أو اشتقتها من الوظائف التي كانت تمارسها والمهام التي كانت تقوم بها أو استعارتها من نوع السلاح الذي كانت تحمله.[6]

ومن الأمثلة على ذلك مخزن الزواتنة عرفوا بهذا الاسم لاستقرارهم على ضفتي وادي الزيتون ومخزن المكاحلية عرف بذلك لنوع السلاح الذي اشتهر به فرسانه. والمجموعات المخزنية من عزارة

[1] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م، ص-ص 257- 258.

[2] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص258.

[3] محمد الزين، الأوضاع الاجتماعية والصحية في الجزائر العثمانية 1518م- 1830م، رسالة دكتوراه تخصص تاريخ حديث ومعاصر، إشراف. أ. د. محمد مجاود، جامعة سيدي بلعباس، 2010م- 2011م، ص112.

[4] ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، ص135.

[5] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية...، المرجع السابق، ص258.

[6] ناصر الدين سعيدوني، "دور قبائل المخزن في تدعيم الحكم التركي بالجزائر"، مجلة الأصالة، ع32، ابريل 1976م، ص47.

ومخازنية وزمول(جمع زمالة) ودوائر(جمع دائرة) عرفوا بهذه الأسماء نظراً للمهام التي كانوا يمارسونها والتنظيم العسكري الذي كانوا يخضعون له والحيز الإداري الذي استقروا ضمنه[1].

وعليه لا يمكن تحديد الأصل الحقيقي لقبائل المخزن، وذلك نظراً لأنها تكونت من مجموعات مختلفة من السكان ومن مختلف القبائل. فهذا الأمر يقف عارضاً أمام تحديد النسب الذي ينتمي إليه أفراد المخزن.

كما يمكن تصنيف قبائل المخزن إلى ثلاثة أنواع هي:

القبائل المحلية العريقة، التي كانت تحتل الأراضي الخصبة، الواقعة في المناطق التلية، أو القريبة من المدن، منذ أقدم العصور. وقد جعلها موقعها عرضة للحملات العسكرية، وسهلة المنال. لذلك فضلت منذ البداية التعامل مع الأتراك، بغرض الاحتفاظ بأراضيها، والتمتع بامتيازات منها الإعفاء من الضرائب واستخلاصها من قبائل الرعية. وبالمقابل كانت مطالبة بتوفير الرجال والدعم الضروري للإدارة التركية، والمحلة العسكرية. كما أن بعض القبائل ولا سيما المرابطية، التفت حول العثمانيين، لأنها اعتبرتهم مسلمين جاءوا للجهاد والدفاع عن البلدان الإسلامية من غارات الإسبان والبرتغال[2].

وهناك القبائل التي تشكلت من طرف الأتراك، وهي غير متجانسة، ومن أصول مختلفة، فمعظم أفراد هذه القبائل الاصطناعية من الفارين من قبائلهم الأصلية، ومغتنمي الفرص والمغامرين، فكان فرارهم سبيلاً لتفادي مبدأ الانتقام الذي اتخذ ضدهم[3]، وقد أرغمت الظروف القاسية هؤلاء الأفراد على الرضوخ لإرادة الأتراك، مقابل الاستفادة من الأراضي الزراعية والوظائف العسكرية والإدارية. كما تم تدعيم هذه المؤسسات بالعناصر الكرغلية والعثمانية.

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، دور قبائل المخزن...، ص-ص 47- 48.

[2] أرزقيشويتام، المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني، رسالة دكتوراه دولة تخصص تاريخ حديث ومعاصر،إشراف.أ.د. عمر بن خروف، جامعة الجزائر، 2006م- 2007م، ص167.

[3] J.N.Robin:"Note sur l'organisation militaire et administrative des turcs dans la grande Kabylie" ، 1873، Alger، in R.A. N° 17، P 196.

أمّا الصنف الثالث من قبائل المخزن، فتشكل من القبائل الممتنعة أو المستقلة، التي أجبرت بالقوة على الدخول ضمن القبائل المخزنية، بيدَ أنّها لم تلتزم بالوضع الذي فرض عليها، وباستمرار كانت تستغل فترة ضعف الإدارة التركية، لتخرج عن طاعتها وتتخلى عن مهامها المخزنية[1]، ومثال ذلك نجد في منطقة فرجيوة قبائل بربرية ممتنعة عن سلطة البايلك والتي تتألف خاصة من القبائل التي تعيش في المناطق الجبلية الحصينة، مثل قبيلة زواغة التي ظلت خارج السيطرة التركية لفترة طويلة من الزمن[2].

إن مثل هذه القبائل لم تكن لتبقى موالية للسلطة طول فترة الحكم، فإخضاعها بالقوة جعلها دائماً في حالة العصيان. مستغلة بذلك ضعف السلطة التركية في الريف والمناطق الجبلية بالخصوص.

وهذه الظاهرة لم تقتصر على بايلك واحد، وإنما شملت جميع البايليكات، إذ بقيت بعض القبائل مستقلة ولم يتم إخضاعها وتحويلها إلى قبائل المخزن إلاّ في العقود الأخيرة من الحكم التركي. مثل قبائل أولاد سيدي أحمد، وأولاد ضياء، وأولاد أم هاني وعريب في بايلكالتيطري. وشاوية الحراكتة وأولاد بودرهم عمامرة بالأوراس في بايلك قسنطينة، وقبائل الحشم، وبني عامر في بايلك الغرب[3].

المطلب الثاني: القبائل والأعراش المخزنية بدار السلطان.

لقد كان أهل المخزن في الإدارة العثمانية بالجزائر ينقسمون إلى عدة فئات، فهناك قبائل المخزن المستفيدة من إدارة القبائل الواقعة تحت إدارتها المباشرة، وهناك المخازنية وهم المقاتلين المجهزين عسكرياً من قبل السلطات العثمانية، ويستفيدون من أراضي غير خاضعة للضريبة، وهناك قسم آخر لا يحوزون على نفس الامتيازات الممنوحة للصنفين السابقين، بل كانوا يقومون بأمور

[1] أرزقيشويتام، المرجع السابق، ص 168.

[2] حياة بودويرة، الملكية والمجتمع في منطقة فرجيوة خلال القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،إشراف.أ.د. فاطمة الزهراء قشي، جامعة قسنطينة2، 2011م- 2012م، ص42.

[3] أرزقيشويتام، المرجع السابق، ص169.

الفلاحة ولا يختلفون عن قبائل الرعية إلاّ من حيث أنهم يستفيدون من ألقابهم كأهل مخزن للحصول على الحماية[1].

وعلى ذلك يمكن تقسيم قبائل المخزن حسب عملها في دار السلطان والبايليكات الثلاث، إلى القبائل المخزنية المحاربة والقبائل المخزنية الفلاحية.

فالقبائل المخزنية المحاربة: تتألف من مخزن سهل حجوط الذي يسكنه خليط من المزارعين وكبار موظفي قصر الداي، وهو تحت سلطة خوجة الخيل، قدرته العسكرية تصل إلى ألف فارس مخزني.

1- مخزن سوماتة منطقة جبلية وغابية، اشتهرت قبيلتها القوية العدد والعدة بتمردها ضد الحكم العثماني، ومنذ أن قمعها الباي محمد الكبير سنة 1792م بأمر من الباشا حسن، صارت قبيلة مخزنية.

2- مخزن بوحلوان بحمام ريغا.

3- مخزن موزاية بالشفة.

4- مخزن الزواتنة.

5- زمالة بن هارون وحرشاوة.

6- زمالة عبيد أقبو وزمول يسر[2].

7- زمالة شعبة العمر.

8- مخزن سيباو أو العمراوة.

9- زمالة عين الزاوية أو زمالة بوغني أو زمالة القشتولات.

10- زمالة ايترليون.

11- مخزن عريب الكبير.

12- مخزن بني جعاد.

13- مخزن بني سليمان.

---

[1] فارس العيد، "التركيبة الاجتماعية في الغرب الجزائري قبيل الاحتلال الفرنسي"، مجلة عصور، ع18.19، جانفي- ديسمبر 2012م، ص286.

[2] بلبروات بن عتو، المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني، رسالة دكتوراه تخصص تاريخ حديث ومعاصر، إشراف.د. بلقاسمي بوعلام، جامعة وهران، 2007م- 2008م، ص251.

أما من العائلات المزارعين والأجراء المخازنية بمنطقة دار السلطان فإنهم كانوا يمثلون عائلات معزولة ويمتلكون إقطاعات من الأراضي الزراعية ويكثر عددهم بسهل متيجة[1].

المطلب الثالث: القبائل والأعراش المخزنية ببايلك التيطري: تواجدت بالبايلك مجموعة من القبائل المخزنية التي لعبت دور الوسيط بين السلطة المركزية فيه والسكان. ومن هذه القبائل المخزنية نذكر:

1- مخزن أولاد شعيب.

2- مخزن مشورة.

3- مخزن ثويب.

4- مخزن صبايحية التيطري.

5- عرش أولاد بوعيش.

6- مخزن البرواقية.

7- عرش المعاليق وأولاد سيدي عامر.

8- مخزن علي راشد[2].

المطلب الرابع: القبائل والأعراش المخزنية ببايلك الشرق:

توجد ببايلك الشرق مجموعة من القبائل المتعاونة مع السلطة والتي تحولت إلى قبائل مخزنية بمختلف أشكالها وهي:

1-المخزن المحارب: ومنهم دائرة خليفة الباي.

1- مخزن أولاد عبد النور بالمنطقة الغربية من بايلك قسنطينة[1]، وعامر الغرابة المتواجد بفحص سطيف المدينة التي بناها الفرنسيون[2]. إضافة إلى مخزن العلمة ومخزن مجانة ومخزن أولاد عياد ومخزن أولاد خلوف ومخزن التلاغمة.

[1] بلبروات بن عتو، المرجع السابق، ص251.

[2] حميد آيت حبوش، المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني(1519م- 1830م) على ضوء المصادر الأوروبية، رسالة ماجستير تخصص تاريخ حديث ومعاصر، إشراف.د. حنيفي هلايلي، جامعة سيدي بلعباس، 2008م- 2009م، ص73.

2- مخزن عامر الشراقة وأولاد علي والعمامرة والنمامشة يتواجد في المنطقة الشرقية من البايلك الواقعة بين قسنطينة والحدود التونسية.

3- في المنطقة الجنوبية من البايلك يتواجد مخزن الزمول، ومخزن الحراكتة الذي يخضع لسلطة قائد العواسي، وهو يضم أربعة مجموعات، مجموع قبائلها اثنين وثلاثين قبيلة صغيرة، وأغلبهم يشكلون القوة العسكرية لقائد العواسي الذي كان مقرباً ومستشاراً لباي قسنطينة والذي كان تحت تصرفه ثلاثمائة فارس احتياطي ويمكن لمخزن الحراكتة أن يمده في أي وقت من الأوقات بأربعمائة فارس قومية[3].

وأيضاً قائد منطقة الأوراس والسحاري وغيرهم وقد قدر فاي سات vayssettes عدد فرق المخزن في بايلك قسنطينة بحوالي ستة آلاف فارس وستة آلاف من المشاة، واعتبر مخزن الزمالة المرابطة بسهل عين مليلة أهم مجموعة في البايلك[4].

أما المزارعين والموظفين فنجد فيهم: *مخزن أولاد ابراهيم. ومخزن أولاد بن فرات.

1- مخزن أولاد دراج.

2- مخزن بني حميدان.

3- مخزن أولاد فضيل[5].

ويقدر لويس رين Louis Rinn عدد قبائل المخزن ببايلك الشرق المحاربين بـ25 مجموعة والمزارعين بـ22 مجموعة[1]. هذا ويصنفهم روبين Robin من بين أكبر القبائل بالبايلك[2].

---

[1] جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 9هـ (16م) إلى القرن 13هـ (19م) دراسة إجتماعية سياسية، رسالة ماجستير تخصص تاريخ حديث، إشراف.د. حماد حسين، جامعة قسنطينة، 1990م- 1991م، ص135.

[2] بلبروات بن عتو، المرجع السابق، ص254.

[3] بلبروات بن عتو، المرجع السابق، ص254.

[4] جهيدة بوعزيز، الصراعات الداخلية وأثرها على المجتمع الريفي في بايلك الشرق الجزائري أواخر العهد العثماني 1771م- 1837م، رسالة ماجستير تخصص تاريخ حديث، إشراف.د. جميلة معاشي، جامعة قسنطينة2، 2011م- 2012م، ص27.

[5] حميد آيت حبوش، المرجع السابق، ص73.

المطلب الخامس: القبائل والأعراش المخزنيةببايلك الغرب: توجد ببايلك الغرب المجموعات المخزنية المحاربة والمزارعة وهي:

أولاً: القبائل المخزنية المحاربة منها:

1-مخزن قبائل الظهرة وهي: مخزن مازونة التي تتشكل من مجموعة من القبائل التي تتفرع إلى دواوير وأحياء. توجد فيها أو تقطنها قبائل أولاد حمايت، أولاد الباي، أولاد علي بن كبيرة، أولاد احمد، وأولاد أحمد الشيخ، أولاد سيدي عيسى، أولاد معمر، أولاد بحدة، الغرارية، أولاد رقيق، أولاد حميدة، الحاج الطيب، المحاميد، أولاد بزيان، أولاد بويوسف، أولاد لعرج، أولاد القايد، أولاد العربي، الربايعية، أولاد البكير، المجابرية، الدرادشة، المعايشية، أولاد السايح، الكرايطية، أولاد سيدي احمد بن يوسف، أولاد سعد، أولاد بالله، أولاد الميلودبلقايد، أولاد سيدي عمار، حبوشة أولاد سيدي أحمد[3].

2-مخزن آغا الدوائر يتكون من دوائر البحايتية بوادي سيق بعين تيموشنت وقبيلة هاشم الدروغ "التحاتا" و"الفوقا" بمستغانم. ودوائر فليتة والدوالي بزمورة وقبيلة الحشم بفرعيها الشراقة والغرابة بضواحي معسكر. بالإضافة إلى قبيلة أولاد درياح في ضواحي تلمسان[4].

وأما القبائل المخزنية الحربية المشكلة لآغا الزمالة فنذكر منهم: قبيلة الزمالة وحميان المالج[5] شرق وهران. وقبيلة المكاحلية بضواحي معسكر[6]. وأولاد سلامة ومخزن سحرارة[7].

---

[1] Louis Rinn" le Royaume D'Alger sous de dernier der، chapitre 7، beylik Qsantina". R.A، N°43، 1899، P12.

[2]N. Robin. Op. N°17، p196.

[3] سلطانة عابد، التراتيبية الاجتماعية ببايلك الغرب وأثرها على مقاومة الأمير عبد القادر(1832م- 1847م)، رسالة دكتوراه تخصص تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، إشراف.أ. فغرور دحو، جامعة وهران، 2010م- 2011م، ص167.

[4] فارس العيد، المرجع السابق، ص287- 288.

[5]بلبروات بن عتو، الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري 1779م- 1797م، رسالة ماجستير تخصص تاريخ حديث ومعاصر، إشراف.أ.د. بلقاسمي بوعلام، جامعة وهران، 2001م- 2002م، ص80.

[6] فارس العيد، المرجع السابق، ص288.

[7]بلبروات بن عتو، المرجع السابق، ص80.

ولقد كان مخزن خليفة الشرق يتكون هو الآخر من عدة قبائل حربية منهم: قبيلة بني فاطم بمنطقة الجندل وقبيلة عبيد. الفراحلية بجسر الشلف وصبايحية وادي الشلف وقبيلة حشم وادي الدردور بعين سلطان[1].

ثانياً: القبائل المخزنية الفلاحية وتتكون من:

1- مخزن قبائل بني مسلم ويتكون من قبيلة أولاد صابر وهي أهم قبيلة بهذه المخزن، حيث كانت مكلفة بتربية وتوفير ما كان يحتاجه البايلك من خيول وحيوانات لصالح قبائل أوجيش المخزن. وتنقسم بدورها إلى عدة أعراش ودواوير منها: الشراركة، أولاد سيدي المهل، أولاد يحيى، أولاد بوسعيد، أولاد يغمور[2].

2- مخزن قبائل الشلف ومينا: ويتشكل من المكاحلية، عبيد السدرة، الرقاير، أولاد سيدي بوزيد، القطارنية، عمور، أهل عتبة والزوارة.

3- مخزن المحال وهذه القبيلة مكلفة بتوفير قوة ب50 فارس مسلح للبايلك، ولم يكن مسموحاً لها ركوب الخيل إلاّ في حالة مرافقتها موكب الباي. وتتشكل هذه القبيلة من الحواونة، العدادة، أولاد أحمد بسلطان، القهايرية وقبيلة أولاد احمد[3].

تقدر بعض الإحصائيات تعداد قبائل المخزن في بايلك الغرب بحوالي 46 قبيلة، منها حوالي 36 قبيلة عبارة عن قبائل مخزنية محاربة. وحوالي 10 قبائل هي قبائل مخزنية مشتغلة بالفلاحة[4].

نستنتج من خلال هذا أن القبائل المخزنية عددها محدّد ولكنها شملت معظم المناطق وكل البايليكات، إلاّ أن بايلك الغرب احتل الصدارة في مجموع القبائل المخزنية التي شكلتها القبائل المتعاونة مع السلطة. ويفسر ارتفاع عدد المخزنية، الاحتلال الإسباني لوهران والوضع غير الآمن في المنطقة بالخصوص والبايليكات بشكل عام.

[1] فارس العيد، المرجع السابق، ص288.

[2] سلطانة عابد، المرجع السابق، ص165.

[3] سلطانة عابد، المرجع السابق، ص- ص165- 166.

[4] فارس العيد، المرجع السابق، ص287.

المطلب السادس: أماكن تواجد قبائل المخزن:

انتشرت القبائل المخزنية في البايليكات الثلاث، وضواحي دار السلطان[1]، وذلك بحسب الحاجات العسكرية في تلك المقاطعات[2]، حيث كانت هذه القبائل تنتشر على المناطق أو النقاط الإستراتيجية وحول الأبراج والحصون لدعم الحاميات التركية، كما هو الشأن بالنسبة لعمراوة بالقرب من برج سيباو، وبالقرب من الجسور والممرات، مثل مخزن عريب بالقرب من ممر سور الغزلان ومخزن بوحلوان بالقرب من مضيق وادي جر، ومخزن دايرة الزناتية التي تراقب ممر رأس العقبة بين قالمة وقسنطينة[3]. في حين كانت الطرق المتواجدة ما بين قسنطينة والمناطق الأخرى بالبايلك مثل عنابة وبسكرة وتبسة وجيجل وبجاية، تراقبها قبائل الزمالة والدوابر[4].

تواجدت قبائل المخزن ايضاً بالقرب من الأسواق ومطامير البايلك مثل سوق العثمانية الذي يراقبه مخزن دايرة الصحراوية، ومخزن بوصلاح، وكذلك عند محطات القوناق الموجودة على الطرق الرئيسية، مثل مخزن بوحلوان، ومخزن أولاد السحاري، ومخزن عزارة وزمالة الحاج على الطريق الرابط بين الجزائر ووهران، أو مخزن الزواتنة ومخزن الغرازة ودايرة بوصلاح على الطريق السلطاني الرابط بين الجزائر وقسنطينة كذلك انتشر المخزن في النقاط التي تمر بها المحلات الفصلية أو المحلات التي تُسيّر لتأديب المتمردين، كذلك في النقاط المهددة من الهجمات الإسبانية والمغربية، مثل السهول الوهرانية التي استقرت فيها[5] الدوائر والزمالة[6].

---

[1] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص169.

[2] أندري برنيان وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر،(تر) اسطنبولي رابح ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985م، ص134.

[3] صالح عباد، المرجع السابق، ص320.

[4] Histoire de constantine sous la domination Turque ،E. VAYSSETTES ، éd. Bouchene 2002، présentation de O. S.Tengour،de1517- 1837 p 38.

[5] صالح عباد، المرجع السابق، ص320.

[6] أندري برنيان وآخرون، المرجع السابق، ص134.

وعلى العموم فإن قبائل المخزن تشكلت من مجموعات عرقية وأصول مختلفة، لأن تحديد الأصل والنسب الصحيح لهذه القبائل أصبح صعباً. نظراً لاندماج مختلف العناصر مع بعضها البعض. واتخذوا تسميات جديدة على حسب الوظائف التي كانوا يقومون بها ويمارسونها.

لقد ظلت قبائل المخزن تشكل العمود الفقري لإدارة البايلك، فقد تواجدت في معظم المناطق الخاضعة للسلطة العثمانية بالجزائر. حتى بالمناطق التي كانت بعيدة عن السلطة المركزية.

المبحث الثاني: علاقة قبائل المخزن مع السلطة والمجتمع.

اتسمت علاقة قبائل المخزن مع السلطة على العموم بنوع من التحالف الذي عززته المصلحة المتبادلة بينهما. حتى غدت قبائل المخزن من أهم الوسائل التي تعتمد عليها السلطة في عملية جباية الضرائب، هذه الأخيرة التي كانت إحدى العناصر الأساسية في تحديد العلاقة مابين فرسان المخزن والسلطة من جهة وقبائل المخزن والسكان خاصة المجتمع الريفي من جهة ثانية.

إذاً من خلال هذا يكون الإشكال المطروح، ماطبيعة العلاقة القائمة بين قبائل المخزن والسلطة؟ وكيف كانت علاقة قبائل المخزن بالمجتمع؟ وما أهمية النظام الضريبي في تحديد العلاقة بين الأطراف الثلاثة (السلطة، قبائل المخزن، المجتمع الريفي)؟.

المطلب الأول: علاقة قبائل المخزن بسلطة البايلك:

لجأت السلطة إلى قبائل المخزن التي كانت بمثابة قوة عسكرية أوكلت لها مراقبة المناطق غير الخاضعة لها، ولأنها كانت عاجزة عن تجنيد أكبر عدد من الإنكشارية، بسبب تراجع عملية التجنيد من الأناضول.

ومع مرور الوقت تزايد اعتماد الأتراك على نظام قبائل المخزن لتسهيل عملية تحصيل الضرائب التي كانت تلقى رفضاً كبيراً من طرف السكان.[1]

لقد ربطت هذه القبائل غالبية سكان الأرياف بسلطة البايلك، وكانت وسيلة ملائمة لمد نفوذ السلطة المركزية لإدارة البايلك بالمناطق النائية والجهات البعيدة. فحصلت بذلك على امتيازات أهمها، الحصول على إقطاعات تشمل أراضي واسعة لتربية الحيوانات وأراضي زراعية شاسعة لزراعتها، هذا مع تمكين زعماء تلك القبائل من حق ملكية المنازل وذلك حتى يبقوا على صلة بالجهاز الإداري للبايليك[2].

[1] رشيدة شدري معمر، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات(1671م- 1830م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ،إشراف .د. فلة موساوي القشاعي، جامعة الجزائر،2005م- 2006م، ص26-27.

[2] فلة القشاعي المولودة موساوي،النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771م- 1837م، رسالة ماجستير تخصص تاريخ حديث،إشراف.د. ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، 1989م- 1990م، ص 133.

هذا بالإضافة إلى الإعفاء من الضرائب وتلقي مرتبات[1]، ما عدا العشور والزكاة فكانت ملزمة بدفعها لأنها مطالب شرعية يجب عليها دفعها من أجل بيت مال المسلمين[2].

إن الإعفاء من الضرائب الإضافية الذي حظيت به قبائل المخزن، والذي ميزها عن بقية السكان، لم يكن معمول به بشكل دائم، فقد كانت هناك بعض الاستثناءات التي يكون فيها على بعض القبائل المخزنية أن تساهم بقسط من الواجبات المالية، التي لم تصل إلى حدِّ الضرائب الثقيلة. إذ لم تكن هذه المساهمات تنقص من امتيازاتها. لأنها لا تتعدى تقديم حصان واحد وبعض الخرفان. على عكس قبائل الرعية التي كان يستخلص منها مبلغ يعادل 28 خروفاً سنوياً. زيادة على الزكاة والعشور[3].

يلاحظ بأن الضرائب التي كانت تشارك قبائل المخزن في جمعها ربطت إلى حد كبير هذه القبائل بسلطة البايليك. فكانت الضرائب سبب قوي يستدعي أن تكون هناك علاقة بين هذه القبائل والسلطة.

تتمثل الضرائب التي كانت تساهم قبائل المخزن في استخلاصها من الأهالي في:

1- **الغرامة** : تفرض على المناطق الخارجة عن السلطة الفعلية للبايليك بالصحراء والهضاب العليا والمناطق الجبلية، مثل بلاد القبائل الكبرى والصغرى، عوضاً عن العشور، وهي تسدد إما نقدا أو عيناً وغالباً ماتؤخذ الغرامة عيناً في شكل مواشي ومواد غذائية لتوفرها لدى الأهالي.[4]

2- **اللزمة:** هي ضريبة عينية أو نقدية، وتسمى أيضاً ضريبة البدو[5]، وتفرض بغرض تموين الحامية وتزويد النوبة والمساهمة في الدنوش، وقد تفرض عادة على قبائل الرعية الخاضعة والتي غالباً ما

---

[1] بن جبور محمد، صورة الجزائر والجزائريين من خلال الكتابات الفرنسية في القرنين 17و18م، رسالة ماجستير في تاريخ العلاقات الدولية،إشراف.د. غازي جاسم، جامعة وهران، 2002م -2003م، ص58.

[2] Emerit،"les tribus privilégiées en Algérie dans la première moitié du XVIVe siècle"، in، A.E.S.C،(N°1)،1966،p49.

[3] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص265.

[4] ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية (الفترة العثمانية)،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001م، ص303.

[5] Mahfoud kaddache l'Algérie Durant la période Ottomane p 132. ، 2003،o.p.u،

تعيش على أراضي العرش، وقد تلزم بها بعض القبائل بالمناطق الصحراوية (الصحاري). أو الجهات الجبلية. وفي هذه الحالة تعوض هذه الضرائب ضريبة العشور والزكاة التي يتعذر دفعها في تلك المناطق البعيدة. وكانت تمثل دخلاً وفيراً لخزينة البايلك[1].

3- **ضيفة الدنوش**: وكانت تفرض على الموظفين السامين والبايات وقد عرفت انخفاضاً ملموساً في نهاية العهد التركي على خلاف الضرائب المفروضة على الرعية.

4- **البشارة أو الفرح**[2] : وكان يدفعها خليفة الباي مرة كل ستة أشهر[3].وعرفت ارتفاعاً محسوساً في نهاية الحكم التركي.

5- **مهر الباشا**: ضريبة على الخيل تفرض على القبائل التي تملك ما بين 600 إلى 700 حصان لإيصال دنوش الباشا.

6 -حق البرنوس: ضريبة يدفعها شيوخ القبائل والأسر الحاكمة عند تلقيهم قفطان التعيين، وتختلف قيمة هذه الضريبة من شيخ إلى آخر حسب أهمية المنطقة التي يسيطر عليها، فكان شيخ العرب، على سبيل المثال يدفع 20000 بوجو.

هذا بالإضافة إلى العديد من الضرائب مثل "المشيرخ" وتفرض على كبار شيوخ القبائل. و"المقاد" ضريبة على الخيل. و"البقراج" ضريبة على السمن والعسل. و"الحق" وهي الهدايا الجبرية التي كانت تدفع من طرف الرعية لمختلف الموظفين[4]. وهذه الضرائب كلها كانت تدفع في مختلف المناسبات حسب الفئات والقبائل[5].

إن هذه الضرائب استحدثها الأتراك مثل غيرهم ممن سبقوهم فهي ضرائب مضافة للضرائب الشرعية، الزكاة والعشور.ويذكر في هذا الصدد الحاج أحمد الشريف الزهار، فيقول[6]:

---

[1] فلة القشاعي موساوي، المرجع السابق، ص64.

[2] جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 175.

[3] أرزقيشويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830م، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2011م، ص76.

[4] جميلة معاشي، المرجع السابق، ص175.

[5] لمزيد من الإطلاع ينظر:القشاعي موساوي فلة، النظام الضريبي... ، المرجع السابق، ص68.

[6] الحاج أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر (1168هـ-1246هـ) الموافق لـ (1754م-1830م)، تحقيق أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1980م، ص 35.

"وهكذا وضع الأوائل الجباية على المنهج الشرعي والأواخر صاروا يخرجون المحلات لاستخلاص المغارم والظلمات ونهب أموال المسلمين. وما وقع هذا حتى صار الناس فجاراً والأمراء ظالمين" لقد ساهمت قبائل المخزن في جباية الضرائب وشاركت في المحلات، حيث جندت فرسانها لهذا الغرض.

كما استعانت بها في تعزيز الحامية التركية بالجزائر حيث وصل عدد أفراد الفرق العاملة في الريف والمدن إلى 30 ألف رجل[1]، وكان قد وضع تحت تصرف البايليك 15 ألف محارب موزع على مختلف انحاء البلاد، فضلاً عن توفير قوة فعالة من فرسان قبائل المخزن تكون موضوعة في حالة احتياط[2].

فبفضل قبائل المخزن استطاع الحكام الأتراك أن يفرضوا سيطرتهم ويمدوا نفوذهم على جهات متباعدة من الإيالة الجزائرية. وأن يحافظوا على الحاميات المتمركزة بالقرب من الأسواق المهمة والحصون الإستراتيجية والمواصلات الحيوية وأن يتمكنوا من استخلاص الضرائب وإخضاع الثائرين[3].

على العموم، إن ما يمكن استنتاجه عن العلاقة بين قبائل المخزن والسلطة، أنها تميزت بالتعاون والتحالف، بين الطرفين، لأن سلطة البايليك كانت في حاجة ماسة إليها، وخاصة في الفترات الأخيرة من الحكم التركي في الجزائر بسبب نقص الجند وانعدام الكفاءة والخبرة لديهم.

المطلب الثاني: علاقة قبائل المخزن بالمجتمع الريفي:

إن طبيعة العلاقة التي ربطت قبائل المخزن بالأهالي تمثلت أساساً في جباية الضرائب ومحاولة القبائل المخزنية السيطرة على المواقع الإستراتيجية والتي قد تكون منطلقاً لشن هجومات على حاميات السلطة، لأن هذه المواقع كانت في معظمها تضم قبائل خارجة عن السلطة التركية، أو تحاول التمرد عليها.

إن العلاقة القائمة بين المخزن وسكان الريف، نجدها تنحصر فيما أوردناه من استخلاص للضرائب، والتي كانت تسير إليها حملات فصلية، على شكل محلة موجهة ضد السكان، إذ تعرف

[1] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية...، المرجع السابق، ص262.

[2] ناصر الدين سعيدوني، دور قبائل المخزن...، المرجع السابق، ص51.

[3] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية...، المرجع السابق، ص263.

المحلة بأنها عبارة عن مجموع الحملات العسكرية التي تسير خلال السنة لجباية الضرائب، وفي نفس الوقت حملات ردعية اتخذت شكل السلطة المتنقلة بحثاً منها على الشرعية في محيط سادت فيه العصبية القبلية، فاعتبرت بذلك تجسيداً للإدارة المركزية التركية داخل الجزائر[1].

كانت المحلات تخرج مرتين في السنة، في الربيع والخريف. حيث تغادر مدينة الجزائر في اتجاه البايليكات في شهر أبريل. وكل محلة يرافقها خليفة الباي في الذهاب والإياب. وتختلف المدة التي تمكثها كل محلة من بايليك لآخر[2].

لقد كانت محلة بايليك الشرق تستغرق ستة أشهر وذلك لكبر مساحته. أما محلة الغرب فكان نشاطها يستلزم أربعة أشهر ونصف الشهر لتعود بعد ذلك إلى الجزائر. بينما في بايليكالتيطري فنشاط المحلة لا يتجاوز أربعة أشهر[3].

كانت المحلة توضع تحت قيادة الآغا، كما كان فرسان المخزن يساعدونهم في جمع الضرائب والغرامات من القبائل[4]، وقد تسببت في كثير من الأحيان في وقوع حوادث دامية، وأعمال تخريبية كرد فعل لاستبداد الحكام والأمثلة على ذلك كثيرة، نذكر من بينها ما فعلته قبائل الظهرة عندما ثارت احتجاجاً على مبلغ العشور الذي حدد عليها[5].

وعند حدوث عصيان وتمرد على السلطة المركزية، كرد فعل قبائل الظهرة، فإن المحلة الفصلية ومعها المخزن تأخذ شكل حملة عسكرية منظمة ويترتب عنها إجراءات عسكرية قمعية، فتوقع العقاب بأفراد القبائل المعادية وتسلب أموالهم وتصادر ممتلكاتهم وتستبيح أرزاقهم[6]. حيث أورد

---

[1] سفيان صغيري، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر(1671م-1830م)، رسالة ماجستير تخصص تاريخ حديث ومعاصر، إشراف.د. حسينة حماميد، جامعة باتنة، 2011م-2012م، ص118.

[2] أرزقيشويتام، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي (الفترة العثمانية 1519م-1830م)، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010م،ص-ص32-33.

[3] J.M.venture de paradis،tunis et Alger au XVIIIé. SBIB. Arabesindbad، paris، 1983، p 170.

[4] أرزقيشويتام، دراسات ووثائق...، المرجع السابق،ص-ص 33-34.

[5] عمر بوخروفة، أراضي الملك في الجزائر العثمانية، رسالة ماجستير،إشراف.د. ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، 1981م، ص- ص 26-27.

[6] ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية...، المرجع السابق، ص360.

ذلك وليام شالر بقوله "البايات وحكام الأقاليم، هم المسؤولون عن جمع الضرائب، وبواسطة أعوانهم من العساكر والشرطة، يستحوذون على كل ما يقع تحت أنظارهم من أموال الشعب وهذا الظلم الذي لايطاق جعل الناس يهجرون البلد ويتركون السهول الخصبة ليلجأوا إلى قمماً لاسبيل إلى وصول الأتراك وأعوانهم اليها..."[1].

لذلك اعتمدت الإدارة العثمانية بالأرياف في فرض سلطتها وإخضاع السكان وربطهم بالحكم المركزي بالجزائر على إقامة نظام دفاعي يقوم على نظام الحملات الفصلية (المحلات) التي سبق لنا ذكرها.

فنقطة الالتقاء بين سكان الريف وقبائل المخزن كانت تتمحور، في تمركز هذه الأخيرة في النقاط الإستراتيجية، بالقرب من الطرق الرئيسية وبجوار المراكز العسكرية للحد من تحرك القبائل الثائرة والقضاء على حركات التمرد التي تقوم بها هذه القبائل من حين إلى آخر[2]. من ذلك تمركز مخزن هاشم ببرج بوعريرج، ومخزن عمراوة ببرج سباو، ومخزن أم نائل ببرج يسر ومخزن الخشنة ببرج ثنية بني عائشة.

لذلك عملت القبائل المخزنية على حراسة هذه الأماكن، خاصة حول الأبراج والحصون التي كانت تقيم بها الحاميات التركية الصغيرة، فكان على المخزني أن يكون على أهبة الاستعداد لحمل السلاح وخوض المعارك إذا طلب منهم قائد الحامية التركية ذلك[3].

تركزت قبائل المخزن كذلك، بالقرب من الخوانق الجبلية والممرات الصعبة وعند الجسور والقناطر الرئيسية. وبجوار الأسواق الرئيسية الأسبوعية منها والفصلية، كسوق عين اللوحة بالقرب من تاهرت، ومنه يراقب مخزن أولاد خليف تحركات قبائل أولاد سيدي الشيخ التي كثيراً ما كانت تقلق رجال البايلك مثل ما حدث أيام الباي علي بن شنوف[4].

[1] وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا بالجزائر، تر: اسماعيل العربي، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1982م، ص59.
[2] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية...، المرجع السابق، ص279.
[3] ناصر الدين سعيدوني، دور قبائل المخزن...، المرجع السابق، ص57.
[4] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية...، المرجع السابق، ص268.

إضافة إلى ذلك تتموقع قبائل المخزن بالقرب من طرق المواصلات الرئيسية والمسالك المهمة، وبالخصوص الطرق المعروفة آنذاك بالطرق السلطانية. والتي كانت تربط مراكز البايلك في مدن قسنطينة والمدية ومعسكر ووهران بمركز السلطة الحاكمة في الجزائر.

مثل تمركز مخزن بوحلوان بالقرب من مليانة ومخزن أولاد الصحاري إلى الغرب من مليانة ومخزن بن يحي على وادي الرويبة[1].

إضافة إلى المواقع الحساسة، والمهددة بهجمات الإسبان وغارات السعديين[2]، والقبائل المتمردة، كقبيلة الأعشاش، التي كانت تسد الطرق، وقبيلة فليتة التي كانت تمتنع عن أداء الضرائب منذ سنين طويلة[3].

فقد سيطر الاسبان على وهران وسيطروا على معظم قبائل الغرب. خاصة قبائل بني عامر وكريشتل التي عرفت بإخلاصها للإسبان ويؤكد ذلك صاحب كتاب بهجة الناظر فيقول[4]:" ...بني عامر فإنهم كانوا رعية للنصارى لاجنداً ثم إن شافعاً كان عددهم نحو العشرين دواراً وكانوا أهل نجدة وبأس شديد...فتقوّى بهم الإسبانيون بغاية التمكين واشتدت شوكتهم على المسلمين".

إذاً على ما يبدو أن المهام التي كان يقوم بها المخزن هي من حدد العلاقة بينه وبين أهالي الريف، فمشاركته في حماية العديد من الأماكن المهمة وجباية الضرائب، ومراقبة السكان المتواجدين في المراكز الإستراتيجية. وكذلك الأعمال القمعية التي كان يمارسها ضد القبائل بتنظيمه للحملات الردعية. كل ذلك أدى إلى رسم صورة سيئة للمخزن من طرف الأهالي، الذين كانوا يرون فيه الظلم والاستبداد بعينه. فعلاقة قبائل المخزن بالسكان في الريف علاقة "آكل بمأكول" كما وصفها أحدهم.

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، دور قبائل المخزن...، المرجع السابق، ص-ص 58-59.

[2] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية...، المرجع السابق، ص270.

[3] سيد احمد بلبوري، وهران وضواحيها: اجتماعياً-سياسياً-اقتصادياً إبان الاحتلال الاسباني 1505م-1792م، رسالة دكتوراه تخصص تاريخ حديث ومعاصر، إشراف. نور الهدى بوخالفة، جامعة سيدي بلعباس، 2006م-2007م، ص143.

[4] عبد القادر المشرفي، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، مكتبة الحياة، بيروت، (د ت)، ص14.

إن النظام الضريبي كما قلنا أحد أهم الأسباب التي ربطت المجتمع الريفي بالسلطة، إذ كانت تبعية سكان الأرياف للسلطة المركزية اسمياً، فيما عدا دفعهم للضرائب فهم في حالة شبه مستقلة ويخضعون لشيوخهم ولقوانينهم الخاصة، ما جعل العلاقة تتلخص أساساً في مجموعتين حاكمة ومحكومة في خضم النظام الضريبي[1].

لقد كانت العلاقة بين الطرفين سيئة إلى حدٍّ كبير، كما أوردها وليام شالر بأنها مضطربة ومتزعزعة، نظراً للإستبداد الذي كانت تمارسه سلطة الأتراك والمخزن معاً، من أجل جمع الموارد المالية التي تسمح لها بالاحتفاظ بمناصبهم[2].

إذاً تبرز أهمية النظام الضريبي في تحديد العلاقة بين السلطة و قبائل المخزن من جهة والمجتمع الريفي من جهة ثانية، في أنها جعلت قبائل المخزن محور العلاقة بين الطرفين، فكانت العلاقة بين السلطة وقبائل المخزن، قائمة على التعاون بمعنى التحالف القائم على المصلحة المتبادلة، ولذلك عرفت تحسناً في مختلف مراحل الحكم التركي.

وعلى النقيض من ذلك مع سكان الريف الذين كانوا يكنون العداء للطرفين(أي قبائل المخزن والسلطة)، فقد ساهمت قبائل المخزن في تزايد هذا العداء وسوء العلاقة أكثر. بسبب أعمال التعدي التي كانت تقوم بها. وتجريد الكثير من القبائل من حقوقها. وتصنيفها ضمن الرعية الخاضعة التي لاحقوق لها.

وبشكل عام كانت الضرائب تتحكم في طبيعة العلاقة بين السلطة والسكان، فكلما التزم الطرفان بالقيام بواجباتهم ساد الاستقرار، وإذا قصر أحد الطرفين عادت الفوضى والاضطرابات للبلاد.

[1] جهيدة بوعزيز، المرجع السابق، ص30.

[2] وليام شالر، المصدر السابق، ص45.

المبحث الثالث: دور قبائل المخزن الإداري والعسكري والاقتصادي.

من خلال دراستنا للعلاقة التي ربطت شرائح المجتمع الريفي بالسلطة وقبائل المخزن. تتبلور لنا فكرة بأهمية هذه القبائل أثناء الحكم التركي، وذلك من خلال الدور الذي قامت به في مختلف المجالات والذي ساهم إلى حدٍّ كبير في ربط سكان الريف بالحاكم في المدينة. فكان الإشكال المطروح لدينا، فيما تجلى دور قبائل المخزن؟ وماهي الآثار المترتبة عن ذلك؟.

المطلب الأول: دور قبائل المخزن في الميدان الإداري:

كانت قبائل المخزن تمثل الجهاز الإداري الحقيقي للأتراك في الريف[1]، فهي بمثابة حلقة وصل بين الحاكم والأهالي. حيث دورها تمثل في توفير الأعوان الإداريين، المكلفين بجمع الضرائب من قبائل الرعية، وتتولى في نفس الوقت مراقبتها وتسيير شؤونها، وإحصاء وجرد أفرادها وممتلكاتها وحيواناتها[2].

كان الدايات والبايات يعينون على رأس قبائل المخزن حسب وضع كل واحدة منها، شيوخاً وقيادات وآغوات وخلفاء البايات[3]، وكانت هذه التعيينات خاضعة لمقاييس ومعايير معينة. فالقبائل القوية، كان يسمح لها بأن تعين شيوخاً بنفسها، أما قبائل الزمول والعبيد والدوابر، فالإدارة هي التي كانت تتولى تعيين رؤسائها[4].

كان على الرؤساء المعينين دفع مبلغ من المال، حق تقليد القندورة. فكان آغواتالدوابر مثلاً، يدفعون للباي ألف ريال[5]بوجو. أما آغوات الزمالة، فكانوا يدفعون عشرين ألف بوجو. وإضافة إلى مبلغ التعيين، كانوا يدفعون حوالي نفس المبلغ كل ستة أشهر للبقاء في مناصبهم[6].

---

[1] محمد الزين، المرجع السابق، ص114.

[2] أرزقيشويتام، المجتمع الجزائري...، المرجع السابق، ص172.

[3] W.Esterhazy، Notice historique sur le Makhzen D'oran،perrier Oran، 1849، p 273.

[4] أرزقيشويتام، المجتمع الجزائري...، المرجع السابق، ص172.

[5] هي عملة إسبانية.

[6] محمد الزين، المرجع السابق، ص-ص 114-115.

لقد عمل الأتراك على الإبقاء على تقاليد الولاء نفسها التي ورثوها عمن سبقهم من الحفصيين والزيانيين وتبعاً لنفس التقاليد عملت قبائل المخزن، وذلك لأهميتها في استخلاص الضرائب ومعاقبة الخارجين عن القانون، ومع تقدم الزمن ازدادت صلاحيات هذه القبائل فأصبحت تشارك في كل الحملات التي تشنها محلات الحكومة المتوجهة من العاصمة أو في المحلات التي يوجهها كل باي إلى بايلكه[1]، بل وأصبحت قيمة كل باي تقدر بمدى سطوة وقوة مخزنه[2]، والمثال على ذلك ما أورده مسلم بن عبد القادر معلقاً على أمر الداي لمحمد الكبير باي الغرب، بمهاجمة إحدى القبائل المتمردة على آغا الجزائر، رغم أن هذه القبيلة وهي عريب لم تكن تابعة لبايلكه، إذ يقول: "...وعريب هو حي كبير من أحياء الأعراب البادية رعية آغا الجزائر ووطنه مابين حمزة والدهوص ومنه الحد بين رعية باي قسنطينة وبين باي المدية وكان مسرار لشيخه بعض التقي على مُتَوَلِّي أمره، فاعلم به الباشا ظهر له رأيه أنه لا يفيد في ذلك إلاّ الباي محمد ومخزنه لما يعرفه فيهم من الشجاعة والنجدة فبعث إلى الباي بالغزو عليه. أمر لا يتصور في العقل لبعد المكان وعدم تصرف باي الغرب في غير رعيته لأنه بينه وبين هذا الحي رعية باي المدية فنهض الباي من ساعته وكان صاحب حزم وعزم..."[3].

من خلال الخدمات التي كانت تقدمها قبائل المخزن للبايلك، زاد اعتماده عليها، خاصة بعدما برهنت له على كفاءاتها الميدانية في مواجهة القبائل العاصية، فحصلت مقابل ذلك على بعض الامتيازات نظراً للدعم العسكري والمادي الذي كانت تقدمه للداي أو الباي أو المحلة، كلما تطلب الأمر ذلك[4].

ولهذا السبب لم تقم الإدارة بتجريد أفراد قبائل المخزن من أسلحتهم، وذلك بالرغم من الأخطار التي يمكن أن يشكلها مثل هذا الإجراء. إلاَّ أن الإدارة على ما يبدو، قد اتخذت التدابير الضرورية لمواجهة أي طارئ. ومن الإجراءات الوقائية التي اتخذتها الإدارة، لضمان ولاء قبائل المخزن، وتبعيتها لها، وإجهاض محاولاتها الانفصالية:- أنها تركت لبعض القبائل حرية تسيير شؤونها

[1] أحمد بحري، الجزائر في عهد الدايات...، المرجع السابق، ص62.

[2] محمد الزين، المرجع السابق، ص115.

[3] مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب المسافر، تحقيق: رابح بونار، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م، ص99.

[4] M.Emerit، op،cit، p51.

الداخلية بنفسها، إلاّ أن ذلك لا يعني غياب الإدارة، إذ احتفظت بملكية بعض الأراضي الزراعية بجوار أراضي تلك القبائل، التي كانت تستغلها بواسطة الخماسين، الذين كانوا بمثابة عيون الإدارة، يتتبعون عن كثب تحركات تلك القبائل[1].

لقد منحت الإدارة التركية للقبائل المخزنية الاستقلالية في مسائلها، فأصبح بإمكان أفرادها تعيين من يتولى النظر في قضاياهم والحكم فيها وفق نصوص الشريعة الإسلامية أحياناً، والأعراف والعادات المتوارثة في أحيان أخرى، وكان المهم بالنسبة للسلطة التركية إبقاء هذه القبائل خاضعة لسيطرتها وعدم تهديدها للأمن والاستقرار[2].

لم تكن السلطة تتدخل في أعرافهم ولا قضاياهم، وكل قبيلة مستقلة يترأسها في الظروف العادية أحد أفراد الأسر الوجيهة، الأكثر غنى وجاهاً، واحتراماً، وقد يضطر سكان القبيلة المخزنية للتنقل إلى مدينة الجزائر، وطرح قضاياهم أمام الداي شخصياً باعتباره القاضي الأعلى، إذا لم يرضوا بحكم الشيخ[3].

كل هذه المنح والأدوار التي حظيت بها قبائل المخزن، كان بإمكان الإدارة أن تجردها منها، وتحولها إلى قبائل رعية خاضعة، عندما تتخلى على أداء التزاماتها نحو الإدارة.

كما اتخذت الإدارة تدابير وسياسة واضحة، لتجنب تحالف القبائل فيما بينها ضد السلطة، فقامت بإلحاق بعض القبائل بآغا مدينة الجزائر مباشرة، كما هو الشأن بالنسبة لأولاد أحمد بن سعد، وأولاد عزيز، في ضواحي سرسو التابعة لبايلك الغرب. وفصلت قبائل أولاد هلال وأولاد عنتر عن بايلك التيطري، وأوكلت قيادتها لباي وهران[4]. وانتهجت الإدارة سياسة مشابهة في منطقة القبائل، فبعدما كانت تابعة لبايلك التيطري، ألحقت إدارياً بدار السلطان، منذ أواخر القرن 12هـ/18م [5].

---

[1] أرزقيشويتام، المجتمع الجزائري...، المرجع السابق، ص173.

[2] حميد آيت حبوش، المرجع السابق، ص126.

[3] المرجع نفسه، ص126.

[4] أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري...، المرجع السابق، ص173.

[5] M.Guin," notes historiques sur les Adaoura", in R.A, N° 17, Alger 1873, p 424.

بهذه الطرق والوسائل التي انتهجتها الإدارة، تمكنت من فرض سيطرتها على قبائل المخزن، سواءً بمنحها امتيازات، أو معاقبتها في حال تمردها وإخلالها بالأمن العام.

وبحق لعبت دوراً إدارياً، وذلك لكونها كانت حلقة وصل بين الحكام والأهالي. من خلال تمركزها بالريف واستلامها لكافة المهام الإدارية المتعلقة به.

علماً أن الدور الذي لعبته قبائل المخزن، كانت له آثاراً سلبية على الأهالي، بحيث أصبح الحكام الأتراك ينظرون إليهم على اختلاف أوضاعهم لا على كونهم رعايا خاضعين وإنما باعتبارهم أصنافاً ومجموعات بشرية متفاوتة من حيث الواجبات والحقوق.

فحسب هذه النظرة التي نتجت عن دور قبائل المخزن، نجد عدة أصناف من السكان[1]، فهناك الصنف الخاضع مباشرة للأتراك، فيعرف بقبائل الرعية، المعرضة لكل أنواع الضغط والاستغلال. وصنف آخر من السكان بقي بعيداً عن السلطة التركية متحصناً في المناطق الجبلية. وصنف متعامل مع السلطة التركية مقابل امتيازات مادية ومعنوية، والذي كانت ضمنه قبائل المخزن[2].

المطلب الثاني: دور قبائل المخزن في المجال العسكري:

تمثل الدور العسكري لقبائل المخزن، في توفير الفرسان لتدعيم الحاميات العسكرية، المرابطة في مختلف جهات البايلك وتعزيز تلك الحملات أثناء خروجها في الأرياف لجمع الضرائب. إضافة للمشاركة الفعالة في الحملات التأديبية، التي كانت توجه ضد القبائل المتمردة، إضافة إلى مراقبتها للطرقات والنقاط الحساسة عبر البلاد[3].

لقد كان عدد الفرسان الذين تجندهم كل قبيلة، مرتبطاً بالعدد الديموغرافي لكل قبيلة. فكانت الأوطان التابعة لبايلك الشرق، تجند حوالي 23 ألف فارس مخزني في أوقات الحرب وأثناء عمل المحلات. بينما بايلكالتيطري كان يجند حوالي 12 ألف محارب من قبائل الدوابر والعبيد[4].

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، دور قبائل المخزن...، المرجع السابق، ص50.

[2] ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800م-1830م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

[3] E.Mercier،la Question Indigène en Algérie au Commencement du XXè siècle، A.challamel éd، paris 1901، p20.

[4] حسان كشرود، المرجع السابق، ص62.

كما جندت قبائل المخزن، في عملية مع باي التيطري الباي بومزراق سنة 1825م [1]. واعتمد الباي محمد الكبير في تحريره لوهران على 470 فارس من دوابر عطية وأولاد شريف، زيادة على 286 فارس من آغا مخزن خضارة و 313 فارس من مخزن غرابة و500 فارس من مخزن برجية الصراط[2].

اعتبرت قبائل المخزن بمثابة الشرطة المحلية الرادعة للحركات المعادية، وعملت على تطبيق أوامر البايلك وحماية مصالحه، وفرض احترام الرعية له، وقامت أيضاً بمراقبة الأماكن الإستراتيجية وتدعيم الحاميات العسكرية بالجنود، خاصة في بايلك الغرب حيث كانت القاعدة العسكرية قوية وذلك لمواجهة الأخطار التي تهدد الأيالة من المملكة المغربية والإسبان. ومع مرور الوقت تنامت قوتها خاصة مع نهاية العهد التركي في الجزائر[3].

كذلك برز دور قبائل المخزن في تصديها لحركات التمرد ضد الحكم التركي، وخاصة في مرحلة البدايات(1671م-1830م)، حيث برزت انتفاضات شعبية منها انتفاضة الدرقاوية بقيادة زعيمها ابن الشريف الدرقاوي، والتي كانت أسبابها الرئيسية، تتمثل في السياسة الضريبية القاسية التي فرضت بالقوة على الفلاحين، والعداوة التي أبداها بايات وهران لرجال التصوف والطرق الدينية. ولو أن الباي محمد بن المفتش تمكن من التصدي لها سنة 1805م[4].

كما شاركت قبائل المخزن في قمع ثورة ابن الأحرش بالقبائل الصغرى التي قامت لنفس الأسباب، في الشرق الجزائري، مع بداية سنة 1804م في نواحي قسنطينة[5]، والتي ورد ذكرها من

---

[1] فاطمة شيخ، الصورة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للجزائر في عهد الداي حسين باشا(1818م-1830م)، رسالة ماجستير تخصص تاريخ حديث ومعاصر، إشراف.أ.د. حنيفي هلايلي، جامعة سيدي بلعباس، 2011م-2012م، ص12.

[2] حسان كشرود، المرجع السابق، ص62.

[3] سفيان صغيري، المرجع السابق، ص 120.

[4] بومدين أولاجي، قراءة تحليلية في الواقع الاجتماعي للطرق الصوفية ودورها في حركة التواصل(الجزائر العثمانية)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،إشراف.أ.د. محمد مكحلي، جامعة سيدي بلعباس، 2011م-2012م، ص-ص 70-71.

[5] مختار بونقاب، تاريخ الطريقة الدرقاوية في الجزائر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث،إشراف.أ.د. فغرور دحو، جامعة وهران،2001م-2002م، ص78.

طرف صالح العنتري بقوله[1]: "...توجه بهم إلى قسنطينة قاصداً الاستيلاء عليها، وزاعماً أنه مأذون بذلك، ومتى يصلها يدخلها بمجرد الدعوة، وأهلها لا ينفعهم شيء، إذ ذاك معه إذا منعوه، وأرادوا مُدافعته عنهم مثلاً...".

وقد انتهت هذه الثورة بالفشل إلاّ أنها تسببت في خسائر فادحة في الأرواح والعتاد. وساءت الأحوال الاقتصادية بحدوث مجاعات عان منها سكان المنطقة[2].

ومن بين التمردات التي قمعها المخزن أيضاً، ثورة التيجانية في 1815م إلى1827 م، والتي انتهت بإلقاء القبض على قائدها ومن كان معه وقتلوا جميعاً[3].

لقد لجأ البايلك للاستعانة بقبائل المخزن في قمع الثورات والتمردات في أواخر الحكم التركي، لأن الجند الإنكشاريين كان عددهم في تناقص مستمر لأسباب تم ذكرها.

وإذا نظرنا إلى الدور الذي كان يقوم به الفارس المخزني، فإنه كان يلبي طلب الخدمة العسكرية متى وجه إليه الأمر بذلك ويبقى مجنداً طوال المدة التي تكون الحكومة في حاجة إليه وعليه أن يتحمل كل المصاريف التي تتعلق بحاجاته اليومية دون أن يتلقى من الحكومة أي تعويضات على ذلك بعد إنهاء الخدمة[4].

لكن هذا التنظيم وإن كانت له دوراً في قمع حركات التمرد وتوفير الفرسان لحماية البلاد واستتباب الأمن والاستقرار. فقد عرف عنه القيام بأعمال وحشية وتعسفية في حق قبائل الرعية، وتغاضى عنها الحكام، من نهب وسرقة ومصادرة الأملاك لتصبح بهذا قوة حربية عازلة، لا طبقة اجتماعية رابطة وعامل تفريق للأهالي بالريف، لا وسيلة تأليف بين الأفراد. لذلك كان امتداد السلطة داخل البلاد يقاس بمدى نشاط هذه القبائل[5].

---

[1] صالح العنتري، ذخائر المغرب العربي(مجاعات قسنطينة)، تحقيق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م، ص-ص 29-30.

[2] يوسف بن حيدة، الطرق الصوفية في الجزائر وبلاد المغرب ودورها في نشر الوعي والإخاء والتضامن الاجتماعي، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،إشراف.أ.د. محمد مكحلي، جامعة سيدي بلعباس، 2010م-2011م، ص107.

[3] محمد مكحلي، ثورات رجال الزوايا والطرقية في الجزائر خلال العهد العثماني 1707م-1827م، رسالة دكتوراه تخصص تاريخ حديث ومعاصر،إشراف.أ.د. عبد الحميد حاجيات، جامعة سيدي بلعباس، 2003م-2004م.

[4] جمعي بودالي، المرجع السابق، ص84.

[5] رشيدة شدري معمر، المرجع السابق، ص28.

كما أصبحت لهذه القبائل مكانة عسكرية، وذلك بنقلهم من صفة الجند غير النظاميين إلى الجند النظاميين، بإصدار حسين باشا قانوناً سنة1827م، يجيز فيه تسجيل كل فارس ومحارب في سجلات ودفاتر جند الإنكشاريةووافقه في ذلك الأغواتوالخوجات والشواش بالديوان الخاص، فانخرط بذلك 200فارس[1]. وذلك بسبب تضعضع فرقة الإنكشارية وانهيارها.

المطلب الثالث: دور قبائل المخزن في المجال الاقتصادي:

كانت قبائل المخزن تقوم بدور أساسي في المجال الاقتصادي، وذلك من خلال استغلالها لمعظم الأراضي الخصبة، التابعة للبايلك، فكانت تساهم في تزويد البلاد بقسط وافر من الانتاج الزراعي والحيواني[2]، وبفضل الامتيازات والصلاحيات التي أقرها لها البايلك، وفَّرت مصاريف إضافية ونفقات كبيرة كان يمكن أن تؤثر على خزينة البايلك في حالة الاستغناء عن فرسان المخزن[3].

وكانت هذه القبائل توفر جزءاً كبيراً من الموارد المالية المستخلصة من مختلف أنواع الضرائب، مثل الزكاة والعشور، والحكور، وغيرها، وحسب بعض التقديرات، فإن قبائل المخزن كانت تحتل مساحة قدرها(000 400 3) هكتار من المساحة الإجمالية التابعة للبايلك المقدرة بحوالي(000 825 7) هكتار[4].

كما أن اكتفاء فرسان المخزن بثلث الغنائم التي يحصلون عليها في الحملات التي يشاركون فيها، أغنى الخزينة وأكسبها دخلاً ممتازاً[5].

وما يضاف إلى ذلك فإن توفير قبائل المخزن للفرسان، شجع الأتراك على استخدامهم والتقليل من عدد أفراد الجيش المرتزق، وعدم الإكثار من جلب المجندين من الأناضول لأنه مكلف للخزينة حيث يستوجب دفع أجور ومرتبات كبيرة كانت تؤثر على ميزانية وموارد الدولة[6].

---

[1] حسان كشرود، المرجع السابق، ص64.

[2] أرزقيشويتام، المجتمع الجزائري ...، المرجع السابق، ص171.

[3] فلة القشاعي موساوي، المرجع السابق، ص137.

[4] L.Rinn،Le Royaume d'Alger sous le dernier Dey، présentation de A.Rebahi،Grand Alger livres éd، Alger، 2005، p14.

[5] فلة القشاعي موساوي، المرجع السابق، ص137.

[6] حنيفي هلايلي، بنية الجيش...، المرجع السابق، ص92.

هذا الدور الذي قامت به قبائل المخزن في الجانب الاقتصادي يحمل وجهين أحدهما إيجابي بالنسبة للسلطة، كون هذه القبائل كانت تقوم باستخلاص الضرائب لتغطية النفقات، وبالتالي تأمين دفع أجور الجند الانكشاريين، والحد من خطرهم الذي سرعان ما يظهر في حالة عدم دفع أجورهم وإعلانهم التمرد.

والثاني سلبي بالنسبة لأهالي الريف، الذين كانوا يتحملون أعباءً ثقيلة جراء الضرائب المفروضة عليهم، والحملات الردعية المسلطة على قبائلهم. حيث تسببت السلطة التركية ومعها قبائل المخزن في هجرة العديد من القبائل من أراضيها، وأصبحت تصنف ضمن الرحل بسبب الظروف المفروضة والأسلوب المتعامل به معهم.

خلاصة الفصل الثاني، إن السلطة التركية بالجزائر، استطاعت أن تشكل جيشاً احتياطياً من الأهالي، لأنها منذ البداية عرفت بأن الأمر لن يستقر لها ما لم تكسب الزعماء المحليين إلى صفها. فكان لها ذلك. وبالتالي شكلت النواة الأولى لفرسان المخزن من أبناء القبائل المتحالفة معها. وتطور الوضع لتصل هذه القبائل إلى مناصب إدارية خولت لها القيام بدور الوسيط بين سلطة البايلك وأهالي الريف.

لم تتواجد قبائل المخزن في مكان واحد، بل تواجدت في جهات مختلفة من أراضي البياليك الثلاثة ودار السلطان. حيث تركزت في المناطق الإستراتيجية وحول الطرقات والأبراج والحصون وبالقرب من الأسواق.

شكل تراجع مداخيل الدولة وضعف التجارة الخارجية، انتهاج الدولة سياسة ضريبية، كان المحرك الأساسي لها، قبائل المخزن التي جندت فرسانها من أجل ذلك سواءً بالعمل في المحلات أو الحملات العسكرية الموجهة نحو قبيلة ما. فلعبت بذلك أدواراً مختلفة في عدة مجالات والتي حددت العلاقة بينها وبين السلطة والسكان في الريف.

مع العلم أيضاً أن السلطة التركية في كامل مراحل تواجدها اعتمدت على القبائل الحليفة، وظهر ذلك أكثر في الفترات الأخيرة للحكم التركي بسبب ضعف الجيش الإنكشاري وقلة مداخيل الدولة لمنحهم أجورهم.

لعبت قبائل المخزن دوراً أساسياً في المجال العسكري، حيث شاركت في الحملات العسكرية والمحلات الفصلية المسلطة على أهالي الريف من أجل جباية الضرائب. كذلك شاركت في قمع حركات التمرد التي قامت ضد الحكم التركي.

وقد ساهمت في اقتصاد البلاد بنسبة من المداخيل، حيث عملت في مساحات واسعة من الأراضي الخصبة التي أكسبت الدولة دخلاً إضافياً. وكذا الضرائب التي كانت تشارك في جمعها واكتفائها بثلث الغنائم، أغنى خزينة الدولة.

الفصل الأول :الأوضاع العسكرية في الجزائر مطلع القرن 16 م وأسباب تشكل الفرق الأهلية

المبحث الأول: الأوضاع العسكرية في المغرب الأوسط قبل القرن 16 م.

المبحث الثاني: الأوضاع العسكرية في الجزائر بعد ظهور الأتراك.

المبحث الثالث: أسباب ظهور التنظيمات العسكرية الأهلية في الجزائر إبان العهد العثماني.

الفصل الثاني: تشكيلة قبائل المخزن

المبحث الأول: التعريف بقبائل المخزن.

المبحث الثاني: علاقة قبائل المخزن مع السلطة والمجتمع.

المبحث الثالث: دور قبائل المخزن الإداري والعسكري والاقتصادي.

الفصل الثالث: تنظيم فرقة الزواوة

المبحث الأول: التعريف فرقة الزواوة.

المبحث الثاني: علاقة الزواوة مع السلطة.

المبحث الثالث: دور فرق الزواوة في مختلف المجالات.

عرفت بعض الفرق المخزنية شهرة دون غيرها بسبب كثرة تعدادها وقوة محاربيها ومنها فرقة الزواوة التي أخذت تسميتها من قبائل الزواوة في جرجرة، حيث جند الجنود الأوائل من هذه المنطقة قبل أن تفتح أمام الأهالي من مختلف المناطق. ويعود تاريخ إنشائها إلى عهد حسن باشا بن خير الدين، وذلك بعد تمكنه من إقامة علاقات حسنة مع إمارة كوكو.

لذا نعتبر أن هذه المبادرة من حسن باشا، هي النواة الأولى للتشكيلة العسكرية الأهلية والمسماة بفرق الزواوة. وتطورت بعد ذلك واتسعت صلاحياتها وزاد عددها. لتصبح من بين الفرق الهامة في الأيالة. من خلال دورها في حماية البلاد من الأخطار الداخلية والخارجية. والعلاقات التي كانت تربطها بالسلطة والمجتمع.

إذاً ما أصل الزواوة؟ وما هي القبائل التي تشكلت منها؟ وما المناطق التي انتشرت فيها؟

والدور الذي لعبه أفرادها في الخدمة العسكرية. وكيف كانت علاقتها بالسلطة الحاكمة؟.

المبحث الأول: التعريف بفـرقة الزواوة.

اشتقت تسمية "الزواوة" من كلمة "أقاوا"(ج إقاواون) الدالة على مجموعة القبائل(الأعراش) القاطنة في السفوح الشمالية لجبال جرجرة (آث عيسى، آث صدقه، آث بطون، آث يراثن، آث منقلات، آث يليلتن، آث يتسورغ)[1]. واشتهر سكان هذه المنطقة بممارسة التجارة المتنقلة عبر الوطن، حتى صارت تسمية "أقاوا" تعني التاجر المتنقل في كثير من مناطق الوطن.

وبالنظر إلى حيوية هؤلاء السكان، الذين اشتهروا بجهودهم العلمية خاصة آث منقلات، وبصناعة الأسلحة والحلي والعملة النقدية المزوّرة بآث يني، وبكونهم رواد التجارة، فقد سار ذكرهم وذاع صيتهم في بلاد واسعة، حتى اشتق المؤرخون من هذه التسمية الجغرافية الضيقة، مصطلح

[1] محمد أرزقي فراد، المجتمع الزواوي في ظل العرف والثقافة الإسلامية(1749م- 1949م)، رسالة دكتوراه، تخصص تاريخ الحديث والمعاصر، إشراف د. أرزقيشويتام، جامعة الجزائر، 2010م-2011م، ص 21.

بلاد الزواوة الذي أطلق على إقليم جغرافي أوسع، وحّدته خصائص ثقافية واجتماعية، يعرف ببلاد الزواوة[1].

المطلب الأول: أصل قبائل الزواوة ونسبها.

يذكر صاحب كتاب" مفاخر البربر" أن اسم زواوة هو تصحيف للإسم البربري " قواوة " او "زواو" نسبةً لأحد أبناء يحي بن تمزيت بن ضريس، ويدعى " زواو " ومنه أخذت هذه القبيلة تسميتها وهي من البتر .[2]

بينما اعتبرها البعض الآخر فرعا من قبيلة كتامة أي انها من البرانس، فيما اعتبرها آخرون أنه يجمعها أصل واحد مع قبيلة زواغة البربرية حيث تشترك في أبيها سمكان بن يحي بن ضريس بن رحيك بن ما دغيس الأبتر، وبالتالي فهي فرع من البتر من ضريسة وبطن بن يحي منها بنوع خاص وهو البطن الذي تنتمي إليه فروع زناتة.[3]

وتحدث ابن حزم الأندلسي عن الزواوة لكنه لم يفصل في نسبهم ، فذكر مرة انهم من قبيلة ضريسة البترية ، وجعلهم من قبيلة كتامة (منطقة البابور: سكيكدة ،جيجل، ميلة، سطيف حاليا) مرة اخرى[4].

اما العلامة ابن خلدون فقد رأى ان الصحيح ما ذكره ابن حزم فقال: " ونسَّابة البربر انما يعدونهم من ولد سمكان، والصحيح ماذكره ابن حزم. ويشهد له الموطن ونحلة الشيع مع كتامة لعبد الله. وعدَّ نسَّابة البربر ولهم بطون كثيرة : بنو مَجْسَطَة وبنو مليكش وبنو كوفي ومشدالة وبنو

[1] مؤلف مجهول، مفاخر البربر، تح: محمد بعلي، الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، اسبانيا، 1996م، ص71.

[2] مؤلف مجهول ،المصدر السابق ، ص215.

3 مفتاح خلفات، قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين(6هـ - 9هـ / 12 م - 15 م) دراسة في دورها السياسي والحضاري ، الأمل للطباعة والنشر ، تيزي وزو ، د. ت، ص 52.

1 محمد ارزقي فراد،المرجع السابق، ص20.

زريقف وبنو كوزيتوكرسفينةووزلجة وخوجة وزكلاوة وبنو مرانه، ويقال ان بني مليكش من صنهاجة والله أعلم "[1].

وفسر المؤرخ المغربي عبد الوهاب بن منصور عدم تحديد نسب الزواوة بالدقة، إلى التصحيف أي التحريف الذي وقع عند كتابة الزواوة بكلمة "الزواو" التي جمعت مع كلمة "زواغة" في نسب سمكان بن يحي بن ضريس بن زحيك بن مادغيس الأبتر.[2]

اختلف المؤرخون في تحديد نسب الزواوة فكل واحد ينسبهم إلى قبيلة ما ،إما البرامس أو البتر وقد حددوا ذالك بناءً على مختلف الأدلة التي أطلعوا عليها. ولو أنَّ معظم المؤرخين ذهبوا إلى أن الزواوة هم من قبيلة ضريسة البترية.

المطلب الثاني: أهم فرق الزواوة .

انحصر وجود قبيلة زواوة في العصر الوسيط بين حدود بجاية شرقا ودلس غربا وسفوح جرجرة ومواطن عجيسة جنوبا ، وهي في الواقع ليست قبيلة واحدة، بل مجموعة قبائل

وسميت كذالك لتقابل الأنساب فيها[3] .

وجاء في تاريخ ابن خلدون، أن الزواوة لهم إحدى عشرة بطناً، وستة عشرة قبيلة. وذلك حسب ماأتى به نسَّابة البربر . وبطون زواوة هي : بنو مجسطة وبنو مليكش وبنو كوفي ومشداله وبنو زريقف وبنو كوزيتوكرسفينةووزلجة وخوجة وزكلاوة وبنو مرانه.[4]

[1] عبد الرحمان ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج6، دار الفكر، بيروت،2000م، ص168.
[2] محمد أرزقي فراد، المرجع السابق، ص-ص 20-21.
[3] مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص55.
[4] عبد الرحمان بن خلدون ، المصدر السابق ، ص168.

أما قبائلها فهي تشمل بنو يجر ناحية بجاية، بنو غبرين بجبل أزان بالقرب من لعزازقة حالياً، بنو يراثن، بنو عيسى بنو منقلات، بنو بوشعيب، صدفة، بنو ماني، بنو غردان، قشطولة، بنو يتورغ، بنو بو يوسف[1]، بنو فرلوسن، بني سرا[2].

وقد ذكر مفتاح خلفات أن قبيلة بني جناد، من القبائل الزواوية، والتي أهمل ذكرها ابن خلدون وذلك لعدم ذكره لسكان الذين يقطنون السلاسل الجبلية الممتدة شمال واد سيباو[3]، وورد ذلك عند البكري الذي أشار اليها كطريق للعبور إلى بني جناد وهي مدينة صغيرة على جبل بينها وبين البحر حوالي ميل ومنها إلى مرسى الدجاج[4].

وهناك تقسيم آخر للزواوة، فالدكتور جمال كركار قسم الزواوة إلى مجموعات وهي:

1- جماعة ايراثن وتضم: آيتايراثن، آيت بني زواوة، جزء من عمراوة، أعالي سيباو...

2- جماعة زواوة: آيت واسيف، آيتبوعكاشة، آيتبودرار، آيت عطاف...

3- جماعة الدواخل: ايلين، ايلون أمالو، ايلولنأوسمار، آيتمكليكش.

4- جماعة ابحريين، فليسة: آيت جناد، آيت واقنون، بقية عمراوةالتحاتة[5]

[1] مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص57.

[2] عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ص169.

[3] مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص58.

[4] أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ص65.

[5] جمال كركار، العرف والعمل الجزائري وأثرهما في الفتاوى والأحكام: منطقة الزواوة خلال فترة الاحتلال أنموذجاً، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2013م، ص- ص 23- 24.

المطلب الثالث: المجال الجغرافي لفرق الزواوة.

منطقة الزواوة بلاد شاسعة تقع في الوسط الشمالي الشرقي من الجزائر تمتد من وادي يسر غرباً إلى وادي أغريون وجبال البابور شرقاً، ومن البحر المتوسط شمالاً إلى سلسلة جبال البيبان وهضاب سطيف وسهول مجانة جنوباً، حيث تمتد من الشرق إلى الغرب على مسافة قدرها 450كلم وعمقها من الشمال إلى الجنوب يترواح ما بين 70إلى 100كلم.[1]

أما ابن خلدون فيحدد موقعها ما بين دلس غرباً وبجاية شرقاً "...وموطن زواوة بنواحي بجاية ما بين مواطن كتامة وصنهاجة، أوطنوا منها جبالاً شاهقة متوعرة تتعذر منها الأبصار، ويضل في خمرها السالك مثل: بني غبرين بجبل زيزي، وفيه شعراء(كذا) من شجر الزان يشهد بها لهذا العهد ومثل بني فراسن وبني يراثن، وجبلهم ما بين بجاية وتدلس وهو أعصم معاقلهم وأمنع حصونهم، فلهم به الاعتزاز على الدول والخيار عليها في إعطاء المغرم، مع أن كلهم لهذا العهد قد امتنع لساهمه واعتز على السلطان في أبناء طاعته وقانون مزاجه."[2]

أما أبو يعلى الزواوي فقد حدد موقعهم بأماكن تمركزهم "الزواوة قبائل كثيرة مشهورة ومواطنهم ومساكنهم بشمال افريقية يجعلهم البحر الأبيض المتوسط الممتد من خليج مدينة الجزائر إلى بجاية احدى عواصمهم وإلى جيجل نصف دائرة فهؤلاء هم المعروفون والمشهورون بالزواوة ....."."[3]

بينما ذكر الرحالة الإسباني دييغو دي هايدوأن تسمية الزواوة ( ) تشمل سكان إمارتي بني عباس (الزواوة الشرقية) وإمارة كوكو (الزواوة الغربية).

[1] كيسة بولجنت، العادات والتقاليد في بلاد الزواوة بين القرنين 17م- 19م، رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف.أ. مختار حساني، جامعة الجزائر 2، 2009م- 2010م، ص14.

[2] عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ص 169.

[3] أبو يعلى الزاوي، المصدر السابق، ص169.

وعليه يمكن تحديد الموقع الجغرافي لقبائل زواوة ما بين واد يسر غربا، وجبال البيبان (جعافرة) وحدود جبال البابور حيث موطن آث يعلى ، آث وارثيلان شرقا ، والبحر شمالاً ، والبويرة جنوبا ، ويغطي هذا الموقع في التقسيم الإداري الحالي مجمل ولايتي بجاية وتيزي وزو والجزء الشرقي لولاية بومرداس والأجزاء الشمالية لولايتي البويرة وبرج بوعريريج وسطيف .[1]

[1] محمد أرزقي فراد، المرجع السابق، ص20.

المبحث الثاني : علاقة الزواوة مع السلطة.

خضعت فرق الزواوة لنفس ترتيبات الإنكشارية من حيث التنظيم وكان يرئسها آغا خاص بها وهو القائد الأعلى عليها كما كانت هذه الفرقة تزود القوات المسلحة لمدينة الجزائر في بعض الأحيان بثلث قواتها وأحياناً أكثر وكان يعتمد عليهم في تحصيل الضرائب داخل البلاد[1]

ضمت هذه الفرقة ،أفراد من قبائل إمارة كوكو وبني عباس ، حيث أُنشأت لاستمالة القبائل بصفة عامة والمقرانيين بصفة خاصة، ما دفع سلطة البايلك إلى منح هذه الفرق امتيازات كتلك التي كانتللإنكشارية .[2]

مع مرور الوقت تواجد الزواوة في مختلف البايليكات، مثلاً بايليك التيطري الذي اشتهر فيه زواوة قبائل معقيف وأولاد سيدي عمر من أولاد علان [3]. وحتى خارجها إذ يقول ابن أبي الضياف أن الحاكم العثماني ادخل الى تونس حوالي 800من قوات زواوة[4]، وقد استمر تواجدها بتونس وقد قدر عددها بالجزائر بين 10و20 الفزواوي ، وحتى الاحتلال الفرنسي استفاد بدوره من خدماتها العسكرية ،وعُرفت في العهد الفرنسي باسم: " les zouaves " الزواف.

ارتبطت العلاقة بين الزواوة والأتراك، منذ دخول هؤلاء إلى الجزائر لأن المبادرة الاولى جاءت من احمد بن القاضي الزواوي ، امير إمارة كوكو بجبال جرجرة، حيث استنجد بالأخوين عروج وخير الدين ، إثر الإحتلال الإسباني لمدينة بجاية سنة 1510، وعجز اهلها عن طردهم ، هذا وقت اشار ابن عسكر إلى دور هذا الأمير إي ابن القاضي في دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر بقوله

---

1 شارل اندريه جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية (تونس،الجزائر ، المغرب الأقصى)من الفتح الاسلامي الى سنة 1830م، تع محمد مزالي والبشير بن سلامة،الدار التونسية للنشر، ش.و.ن.ت،الجزائر، تونس، 1798، ج2، ص18

2 نبيل بومولة، المرجع السابق، ص 103

3 صالح عباد، المرجع السابق، ص319.

4أحمد بن ابي الضياف، اتحاف اهل الزمان بأخبار تونس وعهد الأمان، تح لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، 1999م، ص177

[1] :"ولم يزل رحمه الله مثابراً على سيرته النبوية إلى ان كان من امره مع خير الدّين التركماني مماهو مشهور، وهو كان السبب دخول التركمان لمدينة الجزائر واستيلائهم عليها وعلى المغرب الأوسط إلى الآن، لحسن ظنه بهم ومحبته للجهاد في سبيل الله تعالى ، وبعد ذالك تنكروا له شأن رياسة المتغلبين" .

كانت إمارة كوكو وإمارة بني عباس من أقوى الإمارات في تلك الفترة لذالك سعى بعض الحكام العثمانيين إلى كسب ود الزواوة عن طريق المصاهرة، وفي هذا السياق تزوج حسن بن خير الدين إحدى بنات آل قاضي سنة 1561، كما تزوج أيضا الرايس علي بتشين بإحدى أميرات الزواوة في النصف الأول من القرن السابع عشر، أما في القرن الثامن عشر، فقد تزوج محمد الذبّاح[2]، بإمرأة تنتمي إلى عائلة بوختوش، سليلة آل القاضي.

وقد استفاد الطرفان من هذه المصاهرات، فحصل أهل الزواوة على امتيازات عديدة كحرية التنقل، والإقامة، وحمل السلاح أحياناً بمدينة الجزائر، والتنازل لهم عن نصيب من الزكاة والعشور المدفوعة من طرف القبائل المحلية، وتقديم الدعم المالي للزوايا ومقامات المرابطين، وبناء بعض المساجد.[3] ومن ذلك بناء قبة سيدي علي أوموسى بمعاثقة من طرف الباي محمد الذباح، وشيد الآغا يحي مصطفى مساجد الجمعة نصهاريج بعرش آث فراوسن، واث يفريث ناث أومالك بعرش

[1] ابن عسكر، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تح محمد حجي،ط3، منشورات التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، 2003،ص114.

[2] الباي محمد الذباح، هو من مواليد البليدة لكنه ترعرع بمنطقة الزواوة فدرس بزاوية آث عمر بقرية عدني . وعين على رأس قيادة سيباو ، ثم رقّي إلى منصب باي التيطري خلال فترة (1745-1754)، وحاول بحكممعرفته للمنطقة كسب ثقة سكانها بزواجه بإحدى بنات عائلة بوختوش، وتميزت فترة حكمه بالصرامة في التسيير، حتى لقب بال"ذباح " لتشدده في معاملة خصومه . للمزيد اكثر ينظر:

J.n.ROBIN;OP;CIT.P-P364-373

[3] محمد أرزقي فراد، المرجع السابق، ص43.

آث يجر، وثاوريرث ميمون بآث يني. كما تم بناء قبة الشيخ امحمد بن عبد الرحمان بوقبرين ومسجد بحي الحامة بمدينة الجزائر. إكراماً لذكره، ومن باب التقرب من أهله في آث اسماعيل بجرجرة ايضاً[1]. كل ذلك مقابل حصول الأتراك على حق المرور عبر بلادهم نحو بايلك الشرق[2]. والتنقل بآمان في بلاد الزواوة(من مدينة الجزائر إلى بجاية عبر مضيق أكفادو)، وهذا بفضل حماية مرابطي آث زلال وآث يجر.

كما شملت العلاقة القائمة بين السلطة التركية بالجزائر والزواوة بتقديم هذه الأخيرة، الخدمات العسكرية للحكام مقابل أجور محددة، فقد كان يتلقى الزواوي نصف(2/1) راتب الإنكشاري. حيث أن الانكشاري يأخذ 02 زياني في حين يأخذ الزواوي 01 زياني. وكانت هذه الفرق تستدعى أيضاً لإخماد الثورات المحلية، أو للمشاركة في صد هجوم خارجي على الجزائر.[3]

ومن ذلك التحالف العسكري بين الزواوة والحكومة العثمانية ما بين 948-963هـ/ 1541- 1555م. كذلك مساهمتهم في الحملة العسكرية التي جهزها صالح رايس قصد تحرير بجاية من الإسبان، فشارك سكان المنطقةبإعداد جيش بري إلى جانب الحملة البحرية العثمانية في حصار الحامية الإسبانية التي كان يقودها (دونلويس بيريتاDon luis de peretta). وكان من نتائج ذلك توطيد العلاقة بين الطرفين.[4]

اتسمت العلاقات بين الطرفين بنوع من التوتر ايضاً، حيث كانت هناك فترات عديدة شهدت نزاعاً وصراعاً، بدءاً من عهد خير الدين، وماحدث له مع ابن القاضي، حيث تبادل الطرفان

---

[1] ROBIN، OP. CIT، P57.

[2] محمد سي يوسف، المرأة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد 25/ أوت 2002، منشورات التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان ص78.

[3] جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة...، المرجع السابق، ص249.

[4] زيدين قاسيمي، قيادة سيباو(تاريخ منطقة القبائل في العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي)، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، أوت 2009م، ص- ص69- 70.

الحملات العسكرية. وقد تمكن ابن القاضي حاكم إمارة كوكو من طرد خير الدين من مدينة الجزائر سنة 926هـ/ 1520م، وتسلم مقاليد حكمها مدة تجاوزت الست سنين.

وفي المقابلكانت هناك حملات عثمانية على المنطقة نذكر منها تلك التي قام بها حسن قورصو عام 949هـ/1542م، حيث جهز ثلاثة آلاف جندي، وألفي فارس، وألفي متطوع مدعمين بإثنا عشر مدفعاً.واتجه صوب المنطقة لتأديب سلطان إمارة كوكو حسين بن القاضي، وكان نتيجة ذلك أن طلب هذا الأخير من حسن آغا الصفح والعفو مقابل دفع أموال ورهائن كضمان على ولائه لحكم العثمانيين الأتراك.[1]

لقد عرفت العلاقات توتراً حاداً في عهد الداي محمد بن حسن بسبب رفض المنطقة دفع ما كان يتوجب عليها من ضرائب، حيث قام سكان المنطقة بالثورة على الأتراك، وهاجمو برج امنايان، قبل أن يكتسحوا سهل متيجة وكادوا يدخلون مدينة الجزائر.[2]

فكانت الميزة البارزة في العلاقات بين بلاد الزواوة والأتراك العثمانيين تتأرجح بين السلم والحرب. ما جعل الأتراك يدركون أن اقتحام جبال الزواوة بالقوة ليس في صالحهم. لذا اتبعوا سياسة اللين واتخذوا إجراءات أمنية للحد من خطر سكان الزواوة. وذلك ببناء أبراج عسكرية عديدة أهمها برج سيباو، الذي يعتبر تاريخ تأسيسهسنة 1720، بداية النفوذ الفعلي للاتراك بالمنطقة ، وذالك على يد علي خوجة بعد ان نجح في أنهاء حكم اسرة بوختوش ، كما اسس قبائل المخزن في عمراوة (حوض سيباو) لدعم نفوذ الأتراك العثمانيين في البلاد[3].

[1] زيدين قاسيمي، المرجع السابق، ص- ص66- 67.

[2] De Grammont، Histoire d'Alger sous la domination turqe 1515- 1830، Ed leroux، paris، 1887، p 229.

[3] محمد ارزقي فراد، المرجع السابق، ص 39.

إلى جانب هذا البرج شيد الأتراك، برج منايل، برج تيزي وزو، برج بوغنين برج حمزة بالبويرة،برجبوعريريج فضلاً عن مركزي دلس وبجاية وكانت تقيم فيها فرق عسكرية تركية قليلة العدد. والجدول التالي يوضح ذلك[1]:

جدول يبين الحاميات التركية بأبراج منطقة الزواوة سنة 1829م:

البرج	عدد الفرسان
برج سيباو	60 فارسا(مكاحلياً)
برج تيزي وزو	30 فارسا
برج بوغني	62 فارسا
برج حمزة (البويرة)	62 فارساً
بجاية	44 فارسا

خضعت لقيادة برج سيباو عدة قبائل وهي : بني خلفون، فليسةأومليل، بني ثور ، مدينة دلس،آث واقنون، فليسة البحرية، آث جناد، آث غيري، قبائل سيباو الأعلى ، ووادي الحمام، آث عيسى آثدوالة، آثزمنزر، آثبطرون، آث خليفة، وقسم من معاشقة ، وكان القائد يتمتع بصلاحيات مطلقة تخول له إعدام خصومه بقطع رؤوسهم . أما سكان الجبال –كآثيراثن مثلاً– فقد كانوا أحرار، خارج نفوذ الأتراك[2]،لكن كان عليهم دفع ضريبة 600 ريال ورفع علم خاص ، لحصولهم على رخصة التنقل إلى الجزائر، وقسنطينة وغيرها من مدن الشرق أو لتقاضي التجارة (بيعالتين والزيتون، وشراء الحبوب والأنعام. وكانوا يدفعون أيضا ضريبة من أجل السماح بزراعة واستغلال الأراضي الواقعة في حوض واد سيباو[3] .

[1] Robin، op،cit، p51.

[2]Ventur De paradis، Alger au XVIII siècle، 1739-1799، Alger،1898،p33.

[3] Robin، op،cit، p54.

أما برج بوغني فكانت قيادته تابعة لقيادة سيباو، وقدرت أراضيها الزراعية بحوالي (3000) هكتار ، تستغلها زمالة بوغني، وزمالة عين الزاوية المشكّلة من العبيد ويرابط في هذا البرج حوالي(100) فارس تركي، كما لقيادته القبائل والاعراش التالية :قشلوطة، وآث صدقة، وآث عبد المؤمن، وجزء من معاشقة[1].

مكنت هذه الأبراج الأتراك من إخضاع المنطقة لسلطتهم وحددت العلاقة بينهم ، حيث أصبح سكان الزواوةأكثر خضوع من ذي قبل كما ساهم تطور هذه العلاقة بين الأتراك و الزواوة ، في قيام هذه الأخيرة بتشكيل قوات عسكرية مجندة للحرب وجاهزة متى طلب منها ذلك.

شكل الفرسان الذين ساعدوا حسن باشا بن خير الدين النواة الأولى لفرق الزواوة . فكانت هذه المبادرة كتشجيع للأتراك لدخول المنطقة وتطويعها في شؤون البلاد. غير أن هذا المجهود لم يأتي بنتيجة يرضاها العثمانيون، لان العلاقة بين المنطقة والأتراك كانت تتأرجح حسب الظروف ومصلحة الطرفين. وساهم في ذالك وجود قوتين متعارضتين – إمارة كوكو و إمارة بني عباس– حيث سعت كل منهما للقضاء على الأخربوذالك بالاستعانة بالقوة التركية ، رغم معارضتهما لهذه الأخيرة .

أدى هذا التنافس بين القوى الثلاث إلىتأخر نفوذالأتراك بالمنطقة، وبالتالي كان لهذا تأثير واضح على العلاقة بينهما باعتبار أنالأتراك كانوا يقفون إلى جانب إمارة ضد الأخرى. فكلما حسنوا علاقتهم معطرف ساءت مع الطرف الآخر، واستمروا على هذه الحال إلىأن تمكنوا من تثبيت حكمهم في المنطقة سنة 1720 م وعلى ذلك الأساس خضعت لهم العديد من القبائل والتي شكلت منها قبائل المخزن وفرق الزواوة التي عملت بشكل مؤقت في جهات مختلفة من البلاد وجندت في مختلف الحروب .

[1] محمد ارزقي فراد، المرجع السابق، ص 42.

المبحث الثالث: دور فرق الزواوة في مختلف المجالات .

اشتهر الزواوة عبر تاريخهم بالفروسية والانتماء للجندية، فقد كانت حرفة هامة بالنسبة لهم، تستوعب أعداداً كبيرة من الشباب القبائلي، لذلك كانوا يشكلون وزناً لا يستهان به في الجيوش التركية العثمانية بقسميها البرية والبحرية. إذ ساهموا بفعالية في الجهاد البحري ضمن أسطول إيالة الجزائر. ومما يؤكد ذلك، إشارة المصادر التاريخية إلى وقوع العديد منهم أسرى بين أيدي الإسبان، حيث مكثوا في السجن مدة طويلة، إلى أن تم إطلاق سراحهم بموجب اتفاق بين الحكومتين الجزائرية والاسبانية سنة 1767م[1].

وارتقى بعض البحارة من قبائل زواوةفي مناصب القيادة العليا في الأسطول الجزائري، أشهرهم الرايس حميدو، قائد الأسطول الجزائري، الذي استشهد في معركة بحرية جرت بين الأسطولين الجزائري والأمريكي بالقرب من الحدود الإسبانية في 17 جوان سنة 1815م.[2]

المطلب الأول:دور فرق الزواوة عسكرياً:

تشكلت فرق الزواوة من المشاة الذين يقومون بالحراسة في مدينة الجزائر، خاصة في الأبراج المجاورة لها ،ولا يتقاضون راتباً إلا أثناء الخدمة ولهذا شاع المثل القائل :"الزواوة مقدمين في البلاد و موخرين في الرتب ". ويذكر هايدو أن الأتراك كانوا يستعملون هؤلاء الزواوة في الحرب عادة ، كما يستعملونهم في الحاميات، كما هو الحال في تلمسان، مستغانم، بسكرة، قسنطينة، عنابة وغيرها.أما في مدينة الجزائر، فإن ما يقرب ثلث جنود الحاميات كانوا من الزواوة .[3]

[1] محمد أرزقي فراد، المرجع السابق، ص48.
[2] محمد أرزقي فراد، المرجع السابق، ص48.
[3] صالح عباد ، المرجع السابق ، ص 319.

كانت الحامية العسكرية التركية مدَّعمة بقبائل الزواوة المحليةالتي تشكل القوة الضاربة لحكم البايلك بالمنطقة، وأهمها آث قاسي في عمراوة الفواقة، و أولاد محي الدين في عمراوة التحاتة، هذا وقدر عدد التجمعات السكانية لقبائل الزواوة بعمراوة ب(16) زمالة مشكلة من عناصر سكانية محلية ووافدة تستغل حوالي (20) الف هكتار من الأراضي الخصبة وهي مقسمة إلى:[1]

1- عمراوة التحاتة (الأدنى) مشكلة من: كاف العقاب ، برج سيباو، ثاورقة ، ذراع بن خدة، سيدي نعمان، كيتامة.

2- عمراوة الفواقة (الأعلى) مشكلة من: أولاد بوخالفة ، تيزي وزو، عبيد شملال (استقر فيها العبيد)، ثيميزار لغبار، سيخ اومدور، إغيلا وراجه ، ثلا عثمان، تيقوبعين، ثامذة، مقلع .

وكانت هذه الزمول تجند عند الحاجة حوالي (500) فارس علما ان هنالك قرى أُخرى في عرش عمراوة لم تدرج ضمن هذه القبائل، وهي : طقوس ، اث وارث، ثلا موقر، زيمولة، بورديم، ارجونة.

كانت قبائل الزواوة التي تدعم سلطة الأتراك تستفيد من عدة امتيازات كالحصول على قطعة أرض زراعية، والإعفاء من بعض الضرائب، والحصول على قدر معلوم من الغنائم أثناء القيام بالغزوات، فضلا عن البندقية والحصان لكل فارس على أن يُخصم ثمنها عند جمع المحصول الزراعي.[2]

شارك الزواوة في العديد من الحملات التركية المسيرة نحو المناطق الخارجة عن سيطرة الأتراك ، ويبرز ذالك أثناء حكم صالح رايس، فعندما تقلد الحكم وصلته أنباء عن خروج ورقلة وتقرتعن

[1] Robin، op، cit، p50.

[2] Robin، op،cit، p50.

الطاعة ، ورفضهم دفع الضريبة[1] السنوية التي كانوا قد تعهدوا بدفعها لخير الدين ، وذلك يعني رفضهم الإعتراف بالسلطة المركزية، معتقدين ان بعد المسافة سيمنع الأتراك من الخروج لإخضاعهم كما يذكر هايدو[2]، ونظرا لصعوبة الحملة وخطورتها في نفس الوقت بسبب قسوة الطبيعة من جهة وبعد المسافة [3]من جهة أخرى، والتي قدرها هايدو آنذاك بمسيرة اثنان وعشرون يوماً، رأى صالح رايس أنه لا مناص من طلب مساعدة عبد العزيز شيخ قبائل بني عباس، الذي لم يبخل عليه ولبى النداء، وخرج بنفسه على رأس جيش يتألف من الف وستمائة وثمانين (1680) حامل بندقية من المشاة حسب مارمول[4]، في حين يذكر بربروجي Berbrugger)(ان عدد المشاة لم يكن يتعدى مائة وعشرون (120) مقاتلا خصصهم

السلطان عبد العزيز لجر المدافع التي حملها صالح رايس معه [5]، أما المؤرخون المعاصرون فقد ذكروا أن عدد جنود عبد العزيز كان الفي فارس (2000) وستة الاف (6000) من المشاة.[6]

بعد الإستعداد للحملة ، خرج صالح رايس على رأس الجيش بنفسه لإثارة الرعب في نفوس شيوخ تقرت وواد سوف والأغوط.[7] ويذكر هايدو ان عدد هذا الجيش بلغ ثلاثة ألاف (3000)

---

[1] صالح عباد، المرجع السابق، ص 74.

[2](FD)Haedo، Histoire des Rois d'Alger، tr de H.D. de G rammont،IN،RA، n25 ، 1881،OP.U،Alger،p27.

[3]Rozette et Carette، Algérie Etat Tripolitaine، 2eme edition، Edition bouslama، Tuinis ،s.d،p60.

[4]مارمول كاربخال، أفريقيا ج2، تر : محمد حجي وآخرون، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1989م ،ص 386.

[5]Berbrugger، Les époques militaires de la grande kabylie، bastide librairie Editeur، paris، 1857،p83.

[6] ينظر:- صالح عباد ، المرجع السابق، ص74.

- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا (1492-1792م)، م.و.ك، الجزائر، 1984م،ص- ص 339-338

[7] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ...، المرجع السابق ، ص104 .

مقاتل من المشاة (أتراك وأعلاج) وألف (1000) فارس إنكشاري مع مدفعين ثقيلين.[1] ونفس العدد أورده مارمول الذي يضيف إلى هذا العدد ثمانية الآف (8000) مقاتل من رجال المخزن . وأشار هذا الأخير إلى ان الفضل في إخضاع المنطقة يعود إلى كفاءة وشجاعة قبائل الزواوة وعبد العزيز الذي لولا مساعدته للحقت بالأتراك هزيمة حقيقية.[2]

وبعد تمكنه من إخضاع المنطقة، يذكر هايدو أن صالح رايس عاد إلى الجزائر بعد أن ترك بالمنطقة حاميات عسكرية، محملاً بالكثير من الغنائم منها العبيد.

ومهما يكن من أمر، فيبدو أن هذه الحملة مكنت صالح رايس من التعرف على الإمكانيات الحربية التي يملكها السلطان عبد العزيز أمير بني عباس.

كما شاركت الزواوة في الحصار الذي ضربه حسن باشا على وهران والمرسى الكبير سنة 1563م. حيث أمدهم سلطان إمارة كوكو بألف فارس.[3]

لقد كانت الإمدادات والمشاركات العسكرية للزواوة منذ دخول الأتراك للجزائر بداية من جيجل في عهد عروج وخير الدين، إلى عهد حسن باشا وحسن آغا وصالح رايس. ولو أن هذه المشاركة توقفت على طبيعة العلاقة بين الحكام الأتراك و الزواوة وظروف كل مرحلة.[4]

فقد استجاب الزواوة لنداء الداي حسين سنة 1830م، رغم طابع التوتر الذي كان يميز العلاقات بين الطرفين، وذلك بعدما قرر الدفاع عن مدينة الجزائر ودعم قواته الدفاعية، بالاستنجاد بهم، لأنه مشهود لهم بالشجاعة والتفاني في رفع راية الجهاد من أجل الدفاع عن الوطن، خاصة في

[1] Haedo، op.cit،p271.

[2] مارمول، المصدر السابق، ج2، ص386.

[3] صالح عباد، المرجع السابق، ص88.

[4] بومولة نبيل، المرجع السابق، ص- ص132- 133.

الجهاد ضمن البحرية الجزائرية، وأكثر من ذلك فقد أنجبت بلاد الزواوة قادة كبار كالرايس حميدو المشار إليه سابقاً.

عندما أدرك الداي حسين أن العدوان الفرنسي على وشك الوقوع، وأن الهجوم على مدينة الجزائر قاب قوسين أوأدنى، أرسل إلى عرش آث يراثن المشهود لأهله بالبطولات والأمجاد، والمآثر العلمية، يستحثهم على استنهاض الهمم في بلاد الزواوة لمقاومة العدوان الفرنسي، وللدفاع عن أرض الإسلام، لربح سعادة الدارين(الدنيا والآخرة).[1]

وعلى إثر ذلكدعا المرابطون الأشراف وأعيان القرى ، الأهالي إلى نبذ خلافاتهم، وإلى ايقاف الحروب القبلية وعمليات الإنتقام والثأر، وإلى تجميد دفع الديون ، وهذا من أجل التفرغ للحرب القادمة ضد الفرنسيين الكفار، لذالك أعلن في الأسواق الأسبوعية عن اتخاذ إجراءات ردعية قاسية ضد كل من يخالف هذه القرارات، وضد كل من يستغل رحيل المجاهدين إلى جبهات القتال لتعاطي السرقة، وعقب ذالك شرع المتطوعون للجهاد في إعداد السلاح والذخيرة والمؤن ، أما من عجز عن ذالك فقد تكفلت مجالس القرى (ثاجماعث) بتسليحهم، وشارك ايضا بعض الأفراد العجزة في تمويل هذه الحملة بمالهم الخص طلبا للثواب ، وشرع البعض في ترتيب شؤونهم استعداداً لنيل الشهادة، كما عينت فرق للإشراف على القوافل المخصصة لنقل المؤن، وإرجاع الجرحى وجثامين الشهداء.[2]وحددت للمجاهدين نقاط للإلتقاء أهمها:

1- سيخ اومدور: لأهل أعلي سيباووعمراوة الاعلى

2- لعزيب نزعموم: لأهل عمراوةالتحاتة ، وسيباو الأدنى، وفليسةاوملیل.

[1] Robin، note Historique sur la grande Kabylie، De 1830 a 1838، Editions bouchene، 1999،p27.

[2] محمد أرزقي فراد، المرجع السابق، ص49.

3-بوغني: لقبائل جرجرة ، ويسّر.

وكانت قوافل المتطوعين تودع من طرف الشيوخ والنساء والأطفال بالأدعية، ليرزقهم الله بالنصر والتمكين والعودة السليمة.[1]

لعبت الزوايا أيضا دورا سياسيا ورئيسيا في تجنيد المتطوعين الذين قدر عددهم بحوالي خمسا وعشرين ألف (25000) رجل ، أي ما يعادل (50%) من قوات الداي التي شاركت في معركة سطاولي ، وساروا إلى جبهة القتال بنظام محكم تحت قيادات الأعيان وأشراف المرابطين الرافعين لرايات الزوايا على النحو التالي:

1- عرش آث يراثن تحت قيادة سي محند الحنشي ناث واعمر (قرية ثامازيرت) وإشراف المرابط الشريف الشيخ أحمد السعدي رافعاً أعلام زاوية الشيخ بن أعراب.

2- أعراش آث فراوسن وآث خليل، وآث بوشعيب : تحت قيادة سيا وسحنون وإشراف المرابط الشريف سي الحاج صالح ناث داوود(من صوامع)

3- عرش آث جناد: تحت قيادة امحند اولعربي ناف بابا ، وإشراف المرابط العربي أوشريف (من قرية تازروت) حاملا لراية زاوية سيدي منصور.

4- عرش افليسن لبحار : تحت قيادة الشيخ اعراب اقروجن، وإشراف المرابط الشيخ اعمر امسون.

5- عرش آث غبري : تحت قيادة الشيخ بوحميل ، وإشراف الشيخ احمد أومالك.

6- أعراش آث يجر، وآسيف الحمام، وثيقرين: تحت قيادة امحند ناث علي، وإشراف المرابط الشيخ الموهوب (من قرية ثيفريت ناث اومالك).

[1]Robin ، op، cit، p29.

7- عرشا إزرخفاون، وآث أفليق: تحت قيادة سعيد واعمر، وإشراف المرابط الشيخ امحمد اوثفزون.[1]

8- عرشا إيلولن، وآث زيكي: تحت قيادة علي أوقزوز، وإشراف مرابط زاوية سيدي وذريس (أحمد إدريس).

9- عرشا آث يتسوراغ، ويليلتن: تحت إشراف الشيخ السعيد ناث حملوث، وإشراف المرابط الشيخ سي سرير ولد سيدي يحي واعمر.

10- عرش آث واقنون: تحت قيادة أحمد ناث يحي، وإشراف المرابط الشيخ سي سعذي(من قرية الشرفة).

11- أعراش آث يحي ، وآث بويوسف ، وآث منقلات: تحت قيادة يحي ناث أوعزوز، وإشراف المرابط سي الحاج ناث منقلات، وسي محمد أوشريف (من آث بويوسف).

12- أعراش أقبيل، وآث عطاف، وآث بوذرار، وآث واسيف، وآث بوعكاش: تحت قيادة الحسين أوزنوش، والحاج أعمر ناث قاسي، والحاج مختار ناث أسعيذ، وإشراف المرابط الشيخ سي الجودي(إبوذرار).[2]

13- عرش آث يني: تحت قيادة إبراهيم وأحمذ، وإشراف المرابط الحاج لمين.

14- عرش آث صدقه: تحت قيادة سي أحمد أوعياد(إيواضين)، وإشراف المرابط سي المحفوظ (آث شبله).

[1] محمد ارزقي فراد، المرجع السابق، ص50.

[2] Robin، op، cit، p31.

15- عرش آث محمود: تحت قيادة الحسين ناث أمبارك، وإشراف المرابط سي نور الدين ناث زيان.

16- عرشا آث عيسي، ومعاثقة: تحت قيادة سي الحاج الطاهر، وإشراف مقدم زاوية سيدي علي أوموسى.

17- عرش قشطولة: تحت قيادة الحسين واعلي، وإشراف مقدم زاوية سيدي عبد الرحمان بوقبرين.

18- آث عمراوة: تحت قيادة أعمر وَسْعِيذ ناث قاسي، والسيد عمر بم محي الدين، وإشراف المرابط الشيخ مُحند أمزيان ناث بوخالفة.

19- عرش إفليسن أومليل: تحت قيادة الحاج محمد بن زعموم، والحاج محمد أوشكال، وإشراف المرابط سيدي إسماعيل.[1]

كان للزواوة دوراً عسكرياً منذ دخول الأتراك للجزائر، فقد ساندوهم ووفروا لهم القوة اللازمة من الفرسان والجنود. وشاركوا في معظم الحروب التي شنها الأتراك على المناطق بهدف القضاء على نفوذ الإسبان المتواجد فيها. كما أنهم شاركوا في الحصار المضروب على وهران وتلمسان والمرسى الكبير. والحرب مع المغرب وتونس. إضافة إلى محاربتهم للقبائل المعادية للسلطة والموالية للإسبان والمتعاونة معهم.

شاب العلاقة بين الزواوة والأتراك نوعاً من التوتر أحياناً، إلاّ أنه عندما تتعلق المسألة بحماية الوطن، تنبذ الخلافات وتتلاشى الأحقاد. ومثال ذلك ما حصل أثناء الإحتلال الفرنسي للجزائر، فقد وجه لهم الداي حسين نداءً للحرب. واستجابوا له ولبوا النداء متناسين الأحقاد، لأن شرف الوطن فوق كل اعتبار. فهذه الذهنية كانت تغلب على سكان المنطقة ومعظم القبائل.

[1] Robin، op، cit،p31.

المطلب الثاني: دورها في المجال الاقتصادي .

تميزت أراضي الزواوة بطابعها الجبلي ذو الأراضي الفقيرة، التي لا تساعد على ممارسة زراعة الحبوب، ولكن رغم ذلك تحدى السكان هذه الصعوبات وتفانوا في خدمة الأرض وتسميدها بالزبل من أجل تخصيبها. لكن النشاط الفلاحي للزواوة تركز بالأساس حول مجال غرس الأشجار المثمرة المناسبة لأراضيهم الجبلية الفقيرة فتحولت عبر السنين إلى بساتين غنية بالزيتون والتين والكروم والخروب، وصارت تنتج الزيت، والتين بكميات كبيرة تفيض عن حاجات أهلها، مكنتهم من ممارسة تجارة المقايضة للحصول على أنواع الحبوب المختلفة مع جيرانهم.

وقد وصف الرحالة الألماني هاينريش فون مالتسان، الذي زار الجزائر في القرن 19م، بعض هذه البساتين بقوله[1]: "... وكانت المناظر الطبيعية جميلة فيما بين تدلس وقرية الزفون التي تقع في الشرق منها على بعد حوالي 35 كلم. فقد كانت التلال المنحدرة عن سلسلة الجبال الشامخة والممتدة نحو البحر عبارة عن حقول بديعة، تحتوي على أشجار الزيتون والخروب والتين والرمان وغيرها". أمّا القنصل الأمريكي بالجزائر(1816- 1824م) وليام شالر، فقد أشار في مذكراته إلى تموين الزواوة لمدينة الجزائر بزيت الزيتون، حين قال[2]:"... والفضل يرجع إلى عملهم في كل مايستهلكه البلد من زيت الزيتون". بينما أعطانا الأستاذ توفيق المدني،صورة وشهادة حية عن الزواوة ومدى تعلقهم بالأرض حين قال[3]:" والبربري متعلق ببلاده وأرضه يتعشقها ويتوله فيها، ولا يستطيع عليها صبراً ولا عنها ارتحالاً. يخدم تلك الأرض الصعبة الجبلية بانقطاع وجهد قلما استطاع إليه غيره سبيلاً ".

[1] هاينريش فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غربي غفريقيا، تر: أبو العيد دودو، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1979م، ص102.

[2] وليام شالر، المصدر السابق، ص115.

[3] أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1931م، ص104.

اشتهر أهل الزواوة أيضاً بتربية الماعز والأبقار التي تناسبها الطبيعة الجبلية الوعرة ، ولهم فيها مآرب مختلفة، كالإستفادة من لحومها حليبها وجلودها في حياتهم اليومية ، ويسخرون الثيران للأعمال الزراعية المتنوعة، ومن عادات الزواوة ان الدار التي ولد فيها العجل، لايُخرج أهلها نارهم غلى الخارج مدة سبعة أيام، أما إذا وضعت المعزة حملها في الحقل فيتكفل به الراعيي، وجرت العادة ان يخاطبه في أُذنه قائلا" احذر جيداً وتذكر جيداً أن الرعي هو صديقك، وان الذئب هو عدوك"[1].

كما امتهن الزواوة تربية النحل ، بينما تربية الدواجن فكانت من اختصاص النساء، واستعملوا الحمير والدواب لمهام النقل والتنقل، وقد كانت الأراضي السهلية الخصبة التي يملكها السكان قليلة، ينحصر وجودها في أحواض وادي الصومام ببجاية ، وسهول ذراع الميزان، وأحواض أودية : بوغني وبوقدورة، ويسر، وسيباو بالقبائل الكبرى، وسهول برج حمزة بالبويرة، لكنهذه السهول الخصبة خضعت لسيطرة الأتراك بشكل كبير [2].

أما النشاط الصناعي فقد احتل مكانة مر موقة في المجتمع الزواوي، وحقق السكان اكتفائاً ذاتيا في الكثير من المواد المصنعة التي كانوا في حاجة اليها في مجالات الحياة الإقتصادية والإجتماعية والتجارية والحياة اليومية والأكثر من ذالك كانت منتجاتهم ذات جودة عالية، وتفيض أحياناً عن حاجتهم، فصارت مطلوبة في غير أسواقهم، وهذا بفضل توفر المعادن التي كان يستخرج بعضها محلياً، ويستورد بعضها الآخر ، كالحديد والنحاس والرصاص والقصدير.[3]

[1] Jules liorel ،kabylie du Jurjera، Ernest leroux، Edition،paris،1892،p513

[2] Joseph Nil Robin ، la grande kabylie sous le Régine Turc، Editions Bouchene،1999،p45.

[3] Jean Marigot ، L'AlgerieKbylisee، Editions aljahidhiya ، alger، 2001، p51.

وتركزت الحرف الصناعية في منطقتين اساسيتين هما: آث يني بجبال جرجرة، وآث عباس بجبال البيبان واشتهرت المنطقتان على حد سواء بإنتاج البارود المصنوع من الفحم ونترات البوتاسيوم والكبريت، والأسلحة النارية، وكانت على درجة عالية من الإتقانفصارت مطلوبة في الأسواق اكثر من الأسلحة المستوردة من تونس،كما اشتهرت ايضا بصناعة الحلي خاصة في القرى الثلاثة(آث لحسن/آث لربعا/ ثاوريرت الميمون) بعرش آينيالتي قدر عدد ورشاتها غداة الإحتلال 120 ورشة بالإضافة إلى ورشات آث علي أوحرزون القريبة منها[1].

وتميزت منطقة آث سيدي ابراهيم بصناعة الأثاث، وذلك بالإضافة إلى المناطق الأخرى المذكورة سابقاً.[2] بينما شهدت صناعة الدباغة إنتشاراً واسعاً، خاصة في آث يجر وآث غبري وآث بوشعيب، وصباغة الجلود المشهورة باللونين الأسود والأصفر. أما صناعات الفخار، والمنسوجات، والمواعين المنزلية بنوعيها الخشبية والفخارية، وصناعة الصابون بالرماد وزيت الزيتون، فكانت مبثوثة في جميع المناطق، بينما صناعة النسيج بلغت درجة عالية من الجودة في آث عباس، حتى صار برنوسها مطلوباً بقوة في قسنطينة وتونس والمغرب.[3]كما تميزت آث هيشم في نسج الزرابي.وآزفون بإنتاج الفحم وتصديره إلى مدينة الجزائر، حتى اقترن اسم مينائها باسم الفحم، فلقب مرسى الفحم. كما يصنعون أيضاً معاصير الزيتون التقليدية، ورحى الحبوب بنوعيها الكبيرة(مائية لأهداف تجارية) وصغيرة خاصة بالمنازل.[4]

أتقن سكان الزواوة معظم الصناعات التي تميزت بالجودة العالية ، فعلى الرغم من بساطة المواد المصنوعة إلا انها كانت مطلوبة في معظم أرجاء الجزائر وحتى خارجها. فكانت المساهمة لسكان

[1] Jean Marigot ،op ،cit، p53.

[2] Georges Marcais Note sur un coffre kabyle، R.A، N° 68، 1927، p92.

[3] Jean Morizot، op. cit، p52.

[4] Tomas Shaw، Voyage dans régence d'Alger au 18 siècle، traduction E. McCarthy 1830، Edition grand alger livre،2007،p178.

هذه المناطق كبيرة، إذ وفرت العديد من الحاجيات الضرورية سواءً ماتعلق باللباس أو الأثاث أوالأوانيالمنزلية ، وتعدَّ ذالك إلى صناعة الآلات الخاصة بالمجال الزراعي ، فوفرت على نفسها استيراد كل هذه المنتجات بل أصبح لديها فائض من أجل تصديره. ونظرا للنشاط الصناعي الذي تميز به سكان الزواوة ، فقد عملوا على صناعة العملة المزيفة التي اضرت بالبلاد.

المطلب الثالث: دور فرق الزواوة في المجال الإداري

تقرب الأتراك من المرابطين وعملوا على استمالتهم، حيث تقرب عروج من سيدي احمد بن يوسف في مليانة، وتقرب منه خير الدين أيضا، وكل الحكام الذين جاءوا بعدهما تقربوا من أبنائه وأحفاده، كما تقربوا من سيدي علي المبارك وذريته في القليعة منذ القرن 17م، وظلت زاويته تجلب إليها الزوار من باشاوات الجزائر ومن غيرهم من الأهالي[1]، ولا يقتصر تقرب الاتراك من المرابطين على تقديم امتيازات لهم ، بل عملوا حتى على توسيع نفوذهم أحيانا،كما حصل مع المرابطين المقرانيين في بجاية و جيجل، حيث لم يتمكن الأتراك من إخضاع قبيلة بني فوغال الواقعة غرب جيجل وكانوا يضطرون في كثير من الأحيان لدفع الفدية لاستعادة بحارتهم الذين كثيرا مارمى بهم البحر إلى شاطئ تازة ووقعوا في أيدي القبيلة [2].

استحوذت قبائل بني فوغال على أراضي جبلية غنية بالأخشاب التي كان الأتراك في حاجة لها لصناعة السفن في ميناء جيجل.ولم يجد الأتراك وسيلة للتقرب من القبيلة سوى الإعتماد على العائلة المرابطية المقرانية، ففي حوالي 1600موعند مقتل أحمد أمقران أمير بني عباس ، نقل ابنه محمد أمقرانمن طرف أمه إلى أمعدان في قبيلة بني مسعود، على الضفة اليسرى لواد الصومام أين ترعرع في جوّمن احترام الناس بسبب إنتمائه العائلي والديني، ولما اكتسبه من نفوذ بين السكان

[1] صالح عباد ، المرجع السابق، ص364.

[2]Feraud (L. charles) ، exploitation des Forets des la karasta dans la Kabylie oriental، sous la domination turque. in ،R.A.N° 12، 1868،p381

تقرب إليه الأتراك ونقلوه إلى بجاية أين قدم لهم خدمات، إلى ان توفي هناك. سار ابنه سي عبد القادر على نهجه الديني وقدم هو بدوره خدمات للأتراك الذين منحوه إمتيازات، منها حقه في جباية ضرائب وزكاة عرش برداشة، وأوقف الداي مداخيل هذا العرش عليه.[1]

لا تختلف هذه الإمتيازات التي منحها الأتراك للمقراني عن تلك التي منحوها لمرابطين صغار في جبال بابور وتبابورت،[2]حيث ظلت زاوية أمعدان ومرابطوها المقرانيون يتمتعون بهذه الامتيازات إلى غاية سقوط السلطة التركية .

على الرغم من امتداد نفوذ المرابطين المقرانيين إلى المناطق الجبلية الواقعة بين جيجل وبجاية، فإن هذا النفوذ لم يكن قوياً لدى بني فوغال، لهذا حتَّم الأتراك على سي الحاج احمد المكي ، وهو ابن الشيخ سي عبد القادر أمقران أن يقيم في جيجل حتى يتمكن من تثبيت نفوذه في المنطقة ولدى بني فوغال. وتثبيت نفوذ الأتراك ايضا. وقد تمكن الحاج احمد المكي بسرعة من إقامة علاقة حسنة مع حبيلس قائد قبيلة بني فوغال الذي اعترف بالسلطة التركية فزكته قائداً للقبيلة باسم شيخ الكراستة، تحت السلطة المباشرة للمرابط سي الحاج الحمد المكي . هكذا أصبحت أخشاب بني فوغال تشحن إلى الجزائر من زيامة وتازة.[3]

لقد أصبح نفوذ سي أحمد المكي كبيراً لدى السكان والسلطة التركية التي قدمت له الامتيازات الضرورية، حتى أن باي قسنطينة منحه سنة 1750م احتكار الصيد في المنطقة كي يتمكن هذا(الباي) من الحصول على جلود النمور، ولما توفي المرابط سنة 1800م عين هذا الباي وصياً على ابنيه الصغيرين اللذين ورثا أباهما وهما سي محمد وسي الطاهر.[4]

---

[1]Feraud، op ،cit، p384-385

[2]feraud ، R.A، N°13،op ، cit ، p36.

[3]Feraud، op، cit; p 38-41.

[4]feraud، op، cit،p152- 153.

إن علاقة المرابطين المقرانيين بالأتراك تمثلت بالأساس في المصالح المتبادلة بين الطرفين، حيث كان المرابطون يقومون بدور يتمثل في التوسط بين السكان والسلطة، كانوا يتدخلون لصالح هذه الأخيرة، كما حصل مع أمراء بني عباس والدواودة وغيرهم.

لاعب المرابطون دوراً كبيراً في تجنيد المتطوعين لمحاربة الإسبان ومواجهة الحملات الأوروبية على السواحل الجزائرية، بل إن المرابطين كانوا يزكون حكام الجزائر بعد اختيارهم، وفي كثير من الأحيان كانوا يسافرون إلىقسنطينة للدفاع عن هؤلاء الحكام، مقابل هذه الخدمات انتفعوا بامتيازات عديدة في مناطق نفوذهم مثل جباية الضرائب والاستفادة من أعمال السخرة ومن الإعفاء الضريبي، وكان لبعضهم تجارة قافلية كبيرة كما هو الشأن بالنسبة للتجاريين وأولاد سيدي الشيخ والطريقة الزيانية في نواحي القنادسة، واستفاد المرابطون من أملاك الوقف التي كانت معتبرة، سواءً كانت أراضي أو عقارات أخرى.

ساهم الزواوة مثل غيرهم من القبائل في تثبيت الحكم التركي بالجزائر وذلك منذ دخول الأتراك إلى الجزائر بداية من جيجل التي كانت قاعدة إنطلاق بالنسبة لهم وساندهم سكانها بكل ما يملكون من أسلحة، مؤن وفرسان غير أن علاقة الزواوة والأتراك كانت تتأرجح بين السلم تارة والحرب تارة أخرى حسب مصلحة الطرفين، ففي عهد خير الدين وابنه حسن باشا كانت العلاقة نوعاً ما مستقرة ويغلب عليها طابع السلم لكنها ما لبثت أن تغيرت مع بداية القرن 18م، حيث اشتد نفوذ الأتراك داخل المناطق الجبلية التي كان سكانها خاضعين للعائلات الإقطاعية المحلية، وهذا ما يفسر تقهقر العلاقات بين الحكم التركي والأسر ذات النفوذ التي قامت بإشعال ثورات وتمردات طيلة الفترة المتبقية من الحكم التركي بالجزائر.

لعبت الزواوة دوراً في مختلف المجالات حيث احترفوا الزراعة وأتقنوها، وامتهنوا حرفة الصناعة، وبذلك وفروا على الحكومة استيراد مثل هذه المواد المصنعة. كما نشطوا حركية التجارة ببيعهم للمنتجات التي يصنعونها فتعدى دورهم هذه المجالات إلى ربط قبائلهم بالحكومة التركية،

ومساهمتهم في جباية الضرائب وحصولهم على امتيازات مثل غيرهم من القبائل المرابطية الأخرى فكان منوطاً بهم القيام بدور إداري وتولي القيادة والمشيخة وكذا تهيئة السكان واستعدادهم للحرب متى طلب منهم ذلك.

الفصل الرابع: تشكيلات عسكرية أهلية أخرى

المبحث الأول: القبائل المتحالفة مع السلطة التركية.

المبحث الثاني: قبائلالرعية الخاضعة للسلطة.

المبحث الثالث: القبائل المستقلة عن السلطة (الممتنعة)

عملت السلطة التركية على خلق تشكيلات عسكرية أهلية أخرى، ساهمت في تثبيت دعائم حكمهم بالجزائر غير أن دورها لم يكن بحجم دور قبائل المخزن. وهذه التنظيمات هي القبائل المتحالفة وقبائل الرعية والقبائل الممتنعة(المستقلة).

المبحث الأول: القبائل المتحالفة.

يقصد بالقبائل المتحالفة تلك التي تتعامل مع البايلك عن طريق مرابطيها الذين أصبحوا بحكم العادة والعرف يتوارثون حكمها معتمدين في ذلك على نفوذهم الديني[1]. وهذه العائلات يغلب عليها الطابع الروحي التربوي، الذي كان له الدور الكبير في التأثير على سكان الأرياف، وهذا ما أكده حمدان بن عثمان خوجة، بقوله[2]: "فعلى الرغم من عدم وجود قانون يسوون به خلافاتهم(السكان) ويكبحون به جماحهم، وعلى الرغم من أنهم لايقبلون الخضوع لأي سلطان فإن طاعتهم للمرابط طاعة لا يمكن تفسيرها".

لقد تعدى دور المرابط إلى توفير الأمن والحماية من قطاع الطرق، وقد أشار هايدو"Haedo"، إلى ذلك حين قال أن المسافرين كانوا يصطحبون معهم أحد المرابطين ليتجنبوا اللصوص، مثل ما كان يفعل الذين يعبرون جبال جيجل خائفين من لصوص بني عباس[3].

تأسس هذا التحالف بحكم النفوذ الروحي والاجتماعي لهذه القبائل في مناطقها[4]. وقد تميزت هذه القبائل بعلاقتها الحسنة مع البايلك. وقدمت له مجموعة من الخدمات والمطالب المخزنية أهمها جمع الضرائب[5].

---

[1] جهيدة بوعزيز، المرجع السابق، ص28.

[2] حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص56.

[3] Haedo " Topographie et histoire générale d'Alger" ،R.A، N°15، Alger، 1871،p218.

[4] سلطانة عابد، المرجع السابق، ص138.

[5] أحمد بحري، الحياة الاجتماعية بالجزائر في عهد الدايات، رسالة ماجستير تخصص تاريخ حديث، إشراف.أ.د. فغرور دحو، جامعة وهران، 2001م- 2002م، ص63.

أمّا من حيث أصولها فهي القبائل المرابطية التي لجأ الأتراك غليها عند استقرارهم بالجزائر. وذلك نظراً إلى الشرعية التي كانت تستند إليها هذه القبائل والمتمثلة في أصولها الشريفة[1]، كما هو الحال مع "الأشراف" بجبال البابور وجرجرة ووادي الصومام[2]. أو من دورها الديني والعلمي والتربوي كما هي عائلة امقران التي كان منها أولياء وصلحاء منطقة القبائل الصغرى.

المطلب الأول: أهم المجموعات المتحالفة وأماكن تواجدها:

بلغ مجموع القبائل المتحالفة في دار السلطان والبايليكات الثلاثة حوالي 86 قبيلة[3]. منها 29 قبيلة ببايلك الغرب وهي قبائل من بطون صنهاجة، والتي كان بعضها يقطن في المناطق التابعة لآغا الدواير والزمالة. وبعضها بالمناطق التابعة لخليفة الشرق.

ومن بين قبائل المجموعة الأولى نذكر أولاد سيدي بوعبد الله المغوفل بسهل الشلف وضواحي مستغانم، وفي جنوب الظهرة، ومجموعة قبائل بني مسلم التابعين للزاوية الشاذلية بمنطقة عمي موسى، وأتباع زاوية سيدي دحو بمعسكر[4]. وأتباع زاوية سيدي عمار بن دوبة. واتحاد قبائل الأحرار والذي يضم أحد عشرة قبيلة متحدة. وقبيلة أولاد ميمون بجبل عمور والتي تضم خمسة أعراش، وقبيلة أولاد سيدي الناصر. وقبيلة أولاد سيدي الشيخ نسبة إلى المرابط سيدي الشيخ بالبيوض، ولها زاويتان، إحداهما تميل إلى التحالف مع السلطة التركية العثمانية، والأخرى مع المغرب الأقصى. وتتلقى قبيلة أولاد سيدي الشيخ ضريبة الغفارة من القبائل الصحراوية بجنوب ورقلة ومتليلي وجبل عمور والشط الشرقي والغربي وفجيج وواد الساورة وتوات وقورارة وتيدكلت[5].

[1] سلطانة عابد، المرجع السابق، ص138.

[2] أحمد بحري، المرجع السابق، ص63.

[3] حميد آيت حبوش، المرجع السابق، ص77.

[4] فارس العيد، المرجع السابق، ص290.

[5] بلبروات بن عتو، المرجع السابق، ص263- 264.

أمّا بايلك الشرق فمجموع القبائل البربرية المتحالفة فيه مع السلطة حوالي 25 قبيلة[1]، وأهمها قبائل منطقة القبائل الصغرى منها قبيلة كتامة وبطونها وهي تحت سيادة عائلة أولاد مقران وقبائل آيت شارفة وأولاد سي عامر بواد الساحل، قبيلة ايت مشدالن وآيت عيسى، قبيلة مرخالة، قبيلة بني مدور، زاوية الشريف المولى بأقبو، زاوية سيدي مبارك بن سماتي وقبائل ساحل البابور القبلي وزاوية رمضان التي ترتبط بالمقرانيين بمجانة وايرخفاون الحليفة لسيدي محمد أمقران ومشيخة قصر التيربريغة وهي تحت سيادة عائلة أولاد وافضل ومشيخة فرجيوة وقبيلة بن عاشور ومشيخة زواغة وهي تحت سيادة عائلة بن عز الدين[2].

وقد بلغ مجموع القبائل المتحالفة مع السلطة في بايلك التيطري حوالي 12 قبيلة[3]، منها: أولاد زاوية سيدي أحمد بن يوسف وأولاد لخضر وهي متحالفة مع الباي مباشرة وشيخ هذه القبيلة يسمى الأمير عند الأتراك. وقبائل قصر البخاري وزاوية سيدي البخاري[4]، وأولاد سيدي عبد الله وقبيلة أولاد سيدي عيسى وقبيلة أولاد علي وقبيلة أولاد سور الحرب وقبيلة أولاد سيدي عامر وقبيلة أولاد سليمان ومشيخة أولاد مختار وقبيلة أولاد سيد احمد[5].

أمّا فيما يخص دار السلطان فقد بلغت فيه القبائل البربرية المتحالفة حوالي 20 قبيلة بأحواز الجزائر[6]، نذكر منها: أولاد سيدي علي مبارك، بضواحي مدينة القليعة، وهي قبيلة مرابطية مرابطية تمارس تأثيرها على قبائل وطن الفحص، ووطن وادي السبت ووطن بني خليل وقبيلة بني مناد بالمتيجة، وتمد مخزن حجوط المحارب بالفرسان، ويخضعون لمرابطي القليعة، قبيلة براكتةالمرابطية بضواحي شرشال، وتنتسب إلى اتحاد قبائل بني مناصر البربرية وزاوية سيدي سالم، وقد تزعمت

[1] حميد آيت حبوش، المرجع السابق، ص77.

[2] بلبروات بن عتو، المرجع السابق، ص262.

[3] مؤيد محمود حمد المشهداني وسلوان رشيد رمضان، "أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518م- 1830م"، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مج 5، ع16، نيسان2013م، ص482.

[4] بلبروات بن عتو، المرجع السابق، ص261.

[5] حميد آيت حبوش، المرجع السابق، ص75.

[6] مؤيد محمود حمد المشهداني وسلوان رشيد رمضان، المرجع السابق، ص428.

اتحاد قبائل بني جعاد المخزني، وهي تمد الأتراك العثمانيين بالمخازنية[1]، إضافة إلى أعراش أولاد ابراهيم وأعراش القليعة واتحاد عرش فليسة[2]، والذي تتزعمه قبيلة بني زموم منذ 1769م ويتكون من أربعة عشر عرشاً[3]، وقبائل آيت بوهني وآي تخلفون وآيت عزيز وآيت واقنوني وأفليس وعرش آيت غبري وأعراش المعاتقة وعرش آيت خليفة وعرش آيت عيس وزاوية آيت اسماعيل وأعراش قشتولة وأعراش آيت صدقة[4].

المطلب الثاني: علاقة القبائل المتحالفة مع السلطة:

وبالتالي فإن هؤلاء الشيوخ وعائلاتهم كانت بمثابة السلطة المحلية أو الواسطة بين الحكام والمجموعات القبلية التي يصعب السيطرة عليها وإخضاعها لكل المطالب المخزنية، فقد برزت عائلات وأسر لعبت دوراً قيادياً داخل القبائل والعروش التي تنتمي إليها[5].

غالباً ما استمد هؤلاء الشيوخ سلطتهم من أصولهم العرقية كما هو الحال مع "الأشراف" بجبال البابور وجرجرة ووادي الصومام أو كفاءتهم الحربية وقوة بأسهم كما هو الحال مع قبائل الأجناد بالتيطري وكذا بني عباس والحراكتة بالهضاب العليا القسنطينية أو قوتهم الروحية والدينية بالمناطق الغربية حيث حكمت عائلات المرابطين[6].

إذاً فقد أدرك الأتراك منذ البداية قيمة التحالف بينهم وبين الزعماء المحليين والأهمية البالغة التي تكتسيها علاقتهم بهم. وقد استمر تحالف الأتراك مع القبائل والأعراش حتى أواخر العهد التركي. ومن ذلك مراسلة محمد باي الملقب بالمانامايي الذي حكم بايلك قسنطينة بين 1822م – 1826م، وكانت الرسالة سنة 1825م، إلى إحدى العائلات الكبرى ذات المكانة الاجتماعية

[1] بلبروات بن عتو، المرجع السابق، ص- 260- 261.
[2] حميد آيت حبوش، المرجع السابق، ص75.
[3] بلبروات بن عتو، المرجع السابق، ص261.
[4] حميد آيت حبوش، المرجع السابق، ص75.
[5] أحمد بحري، الحياة الاجتماعية...، المرجع السابق، ص 63.
[6] ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 109.

والسمعة الدينية في منطقة بلازمة بناحية الأوراس، ويتعلق موضوعها بحفظ الامتيازات وتأكيد مكانة تلك العائلة لدى الحكام والأهالي وذلك بمعاملتها معاملة خاصة، وبإسقاط المطالب الضريبية عنها. ومما جاء فيها:

" يعلم من يقف على هذا الأمر الكريم والخطاب الواضح الجسيم العلي شأنه النافذ أمره وسلطانه من الآغوات، والخلفاء والقياد، والعمال، وسائر من له تصرف في الأحوال من العرب والأجناد..... إنّا أنعمنا على الفاضل الأجلّ الخير الأجلّ الشيخ البركة الشيخ إبراهيم وولديه سي محمد، وسي أحمد، والسيد محمد مراح، وسي الطيب بن بوبيدي، وسي محمد بن مسعود، ومحمد بن عباس، وكافة إخوانه أولاد سي أحمد بن سعيد الشريف وجردنا لهم على مقتضى الأوامر التي بأيديهم المتضمنة تحريرهم من جميع المطالب المخزنية والوظائف السلطانية، قلت أوجبت بحيث لا تنتهك حرمة ولا ينظم لهم عقاب ولا يقاسون بما يقاس به غيرهم بسبب من الأسباب ولا يطالبون بمغرم ولا غيره لكونهم لم يجري عليهم عادة في ذلك، ولا يتعدى عليهم أحد ولا يطرق ساحتهم ولا يقربهم بإذاية ولا بمكروه، وأوصينا بحرمهم واحترامهم ورعيتهم وإكرامهم إنعاماً تاماً وتحريراً مباركاً شاملاً عامّاً "[1].

وقد استمر هذا الفرمان زمن أحمد باي(1826م- 1837م) في أعقاب عائلة الشيخ إبراهيم سنة 1827م. وفيها ما يثبت العلاقة والتحالف الذي جمع الحكام بالأعيان وزعماء القبائل، ومما جاء فيها:

" أنّا أنعمنا على العز سي محمد الصالح وإخوانه عبد القادر بن محمد الصغير وابن عمهم إبراهيم، أولاد المرحومين السيد محمد وسي أحمد ولدي المرحوم الصالح السيد إبراهيم بن السيد أحمد بن سعيد الشريف وجدّدنا لهم على مقتضى ما يعدهم من أوامر إخواننا الباي المتضمنة تحريرهم من جميع المطالب المخزنية والوظائف السلطانية، قلت أوجبت بحيث لا يتعدى عليهم أحد ولا يطالبهم بشيء ولا يقربهم بإذاية ولا بمكروه ولا يخرق فيهم بدعة، وأوصينا بحرمهم

[1] محمد شاطو، المرجع السابق، ص97.

واحترامهم ورعيهم وإكرامهم إنعاماً تاماً وتحريراً مباركاً شاملاً عاماً، فحسب الواقف على أمرنا هذا أن يعمل به ولا يخالف عليه، والسلام "[1].

ومن الأمثلة أيضاً على تحالف الأتراك مع زعماء القبائل، تحالفهم مع إحدى القبائل القوية التي كانت مسيطرة على بجاية وما جاورها، وهي قبيلة بني عباس التي سعى الأتراك منذ مجيئهم للجزائر، إلى عقد التحالف معها، لمحاربة الإسبان والتصدي لكل الأخطار وذلك منذ سنة فكانت سنة 1527م[2].

ولو أنّ هذا التحالف كثيراً ما كان يتم خرقه وتسبب في سوء العلاقة بين الطرفين وذلك بحسب الظروف. وهذا الأمر كان بشكل عام يشمل علاقة الأتراك مع كل القبائل المتحالفة معهم.

فنذكر على سبيل المثال أسرة الحنانشة التي دخلت في صدام مباشر مع السلطة التركية. وشهد ذلك peyssonnel، الذي زار المنطقة في الوقت الذي كانت علاقة هذه الأسرة بالسلطة التركية مضطربة، حيث يقول: " أسرة بوعزيز أسياد الحنانشة يفرضون سيطرتهم على رؤساء قبائل أخرى ويتحالفون معها ويعيشون في استقلال، تعرض شيخهم بوعزيز للهجوم عليه من طرف البايين معاً باي تونس وباي قسنطينة بسبب كونه يمتنع عن سيطرة الأتراك ويدخل في حروب دائمة معهم. لأنه يملك قوة تصل إلى 8000 فارس. حيث قام باي تونس وباي قسنطينة في السنة الماضية 1724م، بمباغتته بالهجوم، واستطاع حسن باي قسنطينة، أن يهزمه ويفتك منه أكثر من 8 آلاف جمل، وثور، وحتى الخيام. وترك خليفته يطارده مع محلة الأتراك، إلاّ أن ابنته العلجية ثأرت لأبيها وردت على الأتراك وهزمتهم في معركة قادتها بنفسها " [3].

[1] المرجع نفسه، ص-ص 97- 98.

[2] نبيل بومولة، صفحات من تارخ بجاية في العهد العثماني(إمارة المقرانيين في القرن 10هـ/16م)، دار هومه، الجزائر، 2013م، ص- ص 129-130.

[3] Peyssonelle، voyages dans les regences de Tunis et Alger، publiés par M Dureau de la Malle، librairie de cide، paris 1838، T1،p-p 293-294.

من خلال هذه الأحداث، نرى أن أسرة الحنانشة لم تكن دائمة التحالف مع السلطة التركية في الجزائر، بل كانت تتحالف تارة مع باي تونس وتارة مع باي قسنطينة. ما يدفعنا للقول بأن القبائل كلما وجدت فرصة للخروج عن طاعة الأتراك فعلت ذلك، خاصة إذا رأت منها ضعفاً أو انشغالاً بأوضاع البلاد.

لذلك عمل الأتراك على تشجيع سياسة الصفوف، فكلما برزت إحدى الزعمات المحلية، كانوا يخلقون لها مناوئين، لإضعافها والتقليل من شأنها. وأحسن مثال على هذه السياسة، الطريق التي انتهجها الحكام في تعاملهم مع أمراء آل القاضي، مؤسسي إمارة كوكو بمنطقة القبائل الكبرى. فقد وقف الحكام إلى جانب أحمد بن عمر بن بوختوش، أحد منافسي أمراء كوكو على السلطة، فقدموا له الدعم الضروري للإطاحة بابن القاضي[1].

انطبعت العلاقة القائمة بين الأتراك والقبائل المتحالفة بطابع التعاون أحياناً، والتوتر أحياناً أخرى. فقد شهدت تذبذباً في كامل مراحل الحكم بالجزائر. ولم تستقر بأي حال من الأحوال على طبيعة واحدة.

المطلب الثالث: دور القبائل المتحالفة في مختلف المجالات:

عندما دخل الأتراك إلى الجزائر عرفوا أهمية المشيخات الوراثية وضرورة استمالتهم والتعاون معهم وكسب دعمهم من أجل غزو الوطن وإعادة توحيده تحت رايتهم وطرد الإسبان والجنويين من موانئه، والقضاء على الحفصيين. فدان لهم الريف وزعماؤه بفضل سياسة اللين والاتفاق والإبقاء على امتيازات تلك القبائل والأسر الحاكمة ومكتسباتها الإقطاعية مع إجراء تعديلات عليها عندما كانت الضرورة تقتضي ذلك.

رغم الخلافات التي كانت تنشب بين الطرفين من حين لآخر إلاّ أنها بشكل عام كانت علاقة مرضية. فبفضل مساندة هؤلاء الرؤساء المحليين للأتراك في المجال العسكري وتقديم الرجال

[1]H Anoteau et Letourneux، La kabylie et les coutumes kabyles، 3T. 2.T ، P 04.

والعتاد، استطاع الأتراك تحقيق انجازات كبيرة على أرض الواقع من تحرير للموانئ والقضاء على الثورات وتأديب القبائل المتعاونة مع الإسبان خاصة بمنطقة الغرب[1].

كان الحكام العثمانيون يتحالفون مع الأسر القوية أمثال قبيلة الذواودة وقبيلة الحنانشة وأولاد مقران، للاستفادة من قواتها. فكانت للبايات خير معين على تثبيت الحكم العثماني بالبايلك، وتغلغله حتى حدود الصحراء[2].

كما أقام الأتراك مع هذه القبائل علاقات تجارية لدعم الجانب الاقتصادي. وذلك بتوفير الأخشاب من الغابات التي كانت تسيطر عليها القبائل المتنفذة. خاصة وأن هذه القبائل كانت تعرف أهمية هذه الأخشاب في بناء الأسطول الذي بدوره يحمي السواحل والموانئ الجزائرية من الحملات الصليبية الأوروبية ويوفر الأمن للسكان[3]. من ذلك دور عائلة الشريف بن حبيلس بالقبائل الصغرى(جيجل) حيث كانت تشغل أخشاب جبال بابور مقابل تثبيت سلطة البايلك مع القبائل الجبلية.

علماً أنه مهما كان دور هذه الزعمات، إلاّ أن الإدارة عرفت كيف تقلل من نفوذها، وإضعاف تأثيرها في أوساط الريفيين. وقد انتهجت أساليب محكمة لتحقيق تلك الأهداف، ومن جملتها أن:

1- قام بعض الحكام الأتراك أمثال، حسن بن خير الدين وعلي بتشين،وأحمد باي القلي، وغيرهم، بربط علاقات المصاهرة مع بعض الأسر القوية، أمثال آل القاضي، وآل مقران، وابن قانة[4].

2- كان الهدف توثيق العلاقات من جهة وتقليل احتمال الصدام بين الطرفين، هذا الصدام الذي كان محتملاً في أي وقت وعندها يشن الأتراك حملات عسكرية على

[1] اسمهان لعريبي، المرجع السابق، ص149.

[2] جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع...، المرجع السابق، ص83.

[3] نبيل بومولة، المرجع السابق، ص102.

[4] E. VAYSSETTES، OP، cit، p 117.

كل من حاول الخروج عن طاعتهم. كما حدث ذلك مع شيخ بني عباس[1]، وشيخ بني جلاب، وابن القاضي وغيرهم[2].

وقد انتبهت السلطة التركية منذ بداية وجودها في الجزائر، إلى الدور الذي كان يقوم به بعض المرابطين، وإلى المكانة التي كانوا يتمتعون بها في المجتمع. فلهذا حاولوا التقرب منهم ونيل ودهم. وقد اعتمد الحكام في تعاملهم مع سكان الأرياف، على بعض المرابطين[3]. حتى قيل أن القوات التركية لا يمكن لها عبور جبال البيبان وجرجرة، دون أخذ ضمانات المرابطين المؤثرين في تلك المناطق.

كما كان للمرابطين مهام أخرى، حيث كلفهم البايات بإيصال جرايات الجند، المقيمين في الحاميات العسكرية. وتؤكد إحدى الرسائل التي وجهها أحمد القلي، باي قسنطينة في عام 1170هـ/1756م، هذه الحقيقة، والتي جاء فيها: " قد كلفنا سيدي أحمد المكي بالإشراف على كل أمورنا، ونقل مرتبات حاميتنا بجيجل المحروسة "[4].

تعتبر سلطة المرابط من أهم السلطات التي كان يخضع لها المجتمع الجزائري، خاصة في الريف، القائد أوالشيخ[5]، وعليه كان المرابط أو الشيخ رمز للسلطة الغير مباشرة، خاصة في المناطق الغير الخاضعة والبعيدة عن سلطة الأتراك[6].

---

[1] كانت العلاقة بين الأتراك وبني عباس حسنة منذ عهد خير الدين إلى عهد صالح رايس الذي خرجت فيه ورقلة وتوقرت عن طاعته، فسير جيشاً لإخضاعها. للمزيد من التفاصيل عن العلاقة بينهما، أنظر: نبيل بومولة، المرجع السابق، ص-ص 127- 166.

[2] أرزقيشويتام، المجتمع الجزائري...، المرجع السابق، ص175.

[3] حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص46.

[4] أرزقيشويتام، المجتمع الجزائري...، المرجع السابق، ص 177.

[5] علي خنوف، السلطة في الأرياف الشمالية لبايلك الشرق الجزائري نهاية العهد العثماني وبداية العهد الفرنسي، مطبعة العناصر، الجزائر، 1999م، ص52.

[6] سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي(1500م- 1830م)، ط2، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989م، ص210.

وهذا يعني أن العثمانيون حاولوا خلق إطار للتواصل مع الأهالي عن طريق زعماء القبائل والسلطة الروحية[1].

ونظراً للمعتقدات التي كانت تسيطر على المجتمع الجزائري من احترام وتقدير للمرابط بوضعه في مكانة عالية، فإن هذه القبائل وجدت ضالتها فيه لاستتباب الأمن والهدوء[2]، فحمدان خوجة [3]يقول أن: " هذه القبائل وضعت ثقتها التامة بالمرابطين..."، أما الزهار[4] فيذكر: " أن سكان تلك الجبال كلهم عصاة لا يتصرف فيهم الآغا أو الباي. بل يتصرف فيهم المرابط"، لأن المرابط وحتى شيخ الجماعة ترتكز سلطته على الاحترام والوقار والوازع الديني والأخلاقي، عكس سلطة القياد التي تعتمد على القوة مثلها مثل السلطة المركزية بالمدينة[5].

لقد ربط الأتراك علاقتهم بمختلف القبائل المتنفذة في البلاد، فقد شملت علاقتهم القبائل القوية والمرابطين وشيوخ الزوايا والعلماء بشكل عام، لأن هذه الجماعات تضمن لهم ولاء الرعية خاصة بالريف. حتى أنهم صاهروا العديد من العائلات، لتدوم بينهم التحالفات كما رأينا.

لم تستهن السلطة التركية بدور القبائل المتحالفة، فقد عرفت كيف تستفيد منها، ومن قوتها، وتحاول تجنب تمردها على السلطة، إذ جعلت منها قوة حليفة لها. واليد الطولى لها في الريف.

إن القبائل المتحالفة وإن لم يكن دورها بمستوى قبائل المخزن، إلاّ أنه لا يمكن التقليل منه، لأنها كانت تضمن ولاء الرعية للسلطة. هكذا ظلت القبائل المتحالفة عيون السلطة بالريف والملجأ الذي يهتدي إليه الرعية، خاصة المرابطين وشيوخ الزوايا.

---

[1] محفوظ قداش، " الجزائر في العهد التركي"، الأصالة، ع52، 1977م، ص- ص 10-11.

[2] Boulifa (S.A)، le Djurdjura à travers l'histoire، depuis l'Antiquité، jusqu'à 1830، S. Bringou Alger، 1923.، pp 193-194.

[3] حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص88.

[4] الزهار، المصدر السابق، ص48.

[5] علي خنوف، المرجع السابق، ص42.

المبحث الثاني: قبائل الرعية.

كان المجتمع الريفي يتكون أساساً من قبائل الرعية، التي جعلها خضوعها المباشر لسلطة البايلك، تتحمل عبء النظام الضريبي[1]. فكانت تعد المصدر الأساسي لاقتصاد البلاد، لما كانت توفره من مداخيل مالية، وإنتاج زراعي وحيواني، حيث كانت قبائل الرعية مطالبة بدفع الضرائب النقدية والعينية[2].

وهي القبائل الأهلية التي أرغمتها عوامل مختلفة على الخضوع للإدارة العثمانية، منها الموقع الجغرافي[3]، حيث كانت تحت نفوذ قبائل المخزن أو القبائل المتعاونة معه أو تحت سلطة الحاميات العسكرية. وأحيانا انضمت طواعية لكي تستفيد من أراضي البايلك[4].

تمثل هذه القبائل قاعدة الهرم الاجتماعي في الجزائر بين القرنين 16م- 19م، وبالتالي فهي القبائل الخاضعة لجميع المطالب المخزنية والفروض الضريبية، ولقد عاش أفراد هذه الطبقة فروقاً طبقية كبيرة ففي الوقت الذي يقوم على أكتافهم كل الجهد الفلاحي فإنهم لا ينعمون إلاّ بالنزر اليسير الذي يعادل خمس الإنتاج فقط[5].

ما هي أهم القبائل الخاضعة للسلطة؟ وكيف كانت علاقتها بالسلطة؟ وفيما تمثّل دورها؟.

---

[1] أرزقيشويتام، المجتمع الجزائري...، المرجع السابق، ص182.

[2] .Rinn(L) : loc. cit، p 14.

[3] أرزقيشويتام، المرجع السابق، ص182.

[4] حميد آيت حبوش، المرجع السابق، ص127.

[5] أحمد بحري، الجزائر في عهد الدايات دراسة للحياة الاجتماعية إبّان الحقبة العثمانية، ج2، دار الكفاية، الجزائر، (د. ت)، ص73.

المطلب الأول: أهم مجموعات الرعية ومجالها الجغرافي:-

تتألف قبائل الرعية من المجموعات السكانية الخاضعة مباشرة للبايلك والمقيمة بالأراضي التي تسهل مراقبتها. وهذه القبائل لم تحظى بأي امتياز لدى السلطة التركية، فلقد كانت معرضة باستمرار للاضطهاد والاستغلال المستمر من فرق رجال البايلك وفرسان المخزن[1].

ففي بايلك الشرق نذكر قبائل عامر الشراقة التي تضم خليطاً من الفروع بعضها ينتمي إلى قبائل المخزن وبعضها الآخر ينتمي إلى قبائل الرعية وتقع على بُعد 30 كلم شرق قسنطينة ومن بين فرق هذه القبيلة أولاد عبد النبي واولاد الشرقي وأولاد سلطان واولاد مبارك وغيرهم[2]. كذلك قبيلة دريد وستة قبائل رعية بساحل سكيكدة. وكراربسلاوة وقيادة الغرفة وقبائل ساحل عنابة وأيدوغ وسكان قرية تبسة وضواحيها وقيادة عامر الغرابة وأولاد دحاب وعلمة البزور وأولاد دراج الغرابة وكسنة ونايت حمزة بعين بسام[3].

ومن أبرز قبائل الرعية ببايلك الغرب قبيلة أولاد سيدي أحمد بن محمد وقبيلة أولاد سيدي يحيى بن أحمد وقبيلة الشوالة وقبيلة أولاد سيدي يحيى وقبيلة العمامرة وقبيلة الحرارثة، قبيلة أولاد عامر وقبيلة الحساسة، قبيلة أولاد سويد، بني درقن وأولاد رافع، أولاد يحيى، بني يسعد وبني لومة وأولاد راشد وأولاد بركات وأولاد بلحية. وكل هذه القبائل تتفرع إلى أعراش ودواوير[4].

قسمت قبائل الرعية ببايلك الغرب إلى عدة مجموعات ومنها مجموعة كانت تخضع مباشرة للباي وهم بني عامر ومجاهر، أمّا المجموعات الأخرى فكانت تتبع إمّا لخليفة الباي أو لقايد فليتة المدينة أو قايد الجبل أو قائدي اليعقوبية الشرقية والغربية.

---

[1] فارس العيد، المرجع السابق، ص288.

[2] اسمهان لعربي، المرجع السابق، ص147.

[3] بلبروات بن عتو، المرجع السابق، ص258.

[4] سلطانة عابد، المرجع السابق، ص-ص 146- 150.

ونظراً لاستقرار هذه القبائل بأماكن قريبة من قبائل المخزن، فقد كانت تدفع ضرائب كثيرة كالمعونة والغرامة واللزمة والمكوس، بالإضافة إلى العشور والزكاة[1].

أمّا بايلكالتيطري فأهم قبائله بطون صنهاجة منها: عرشي أوزرة وبني عيش وقبائل هوارة، قبائل ريغة بالمدية وقبائل الحنانشةوأوعامري بجندل وقبائل البرواقية وتضم قرية مدالة، وبني يعقوب، وأولاد سيدي ناجي وأولاد دايد، وأولاد حديم، وبني حسن وربايعية، وقبيلة حسين بن علي، قبائل قصر البخاري: وتضم أولاد معارف، وأولاد مفتاح ودايمةالسواري، وأولاد علان وأولاد فرحة وأولاد ايخلف وأولاد بركة وأولاد بواريف وأولاد مريم، ومخزن الجواب، ومخزن قصر الشلالة[2].

[1] فارس العيد، المرجع السابق، ص288.

[2] بلبروات بن عتو، المرجع السابق، ص257.

ترسمت قبائل الرعية بمقاطعة دار السلطان على النحو التالي، والجدول الآتي يبين ذلك[1]:

عدد القبائل	أماكن تواجدها
07أحواش زراعية	وطن الفحص(حوش زواوة، وبوزريعةوبني مسوس، وعين زبوحة وبئر خادم والقبة والحامة)
14 قبيلة	وطن بني خليل بين قرى وأحواش زراعية.
05 تجمعات قبلية	وطن وادي سبت
14 تجمعاً قبلياً	وطن بني مسوس
16 تجمعاً ريفياً	وطن الخشنة
12 تجمعاً ريفياً	سهل الخشنة
05 تجمعات ريفية	جبل خشنة
قبيلة بني سليم	تادلس
قبيلة بني صالح	ضواحي البليدة حول زاويتين هما زاوية سيدي الكبير وسيدي الفضيل

[1] بلبروات بن عتو، المرجع السابق، ص 257.

وقد بلغ مجموع القبائل الخاضعة للأتراك حوالي 104 قبيلة منها 11 قبيلة بمدينة الجزائر أو مقاطعة دار السلطان. و23 بايلكالتيطري و56 قبيلة بايلك وهران أمّا بايلك الشرق فقد بلغت حوالي 14 قبيلة[1].

على ضوء ما سبق نجد أن بايلك وهران قد احتوى على عدد كبير من القبائل الخاضعة للسلطة، ويبدو أن سبب ذلك يرجع إلى تحالف معظم القبائل مع الإسبان وعند إخضاعها من طرف الأتراك حولت إلى قبائل رعية وتحت نفوذ المخزنية.

المطلب الثاني: العلاقــة بين قبائل الرعية والسلطـة:

تعتبر الضرائب والجبايات الرابط الأوحد الذي يجمع سلطة البايلك بالقبائل الجزائرية حيث كانت ملزمة بدفعها، بمختلف أنواعها، مثل الزكاة والعشور، والخراج، واللزمة، والمعونة، والضيفة، وغيرها. وكانت تدفع في شكل عيني ونقدي. " يؤخذ العشر أو الجزء العاشر من الإنتاج، وتوضع مقادير تلك الأعشار في صندوق الخزينة لدفع مرتبات الجيش، وللاعتناء بالفقراء وتربية الأيتام، ودفع أجور القضاة "[2].

كان هناك مرونة في طريقة دفع هذا النوع من الضرائب، إذ أن القانون، قد خول للداي حرية التفاهم مع السكان حول تلك الأعشار، واستبدالها بمبالغ معينة. وكانت ضريبة العشور تحدد بعدد الزويجات[3]، أو الجابدات[4]. فقد ورد في الوثائق، أن قبائل مليانة، كانت مطالبة بدفع ثلاث كيلات من القمح ومثلها من الشعير على الزويجة الواحدة[5].

---

[1] مؤيد محمود حمد المشهداني وسلوان رشيد رمضان، المرجع السابق، ص428.

[2] حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص143.

[3] الزويجات: وهي زويجة من البقر يتحصل عنها 12 كيلة من القمح و12 كيلة من الشعير وتساوي 08 كيلات من الحبوب صاعاً واحداً الذي يساوي 149 لتر. للمزيد أكثر ينظر: ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 175- 176.

[4] الجابدات: يعتمد في حساباتها قدرة ثورين لحرث مساحة من الأرض قدرة في القرن 17م و18م في بايلك قسنطينة ب12 كيلة من القمح و12 من الشعير.

[5] أرزقيشويتام، المجتمع الجزائري...، المرجع السابق، ص190.

رغم تعدد وثقل هذه الضرائب فإننا نجد أن العديد من الباحثين والرحالة الأجانب أكدوا مرونتها وعدم تأثيرها على معيشة الفلاح الجزائري، فالرحالة Peyssonel يقول عن حالة الفلاح ببايلك قسنطينة: "أن الضرائب لم تكن سبباً في فقر الفلاح بهذه المنطقة، بل كانت حافزاً له على زيادة انتاجه لأنه لولا الضرائب لاكتفى بالقليل من الإنتاج، كما أنني لم ألاحظ فرقاً بين معيشة الفلاح الخاضع للنظام الضريبي والفلاح الذي لا يدفع الضريبة "[1].

حتى ولو كانت هذه التحليلات والملاحظات صحيحة، إلاّ أنها كانت تخفي حالة الإرهاق التي أصابت قبائل الرعية. خاصة في نهاية العهد التركي، الأمر الذي جعل الفلاح يلجأ إلى عدة طرق للتهرب من دفعها:

1- العمل على إخفاء محاصيله الزراعية في مطامير- وهي حفر عميقة في الأرض لخزن الحبوب- لا يعرف مكانها إلاّ هو أو أقرب الناس إليه. ويتظاهر بالبؤس حتى لا يجبر على دفع الضريبة.

2- إهمال الزراعة والالتجاء إلى تربية المواشي التي يسهل تهريبها وإخفائها في الوقت المناسب حال وصول الجباة.

3- التجأ الأهالي إلى الوقف الأهلي على المذهب الحنفي. فأوقفوا أراضيهم وأملاكهم على الزوايا والمؤسسات الخيرية حتى تعفى من الضريبة ولا تستطيع الدولة مصادرتها.

4- هجرة العديد من القبائل لأراضيها والتحاقها للعمل بأراضي العزل[2].

وبسبب لجوء الحكام إلى العديد من الأساليب لضمان ولاء قبائل الرعية لهم، فإن هناك بعض القبائل شقت عصا الطاعة وثارت ضدهم أمثال قبائل صبيح، وأولاد يونس، والشرفاء في

[1]Peyssonel. Idem، p-p 212-213.

[2]جميلة معاشي، الأسر المحلية...، المرجع السابق، ص179.

بايلك الغرب. وقد عرفت حركة التمرد هذه، اتساعاً في أواخر العهد التركي، نتيجة اشتداد وطأة الحكام على قبائل الرعية. وأدى هذا الوضع إلى تضاعف عدد القبائل الممتنعة[1].

هذه التمردات نتجت عن السياسة التي اتبعها الحكام. بجعلهم أفراد هذه القبائل، موضوع استغلال وقهر، فهم مسخرون لتلبية طلبات الشيوخ الذين يشرفون عليهم والقياد الذين يتصرفون فيهم. وفرسان المخزن الذين يراقبونهم. وقد كانوا ملزمين بتقديم إنتاجهم الفلاحي أو الحيواني مثل القمح والشعير والتين والزيتون والزيت والعسل والزبدة والشمع والصوف وقطعان الماعز والغنم والأبقار والخيل والجمال لسلطة البايلك وللجيش الإنكشاري[2].

هذا وقد أدى الضغط المتزايد الذي كانت تتعرض له قبائل الرعية إلى تفككها، فلم تعد قبائل الرعية تعتمد في تجانسها وتلاحمها على الأصل المشترك والانتساب العرقي، كما هو الشائع في القبائل الأخرى، وإنما أصبح انسجامها وتلاحمها يرتكز على الظروف المعاشية ومعاملتها مع الحكام، فقبيلة كريشتل مثلاً وهي إحدى قبائل الرعية بناحية وهران تكونت بفعل هذه الظروف من تآلف مجموعة من الناس أتوا من جهات مختلفة للإقامة في أرض زراعية تقدر مساحتها بست مراحل مربعة، وظلت تحتفظ بها حتى الاحتلال الفرنسي بحجة أنها اشترتها من الباي محمد الكبير بثمن قدره 1000 دينار حسبما هو مسجل في إحدى الوثائق الرسمية التي كانت تستند إليها[3].

ومما يلاحظ أيضاً على مسألة الضرائب، أن كثيراً من القبائل كانت تسعى بنفسها إلى البايلك، وتعرض تبعيتها له وتفرض على نفسها المطالب والفروض المخزنية التي في مقدورها الوفاء بها، ويذكر ابن هطال واصفاً رحلة الباي محمد الكبير إلى الجنوب الجزائري لتأديب بعض القبائل العاصية كيف كانت ترد عليه وفود بعض القبائل في الطريق عارضة ولاءها إذ يقول[4]: "... وقد

---

[1] أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري...، المرجع السابق، ص192.

[2] فلة القشاعي موساوي، المرجع السابق، ص130.

[3] ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ...، المرجع السابق، ص108.

[4] أحمد بن هطال، رحلة محمد الكبير باي الغرب إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب، بلا، بدون ت، ص-ص 51-52.

كان ورد عليه أهل تاجموت وأهل عين ماضي بعلمائهم وكبرائهم يريدون خدمته كآحاد الرعية ويلزمون أنفسهم بشيء يرتضاه حتى تأتي على جميعهم المنية فقسط لكل واحدة منهما قسطاً معتبراً يعطونه في كل عام إلى آخر الدهر".

من هذا القول نلاحظ أن الفروض والضرائب التي كانت تقدمها بعض قبائل الرعية لم تكن في الأصل مغارم تؤخذ قهراً فقط وإنما تقدم البايلك ليمنح هذه القبائل حمايته ورعايته، ويوفر لها الأمان من هجمات الأعراب ويسمح لها بالرعي والفلاحة في الأراضي التابعة لسلطته ويؤكد ذلك حمدان خوجة بقوله[1]: " نظراً للأهمية التي يولونها للزراعة ولما يريدونه من حماية لغللهم وضمان لأملاكهم فإنهم يدفعون طواعية ضريبة لرئيس الأيالة ".

ونفس الشيء بالنسبة لقبائل الأغواط: "... وعندما وصل المنزل قدمت مشايخ بني الأغواط وعلماؤهم وبأيديهم كتاب صحيح البخاري رضي الله عنه طالبين الأمان على أنفسهم وأهلهم وهم مذهنون[2] بالطاعة قائلون أن يكونوا رعية على أن يعطوا مائة خادم وخمسة آلاف سلطاني ومائة ثوب وأربعة أفراس. فلما رأى حرصهم على هذا الأمر وتحملهم ورضاهم بذلك القدر قال لهم: إن أتيتم لما ذكرتم ووفيتم لما وعدتم فلكم مني الأمان وأيّ أمان، ثم كساهم كلهم كما كانت عادته مع غيرهم وزاد لكبيرهم منطقة فائقة رحلة رائقة وطلبوا منه أن يقيم في هذا الموضع حتى يدفعوا له جميع ما التزموه وانصرفوا وبعث معهم المخازنية لخلاص ذلك على العادة المعلومة في الرعية..."[3].

من هنا يتضح أن علاقة قبائل الرعية بالسلطة لم تكن علاقة جباية الضرائب فقط، وإنما هي علاقة مصلحة متبادلة بين الحاكم والمحكوم، بحيث أنها بدأت تتدهور، في عهد الدايات، نتيجة للتغييرات الحاصلة آنذاك خاصة الخارجية. منها تكتل الدول الأوروبية لمحاربة القرصنة في

[1] حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص69.

[2] بمعنى مذعنون.

[3] ابن هطال، المصدر السابق، ص53.

البحر المتوسط، ومحاصرة الجزائر والتحرش بسواحلها في العديد من المرات وبالطبع هذا أدى إلى ضعف البحرية الجزائرية، وبالتالي تراجع غنائم البحر، الذي تسبب في حاجة الخزينة إلى مداخيل، وكان المخرج الذي اهتدى إليه الدايات في ذلك الوقت، بسبب عدم كفاءتهم، هو رفع قيمة الضرائب وإثقال كاهل السكان بها، خاصة قبائل الرعية المغلوبة على أمرها.

لم تتحمل هذه القبائل الضغط المالي المفروض عليها، وبذلك بدأت تتدهور علاقة الطرفين ببعضهما البعض، وقامت هذه القبائل مقابل ذلك بالثورة على السلطة التركية أو انضمت إلى بعض الثورات كثورة الدرقاوية وثورة ابن الأحرش.

المطلب الثالث: مساهمة قبائل الرعية فلاحيا:-

كانت معظم الأراضي الفلاحية الخصبة، في يد قبائل المخزن، والقبائل المتعاونة، وبعض الأسر القوية، أما نصيب قبائل الرعية فكان ضئيلاً جدا، بل هناك من لا يملك شبراً واحداً. وهذا ما جعل بعض القبائل تدخل في نظام الرعية، للاستفادة من قطعة أرض، مقابل تقديم خدمات للإدارة، ودفع الضرائب المقررة عليها.

وعلى ما يبدو أن عدد قبائل الرعية قد عرف ارتفاعاً مع مرور الوقت، وما يؤكد ذلك، المساحة الإجمالية التي كانت تستغلها، والتي قدرت بحوالي أربعة ملايين وأربع مائة وخمسة وعشرين ألف هكتار(4 425 000) [1].

ونظراً لهذه الخدمات المتنوعة والمساهمات العديدة التي فرضت على جماعات الرعية، فإنها أصبحت أساس القوى المنتجة بالريف، وركيزة الجهاز الإداري، بل أساس التنظيم الضريبي، حيث مارس موظفو البايلكومتولوالمشيخات الوراثية، نفوذهم وسلطتهم على قبائل الرعية[2].

وباعتبار الدور الإنتاجي الذي كانت تقوم به قبائل الرعية، إلاّ أن وضعها لم يكن قاراً، إذ أن بعض القبائل تم ترقيتها إلى مصاف قبائل المخزن في الوقت الذي حولت فيه قبائل مخزنية إلى

[1] Rinn(L)، loc، cit، p14.

[2] فلة القشاعي موساوي، المرجع السابق، ص130.

قبائل الرعية، ونذكر على سبيل المثال قبيلة مجاهر، التي كانت ضمن قبائل المخزن في بايلك الغرب، إلاّ أنها بعد أن ثارت ضد السلطة في عام 1223هـ/1808م، حولت إلى رعية، وبقيت تابعة للباي[1]، وعرفت قبائل الرعية في بايلك الغرب نفس الوضع، أمثال قبائل الحشم التي تم ترقيتها إلى قبائل المخزن، لمساندتها للباي محمد بوكبوس في حربه ضد ابن الشريف الدرقاوي، إلاّ أن الباي علي حولها لاحقاً إلى قبائل الرعية[2].

كانت وضعية هذه القبائل، تتحكم فيها درجة ولائها وحجم الخدمات التي كانت تقدمها كل قبيلة للإدارة. فقبائل الرعية مكلفة بتقديم مختلف الخدمات للسلطة التركية مهما كانت، فعلى سبيل المثال، قبيلة بني شقران، وهم خاضعون لآغا الزمالة، كلفوا بحراسة أمتعة المحلات العسكرية، عندما تجوب أرياف بايلك الغرب، كما كلفوا بالبريد وتوزيع المؤونة وتسخير البغال وتصليح البنادق وغيرها من الخدمات لفائدة السلطة التركية ومخزنه المحارب[3].

إن قبائل الرعية، سلطت عليها كل أنواع الضرائب والخدمات، فكانت محصورة بين مراقبة قبائل المخزن وتهديد فرق المحلة بهجمات مباغتة. لذلك عمل أفراد هذه القبائل في الأراضي الفلاحية، كخماسين. نظراً للوضع الذي كانوا يعيشون فيه. بل إن ظروف معيشتهم كانت صعبة، وتميزت بالحرمان والبؤس. لأنهم دائماً كانوا مسخرين لتلبية مطالب السلطة.

هذا العبء الثقيل الذي حظي به أفراد الرعية، جعل منهم الممول الرئيسي للخزينة.لأن معظم الضرائب التي هي مصدر دخل الخزينة كانت، تدفعها هذه الفئة. لذا نعتبر أن قبائل الرعية، لعبت دوراً بارزاً في الجانب الاقتصادي سواءً بالإنتاج الفلاحي، أو دفعها للضرائب.

عموماً كانت قبائل الرعية أضعف القبائل في المجتمع الريفي، نظراً للعقوبات المسلطة عليها والمهام المكلفة بها. فعلاقتها بالسلطة كانت تحددها الضرائب. التي جعلت منها الفئة الرئيسية

---

[1]Rinn(L)، loc. cit، p 100.

[2]Eterhazy(W)، op. cit، p 267.

[3]بلبروات بن عتو، المرجع السابق، ص256.

المساهمة في دخل الدولة. علماً أن هذه القبائل، كانت تستطيع تغيير وضعها بفضل خدماتها، لتصبح من قبائل المخزن لها ما لهذه القبائل من امتيازات. وتؤدي المهام المكلفة بها قبائل المخزن، وبذلك تتساوى معها في الحقوق والواجبات.

المبحث الثالث: القبائل الممتنعة عن السلطة (القبائل العاصية والمستقلة).

في هذا المبحث نحاول أن ندرس أهم المجموعات الممتنعة والعلاقة بين السلطة وهذه القبائل في مختلف جهات البلاد. وهي العلاقة التي اتسمت بالكر والفر والصراع الدائم.

لا توجد قبائل مستقلة بالمعنى الحقيقي، خاصة في القرن الثامن عشر، لأن السلطات التركية ظلت دائماً وطوال عهدها، تسعى جاهدة لفرض سيطرتها على القبائل والتجمعات القبلية في كامل تراب البلاد، وتحاول كسب الشيوخ والأسر المؤثرة، بشتى الطرق والوسائل حتى تدين لها البلاد بكاملها. إلاّ أن هناك استثناءات[1].

المطلب الأول: أهم المجموعات الممتنعة وأماكن تواجدها:

تسكن هذه القبائل جغرافياً بالمناطق الحصينة[2]، كالنواحي الجبلية والصحراوية أو الجهات النائية مثل مناطق الشمال القسنطيني وجهات جبال البابور والأوراس ونواحي الصحراء[3]، وقد كانت بعيدة عن طائلة المحلات التركية وفرسان المخزن، لذلك احتوت هذه المناطق مجموعة من القبائل الممتنعة والمستقلة وسميت بذلك كونها لا تدفع المطالب المخزنية بل وتهدد مصالح الحكومة التركية والمصالح الاقتصادية للبايلك وتحارب باقي القبائل المتحالفة أو الرعية[4].

بلغ مجموع القبائل الممتنعة حوالي 200 قبيلة، منها حوالي 23 قبيلة بدار السلطان، وحوالي 13 قبيلة بايلكالتيطري وحوالي 26 قبيلة بايلك وهران وحوالي 138 قبيلة بايلك قسنطينة[5].

---

[1] اسمهان لعريبي، المرجع السابق، ص172.

[2] أحمد بحري، المرجع السابق، ص82.

[3] فلة القشاعي المولودة موساوي، المرجع السابق، ص140.

[4] أحمد بحري، المرجع السابق، ص82.

[5] مؤيد محمود حمد المشهداني وسلوان رشيد رضا، المرجع السابق، ص428.

نذكر من بين القبائل والأعراش المستقلة بدار السلطان: عرش بني مسرة واتحاد أعراش عين جناد، وقد دخلت في سلم وتعاون تجاري مع السلطة التركية العثمانية سنة 1826م. إضافة إلى:

1-عرش ايزرفاون. أزفون حالياً.

2-عرش ايزوزن، ويضم ستة مداشر.

3-عرش آيت تيقرين، ويتكون من ثلاثة مداشر.

4-عرش ايدجرمن.

5-عرش آيت حسن ويضم ستة مداشر.

6-عرش آيت فليك ويضم عشرة مداشر.

7-عرش آيت بوشايب ويتكون من خمسة مداشر.

8-عرش آيت حليلي ويتكون من أحد عشرة دشرة.

9-عرش آيت فراوسن ويضم خمسة عشر دشرة.

10- اتحاد أعراش آيت ايراثن، وعدد الأعراش المتحدة خمسة أعراش، مجموع مداشرها، ثمانية وثلاثون دشرة.

11- اتحاد أعراش ايقاواون أو آيت بترونن، وهو اتحاد أربعة أعراش، مجموع مداشرها ثلاثة وعشرون دشرة.

12- اتحاد أعراش ايقاواون(آيتمنقلات)، ويضم أربعة أعراش مجموع مداشرها تسعة عشرة دشرة.

13- عرش ايليلتن ويتكون من عشرة مداشر.

14- عرش آيت يحي وعرش ايتورارامسوهال وعرش الولن أو مالو وعرش آيتزيكي واتحاد أعراش آيت ادجر واتحاد زتيما والذي يضم عشرة أعراش[1].

أمّا بايلك التيطري فأهم القبائل المستقلة فيه هي: أولاد ديرة ادريس، وهي في خدمة مشيخة أولاد سيدي عبد الله وديرة أداورة ببوسعادة حالياً وأولاد سيدي عيسى بقصر الخاري

[1] بلبروات بن عتو، المرجع السابق، ص265.

وقبيلة عزيز بقصر البخاري وسحاري العطايعية بالجلفة حالياً، وهي اتحاد سبعة قبائل منها قبيلة أولاد نايل، بالجلفة وبوسعادة حالياً وهي اتحاد أربعة أعراش وقبيلة بني الأغواط والتي تتحد فيها ثلاثة أعراش(الأحلاف، سرغين والمخاليف)، واتحاد قبائل الأربعاء واتحاد قبائل ميزاب واتحاد قبائل الشعانبة بمتليلي وورقلة والقليعة. وقبيلة سعيد خلفة بورقلة والتي تضم سبعة جموع وقبيلة يفوسه أوسعيد عنبة بوادي ريغ[1].

ومن القبائل المستعصية ببايلك الشرق نذكر قبائل الشاوية منها قبيلة النمامشة التي يصفها طوماسشو في العشرينيات من القرن18م، بالقبيلة القوية والكثيرة العدد، يفصل وادي الحميس بين موطنها وموطن قبائل الحنانشة الذين يقعون شمالها، وهي أكثر مشاغبة وخشونة من الحنانشة. ويتواجد النمامشة في المنطقة الواقعة بين تبسة وواد سوف.

ومن القبائل الممتنعة بالقبائل الصغرى، أهالي ساحل بجاية والبابور[2]، وقبائل ساحل جيجل، وقبائل ايدوغ، إضافة إلى إمارة بني جلاّب بوادي ريغ ومشيخة الحنانشة بالأوراس وبيت بوعكاز: وهم أجواد الذواودة وأولاد ساولة ويقود هذا الاتحاد عائلة بوعكاز بن علي[3].

كذلك من قبائل هوارة ومغراوة المستقلة ببايلك الغرب: قبيلة بني وراغ ومكناسة بعمي موسى، وأولاد يعقوب الزرارا بآفلو، والحساسنة بمنطقة سعيدة، والأنجاد بالعريشة في ضواحي تلمسان، ومجموعة حميان الشرابة بالمشرية وعين الصفراء، وأولاد منصور في المنطقة الممتدة مابين فيجيج وعسلة على الحدود المغربية الجزائرية الجنوبية، وكذا أشراف أولاد مولاي عبد المالك، وزاوية عين ماضي التي كانت تسيطر على حوالي خمسة قصور، كما كان لديها نفوذ على سكان مناطق تيماسين، وهناك أيضا قبائل بني سناسن الصنهاجية بلالا مغنية، إضافة إلى مجموعة مقرارة وبني

[1] بلبروات بن عتو، المرجع السابق، ص- ص266- 267.

[2] اسمهان لعربي، المرجع السابق، ص- ص152- 153.

[3] بلبروات بن عتو، المرجع السابق، ص267.

درجين بتنس وضواحيها، وكذلك مجموعة عريب وزكار ومطماطة بثنية الحد بضواحي الشلف، وأهل شرين، وأولاد هلال المتمركزين في المنطقة الممتدة ما بين بوغار والونشريس[1].

كانت القبائل المستقلة أكثر عدداً خاصة في بايلك قسنطينة ويرجع سبب ذلك إلى الموقع الجغرافي ذا الطابع الجبلي، حيث مناطق الأوراس والقبائل الصغرى وصعوبة الوصول إلى معظم مناطق البايلك، هذا ساعد معظم القبائل، على أن تشق عصا الطاعة وترفض دفع الضرائب. كما يظهر جلياً من خلال ما طرح أن بايلك التيطري احتوى على أقل عدد من القبائل المستعصية والحليفة. والسبب يرجع لكون البايلك من أصغر البايلكات وأفقرها، بالإضافة إلى قربه من دار السلطان مركز السلطة التركية للدولة. وسهولة السيطرة عليه.

المطلب الثاني: علاقة القبائل الممتنعة بالسلطة:-

كانت بعض القبائل الجبلية والصحراوية تمتنع عن دفع الضرائب، وقد ساعدها على ذلك موقعها الجغرافي وتضاريسها. وكذا بعدها عن مركز الإدارة. وكان رفضها هذا، راجع إلى طبيعة نشاطها الاقتصادي، إذ تعتبر أراضيها من أفقر الأراضي. مما جعل مردودها الزراعي ضعيفاً، فكان نشاط سكان تلك القبائل مقصوراً على قليل من الزراعة، وتربية المواشي، والتجارة. وهذا ما جعل اقتصادها مقتصراً على تلبية احتياجاتها اليومية.

انتهجت الإدارة سياسة خاصة مع هذه القبائل. فلم تفرض عليها الضرائب بنفس المقدار الذي كانت تفرضه في المناطق السهلية الخاضعة لها، بل حاولت أن تجعل هذه القبائل الممتنعة، قبائل مخزنية تقوم بخدمتها. أو تجبرها على الأقل على دفع ضريبة رمزية، لتأكيد ولائها وتبعيتها للسلطة[2].

[1] العيد فارس، المرجع السابق، ص291.

[2] J. N. Robin، op. cit، p18.

لقد سمحت الإدارة لتلك القبائل بأن تعين قضاتها، وتمارس العدالة كيفما تشاء. إلاّ أنه كان يجب عليها الحفاظ على السلم ودفع الضرائب المفروضة عليها بانتظام. وإذا التزمت بالشروط المذكورة، فإن السلطة لاتزعجها. فقد كانت كل قبيلة تمثل إمارة صغيرة يتولى شيخها رئاستها[1].

وإذا رفضت إحدى القبائل الالتزام بالشروط أو أخلت بها، فإن سلطة البايلك تشن حملات عسكرية عليها، فتقوم الإدارة بمصادرة ثرواتها وتشريد أفرادها، وسجن وقتل زعمائها، مثل قبائل الحشم ببايلك الغرب. وقبيلة مجاهر التي ثارت ضد السلطة سنة 1808م.

هكذا كانت طبيعة العلاقة بين هذه القبائل والإدارة، طوال قرون. وقد وصلت حالة التوتر في العلاقات إلى ذروتها في أواخر القرن 12هـ/18م، ومطلع القرن 13هـ/19م، لأن عدد كبير من القبائل امتنع عن دفع الضرائب. بسبب تدهور الأوضاع الاقتصادية لهذه القبائل، من جراء عوامل طبيعية وبشرية. فلم تكن قادرة على دفع الضرائب. فعملت الإدارة على استعمال العنف لجباية الضرائب، وذلك بالقمع والمصادرة والتشريد[2].

ومن أبرز الأمثلة عن ذلك، ما حصل لقبائل ريغة البربرية في عهد الداي عمر(1815م-1817م). فقد كانت هذه القبائل الواقعة بضواحي مليانة، في حالة حرب ضد الإدارة لرفضها دفع الضرائب، شأنها شأن كل القبائل المجاورة لها، مثل بني فراح، وشناوه، وسوماطية، وجندل، ومطماطة، والعطاف[3].

أمّا في بايلك الشرق: كانت علاقة الإدارة بالأهالي أكثر تعقيداً، نظراً إلى التركيبة البشرية التي كان يتشكل منها البايلك. فإلى جانب بعض الأسر القوية، أمثال أولاد أمقران، وبوعكاز،

---

[1]Shaw Tomas (1694-1751)، Voyages dans plusieurs provinces de la Barbarie et du levant، Contenant de observation géographiques، physiques، philologiques، …sur les royaumes d'Alger et de Tunis، sur la Syrie، l'Egypt et l'Arabie pétrée، …traduits de l'Anglais، la HATe، 1743، T1، p147.

[2]J. N. Robin، op، cit، p18.

[3]أرزقيشويتام، المجتمع الجزائري...، المرجع السابق، ص195.

وبن قانة، وبن عاشور، وبن حبيلس، وبن جلاب، هناك قبائل ذات نفوذ واسع، أمثال الحراكتةوالنمامشة، والحنانشة، والقبائل الجبلية الأوراسية، والبيبان والبابور[1].

حيث كان سكان الأرياف أميل إلى الامتناع عن دفع الضرائب أو التسليم بسلطة البايلك. وهذا ما أدى إلى العديد من حركات التمرد والعصيان. ودفع البايلك في بعض الأحيان إلى تجريد الحملات وشن الغارات المفاجئة لا سيما عندما تصبح طرق المواصلات مقطوعة وأماكن استقرار قبائل المخزن مهددة. وقد أدت هذه العلاقة المؤثرة، إلى كره عميق من طرف السكان لسلطة البايلك، ودفع العديد من شيوخ هذه القبائل الممتنعة إلى النفور وعدم التعاون مع ممثلي السلطة المركزية بقسنطينة رداً على الطرق التعسفية والوسائل الحربية التي تعرضوا لها من طرف فرق المحلة[2].

وقد ساهمت تضاريس البايلك الذي يغلب عليه الطابع الجبلي في الشمال، والصحراوي في الجنوب. وكذا شساعة مساحته إلى حدٍّ كبير في تعقيد الأوضاع. إضافة إلى عاملٍ آخر، لا يقل أهمية عن سابقيه، كان له الأثر البالغ، وهو حركة القبائل المتمركزة في الحدود بين بايلك قسنطينة وأيالة تونس، هروباً من الضرائب، مما كان يوتر العلاقات بين البلدين، ويؤدي إلى عدم الاستقرار الداخلي فيها. وقد كان بايات الشرق الجزائري يقودون أو يشاركون في الحملات الجزائرية مع أيالة تونس[3].

وقد ساهمت كل هذه العوامل في عدم تمكن السلطة من إخضاع قبائل المنطقة لسلطتها، وهذا منذ بداية الوجود التركي في البايلك. وتذكر المصادر أن سكان قسنطينة قد ثاروا ضد العثمانيين في عام 975هـ/1567م. إلاّ أن محمد بن صالح رايس، حاكم الجزائر آنذاك، تمكن من قمع تلك الحركة.

---

[1] المرجع نفسه، ص196.

[2] فلة القشاعي موساوي، المرجع السابق، ص 141.

[3] مبارك الحاج أحمد، تاريخ حاضرة قسنطينة، تصحيح وتعليق: نور الدين عبد القادر، المدرسة العلمية للدراسات العلمية، الجزائر، 1952، ص20.

ومن العوامل أيضاً والتي صعبت من مهام السلطة في بايلك قسنطينة، منافسة بعض الأسر القوية لها، حول تقاسم السلطة على قبائل المنطقة. فلم يكن في وسع السلطة ضمان مداخيل الضرائب، إلا عن طريق شن حملات عسكرية ضد القبائل الممتنعة، فكان ذلك يجعلها في حالة حرب دائمة معها، وضد القوى المحلية، التي كانت تتمتع بنفوذ على تلك القبائل[1].

لذلك اضطر البايلك، للحد من عداء هذه القبائل إلى التعامل مباشرة مع بعض الشيوخ والمرابطين والعائلات المتنفذة بها واعتبارهم بمثابة الوسيط بينه وبين هؤلاء السكان الممتنعين، وقد مكنتهم هذه المكانة من الحد من عداوة السكان والمحافظة في بعض الأحيان على نفوذ شكلي غير مباشر للبايلك.

وقد أشار بعض الكتاب إلى ذلك بالقول أن نفوذ السلطة لم يكن يتعدى مساحة صغيرة من البايلك، وينطبق ذلك على كل البلاد الجزائرية، حيث قدرت مساحة المناطق الممتنعة، بما لا يقل عن 000 000 35 هكتار[2]. وهي تشكل حوالي خمسة أسداس(6/5) الجزائر الشمالية التي يتشكل منها البايلكات الثلاث: قسنطينة والتيطري ووهران[3].

هذا ومن أهم هذه القبائل الممتنعة أو المستقلة عن الحكم التركي، نذكر على سبيل المثال قبائل فرجيوةوزواغة البربرية التي كانت ترفض دفع ضريبة الغرامة[4].

فعمد الحكام أثناء جمعهم للضرائب، إلى الاستعانة ببعض الأسر القوية في المنطقة، أمثال أولاد أورابح وأولاد سي الشريف أمزيان، وأولاد مقران. كما كانوا يستميلون شيوخ تلك القبائل مقابل بعض الهدايا والامتيازات، أو بربطهم لعلاقات المصاهرة معهم[5].

---

[1] أرزقيشويتام، المجتمع الجزائري...، المرجع السابق، ص197.

[2] L. Rinn، " le Royaume d'Alger sous le dernier Dey"، R.A، N°41، 1897، p 125.

[3] فلة القشاعي موساوي، المرجع السابق، ص142.

[4] للإطلاع أكثر ينظر: حياة بودويرة، المرجع السابق، ص-ص 35-43.

[5] أرزقيشويتام، المجتمع الجزائري...، المرجع السابق، ص197.

اعتمد الحكام على سياسة الصفوف، المتمثلة في مساندة طرف ضد طرف آخر. ومن الأمثلة على ذلك قبيلة الحراكتة في ضواحي عين البيضاء، التي كانت تتمتع بثروة كبيرة، ونفوذ واسع في المنطقة، فكان بوسعها تعبئة ألف وخمسمائة فارس. وكانت أراضيها تمتد إلى غاية سفح جبل الأوراس، حيث تقيم قبائل عمامرة. وكانت في حالة حرب دائمة ضد قبائل النمامشة حول استغلال المراعي. وقد أدركت السلطة منذ بداية وجودها في قسنطينة، مكانة الحراكتة ودورهم، فقام الباي باستمالة شيخهم ابن معطي الله، إلى صفه، بعد أن أغراه بالهدايا، وبرنوس التقليد. وهذا ما دفع بالحراكتة إلى قتل شيخهم، وعينوا مكانه شيخ أولاد عمارة. لكن بعد ذلك أصبحت قبيلة الحراكتة ضمن قبائل المخزن[1].

حملات البايلك على القبائل الممتنعة:

هذا وقد لجأت السلطة، عند فشل مثل هذه الأساليب، إلى استعمال القوة العسكرية للحد من تحرك وعداء القبائل الممتنعة. وقد اشتهر أغلب البايات بشن العديد من الحملات لإرغام القبائل المستقلة أو الممتنعة عن دفع الضرائب والاعتراف بسلطة البايلك[2]. وقد اعتمدت هذه الحملات على قبائل المخزن التي تدعم الفرقة التركية، التي لا يتجاوز عدد أفرادها في أغلب الأحيان 270 جندياً، بأعداد وفيرة من الفرسان، وقد أدى ذلك إلى تكوين قوة ضاربة يتراوح عدد رجالها بين 500 و1000 رجل على رأسهم الباي والآغا. وتعتبر هذه الحملات أداة فعالة لتنفيذ عمليات المصادرة واكتساب الغنائم التي ينال فيها كل مشارك نصيباً محدود منها، فلقائد المحلة أو الباي ثلثا الغنائم ولفرسان المخزن الثلث الباقي فضلاً على التشجيعات التي يتلقونها مقابل النتائج المتحصل عليها[3].

[1]Feraud(ch)، "Ain Beida، province de constantine"، in R.A، N°16، Alger 1872، p 410.

[2]فلة القشاعي موساوي، المرجع السابق، ص143.

[3]جهيدة بوعزيز، المرجع السابق، ص50.

ولعل من أشهر حملات تأديب قبائل المخزن

حملات صالح باي أثناء ولايته للبايلك بين (1771م- 1792م)، وكما ذكر صاحب مخطوط أخبار بلد قسنطينة وحكامها، أنه كان رجلاً عاقلاً، عارفاً بالسياسة وأمور السلطنة، لأنه من الأقدمين في وجق الجزائر[1].

وحدث في عهده أن سير عدة حملات لإخضاع القبائل الصحراوية بنواحي وادي ريغ خاصة سنة 1788م. وحملته على بني عباس(1772م) بنواحي البيبان وجهات القرقور ووادي الحمام. وكذلك نظم غارات مفاجئة على جهات الحضنة للإيقاع بأولاد نائل(1771م)، وبسط نفوذه على المسيلة وبوسعادة.

كما عرفت مناطق ورقلة هي الأخرى حملة شنها صالح باي في آخر عهده سنة 1791م. وقد تمكنت أثنائها المحلة من الاستحواذ على غنائم معتبرة. وقبل أن يعود صالح باي إلى مقره بقسنطينة بعدما كلف الباشسيار، الحاج مسعود بن زكري، بالاتصال بسكان الصحراء لإعطائهم الأمان وإقرار حالة السلم بالمنطقة[2].

تمكن صالح باي من إخضاع الكثير من القبائل إلى سلطته، سواءً بشن الحملات أو عن طريق المصاهرة. وشهد عهده رخاءً كبيراً. إضافة إلى الهدوء والأمان. ووصل أثناء حكمه إلى توقرت، حيث يؤكد هذه الحقيقة العنتري[3]، فيقول: "صالح باي ثاني باي وصل إلى توقرت، بعد صالح رايس في عام 960هـ/1552م، والذي مكث بها سبعين يوماً، بعد أن أخضع قبائل المنطقة لطاعته.

---

[1] رياض بولحبال، أخبار بلد قسنطينة وحكامها لمؤلف مجهول(دراسة وتحقيق)، رسالة ماجستير في الدراسات العليا، إشراف.أ.د. إسماعيل سامعي، جامعة منتوري قسنطينة، 2009م-2010م، ص41.

[2] فلة القشاعي موساوي، المرجع السابق، ص144.

[3] محمد الصالح بن العنتري، فريدة مؤنسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، مراجعة وتقديم وتعليق: يحي بوعزيز، د. م. ج، (د.ت)، ص62.

لقد عرف بايلك قسنطينة في عهد صالح باي نمواً اقتصادياً معتبراً، بفضل تشجيعه للتجارة الداخلية والخارجية. كذلك قام بتنظيم الضرائب فانعكس هذا بالإيجاب على وضع السكان الاقتصادي والاجتماعي، وكان عاملاً شجع السكان على الالتزام بدفع ما عليهم من الضرائب المستحقة. وقد ترتب على هذا الوضع، استتباب الأمن والاستقرار. وما يؤكد هذا، هو أنه بعد مقتل صالح باي، تأزمت العلاقات من جديد بين القبائل الممتنعة والسلطة. وهناك من لاحظ أنه بعد موت الداي محمد بن عثمان(1766م-1791م)، وصالح باي، تغير سلوك الأتراك، فصاروا يرتكبون مخالفات وتجاوزات ضد الأهالي[1].

ومن الحملات أيضاً حملات الباي مصطفى بن سليمان الوزناجي التي أضرت بقبائل منطقة القالة وزردازة سنة 1794م الذين فقدوا قطعانهم، وقبائل زمورة والحراكتة الذين تمكنت المحلة من الاستيلاء على مواشيهم سنة 1797م، وأضرت غاراته المفاجئة بقبائل الأوراس الأخرى خاصة بأولاد سعيد وأولاد موسى والأعشاش، إلاّ أن قبائل أولاد بوعون تمكنت من إلحاق الهزيمة بهذا الباي المستبد. بعد أن تحصنت بجبل مستاوة[2] بمنطقة بلزمة وتصدت لهجماته المتكررة.

لقد سلك البايات الذين جاؤواْ بعد مصطفى الوزناجي، نفس السياسة. فسير انجليز باي حملة ضد أولاد علي بن يحي والحنانشة بقيادة قائد الزمول، سي عمر بن شريف سنة 1797م، حيث قتلوا أثناء هذه الحملة قائد الحنانشة.

كذلك قام عثمان باي بحملات ضد، النمامشة، وضد سكان الشمال القسنطيني الذين تزعمهم ضد البايلك الشريف بن الأحرش الذي هاجم قسنطينة وتمكن من القضاء على الباي ومحلته بنواحي ميلة سنة 1804م[3].

---

[1] المصدر نفسه، ص68.

[2] مستاوة قرية في رأس جبل عالٍ، لم يكن له مسلكاً سوى طريقان، طريق ناحية القبلة، والأخرى من ناحية الظهرة، وسكان تلك القرية والجبل عرشاً كبيرا، يقال لهم أولاد بوعون، وأصلهم شاوي، ولغتهم الأمازيغية. ينظر: رياض بولحبال، المرجع السابق، ص60.

[3] فلة القشاعي موساوي، المرجع السابق، ص145.

أمّا الباي محمد شاكر(1814م- 1818م)، فقام بمائة غارة في ظرف أربع سنوات، شملت أغلب جهات بايلك قسنطينة. وتعرض السكان أثناء ولايته لكل أنواع التعذيب، من المصادرة والتقتيل والتشريد. وهذا ما أكده العنتري، بقوله[1]: "أنه رجل صاحب بطش، غالِبٌ عليه صلابة العجم، فيسفك الدماء في الحق والباطل، ويأخذ أرزاق الناس بالغزو، ولا يبالي بمن هو طائع أو عاصي. وفي زمانه اشتهر الترك بالظلم والجور.

لقد توالت الحملات ضد القبائل الممتنعة طوال الفترة الأخيرة من الحكم التركي. ففي عام 1822م، قام الباي إبراهيم الكريتلي بحملتين ضد القبيلتين الثائرتين، النمامشةوالعمامرة[2]. فغنم من النمامشة 000 60 رأس غنم. أما العمامرة وبني وجانه بالأوراس فكبدوا الحملة خسائر جسيمة مما اضطرها إلى الانسحاب[3].

واستمرت الحملات كعادتها في عهد أحمد باي المملوك ومحمد باي الميلي وإبراهيم باي الغربي ومحمد منماني إلى عهد آخر بايات قسنطينة، الحاج أحمد باي، الذي استهدفت حملاته في أغلبها استرجاع النظام وإعادة الهدوء إلى ربوع البايلك[4]. ومن هذه الحملات نذكر على سبيل المثال، مهاجمة قبائل العمامرة وأولاد مسعود وأولاد يحي بن طالب سنة 1827م، وهجومه على قبيلة الحراكتة وقبائل الشاوية بسطيف، وزمورة، المسيلة، وأولاد عبد النور وأولاد سعيد.

[1] العنتري، المصدر السابق، ص81.

[2] أرزقيشويتام، المجتمع الجزائري...، المرجع السابق، ص200.

[3] فلة القشاعي موساوي، المرجع السابق، ص146

[4] فلة القشاعي موساوي، المرجع السابق، ص148.

والجدول التالي يبين الحملات التي شنها البايات بداية من عهد صالح باي إلى نهاية الفترة التركية[1].

فترات البايات	أحمد القلي (1756-1771م)	صالح باي (1771-1792م)	شاكر باي (1814-1818م)	أحمد المملوك باي (1812م/1822-1824م)	الحاج أحمد باي (1826-1837م)
عدد الحملات	04	30	100	11	19

أهم الحملات المسلطة على القبائل الممتنعة

من خلال الجدول يتضح أن عدد الحملات في عهد أحمد باي القلي كان قليلاً. وذلك يبين أن هذه الحملات كان هدفها حفظ النظام وتأديب القبائل العاصية. كحملة أحمد القلي على جبل فليسة وبني عباس الذين قطعوا طريق الجزائر وسلبوا كل من مَرّ بهم من الأتراك وقتلوه.

وعلى العكس من ذلك فقد ارتفعت الحملات بشكل كبير، وذلك ابتداءً من فترة صالح باي. بل وتفاقم الوضع أكثر بعد وفاته نظراً للنفوذ الذي كان يتمتع به. والملفت للانتباه أن شاكر باي سير 100 حملة في فترة 04 سنوات، فلم يكن يتمتع بنفوذ واسع مثل صالح باي. وشهدت فترته تعسف واضطراب كبير، نظراً للحملات التي كان يسيرها وانتهى به الأمر بقتله وفشل معظم حملاته. لأن تسييره لهذا الكم الهائل من الحملات في فترة وجيزة تسبب له في عداء الريفيين وكرههم له. في حين أن حملات الحاج أحمد باي كانت معظمها ناجحة، وذلك لأن الفترة التي سبقت حكمه شهدت اضطرابات كثيرة. وهذه الحملات أعادت الهدوء نسبياً للبايلك. واستطاع أحمد باي بفضل سياسته أن يستمر في الحكم حتى سنة 1837م.

[1] جهيدة بوعزيز، المرجع السابق، ص- ص 95-97.

بهذه الأمثلة نكون قد تعرضنا إلى أهم الحملات التي جَرَّدها البايات، لإخضاع القبائل الممتنعة، وإجبارهم على دفع الضرائب المفروضة عليهم.

أمَّا بايلك التيطري: فقد سلكت فيه السلطة نفس السياسة مع قبائل المنطقة. ويعود عدم استقرار وضع قبائل البايلك، التي يغلب عليها الطابع البدوي، من العوامل الرئيسية التي أعاقت مهام الإدارة في البايلك، ولا سيما الجزء الجنوبي منه. فقد لجأت الإدارة منذ بداية عهدها إلى استعمال العنف لإرغام قبائل أولاد نايل، الكثيرة العدد، على دفع الضرائب، مما كان يكلفها خسائر مادية وبشرية معتبرة. ففي إحدى حملاتها ضد أولاد سيدي أحمد في عام 1177هـ/1763م، راح ضحيتها الباي عثمان نفسه. وكانت لهذه الواقعة آثار عميقة في نفسية خلفاء الباي المقتول. فلم يعودوا يشنون حملات ضد أولاد نايل لمدة طويلة[1].

استمر الوضع على حاله، إلى أن تولى الباي مصطفى الوزناجي 1772م- 1794م، قيادة بايلك التيطري، فقام بتنظيم فرق الزمول والعبيد والدوايرة وأعاد تنظيم البايلك، كما نقل مخزنه من مدينة المدية إلى البرواقية، لموقعها الاستراتيجي. فكانت مركز انطلاق الحملات العسكرية التي قام بها الباي باتجاه الجنوب. ودعم صفوفه بالقبائل المتنفذة في المنطقة بعدما منحهم بعض العطاءات. كما تمكن من إخضاع بعض قبائل أولاد نايل لطاعته[2].

إن الظروف أجبرت بعض القبائل، على الاستقرار في أراضي خصبة ومواقع إستراتيجية مقابل دفع ما عليها من الضرائب والغرامات. ونذكر على سبيل المثال قبيلة أولاد سيدي محمد بن عبد الرحمان بن سالم، التي بقيت في أراضيها الواقعة في سهل زراز الصحراوي، رغم أطماع قبائل بوغارالمخزنية. ففضلت دفع الضرائب واستغلال أراضيها. علماً أنها كانت تدفع ضريبة على كل رأس من أفرادها، إضافة إلى غرامة قدرها رأس واحد من الغنم، وكيلة من السمن على كل خيمة.[3]

---

[1] أرزقيشويتام، المجتمع الجزائري...، المرجع السابق، ص202.

[2] H. Federmann et Aucapitaine، " Notes sur l'histoire et l'administration du Beylek du Titteri "، in R.A، N° 9، Alger 1865، p 287.

[3] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص203.

وبقي أولاد سيدي محمد يدفعون ما عليهم، إلى أن شعروا بقوتهم، فاستأنفوا الحروب ضد السلطة. مما اضطر البايات إلى الاستعانة ببعض قبائل التيطري أمثال أولاد مختار، لمواجهة الموقف. ومع مرور الوقت، قامت الإدارة بتحويل بعض القبائل الممتنعة إلى قبائل مخزنية، أمثال أولاد سيدي أحمد، وأولاد رويني، وأولاد ضياء وأولاد أم هاني، وأولاد سيدي محمد. وتم إعفاء هذه القبائل من دفع الضرائب[1].

كذلك من أهم الحملات التي عرفتها مقاطعة التيطري في السنوات التي سبقت الاحتلال الفرنسي، الحملة التي قام بها الباي بومزراق ضد قبائل الأرباع سنة 1825م، والتي كانت نتيجتها حجز 120 من أعيان الأرباع ومصادرة 1070 جمل وهي قوام حياتهم، بيعت في مكانها لرجال المخزن[2]، وكذلك الحملة التي شنها نفس الباي على قبيلة أولاد مختار الشراقة(1826م) والتي غنم فيها 500 جمل و4000 خروف، وذلك حسب ما جاء به، كل من فدرمان (Fédermann) وأوكابيتان (Aucapitaine)[3].

كما قام الباي بومزراق بمصاهرة بعض العائلات المتنفذة مثل أسرة ابن شهرة الواسعة النفوذ. لكن هذه السياسة لم تأتي بالنجاح المأمول منها. وعانت السلطة التركية من قبائل عريب، مما اضطر الداي إلى الاستعانة بباي الغرب محمد بوكابوس، لإخماد حركاتهم ضد السلطة، فشن حملة ضدهم، واستولى على غنائم كثيرة منهم. وتعرض أفرادها للقتل وأعدم شيخها. إلاَّ أنه فيما بعد أعيد لها الاعتبار، وقسمت منطقة وادي معمورة بينها وبين العذاورة. ومنح لها حق ملكية أراضي العذاورة التي كانت تقطنها[4].

[1] أرزقيشويتام، المجتمع الجزائري...، المرجع السابق، ص203.

[2] ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية...، المرجع السابق، ص360.

[3] Fédermann et Aucapitaine، op. cit، p301.

[4] أرزقيشويتام، المجتمع الجزائري...، المرجع السابق، ص- ص205-206.

اتبعت السلطة التركية في بايلكالتيطري نفس السياسة التي اتبعتها في البياليك الأخرى، من شن الحملات، والمصاهرة وتشجيع سياسة الصف لإخضاع القبائل الممتنعة وإجبارها على دفع الضرائب المفروضة عليها.

أما بايلك الغرب: فإن الوضع كان أكثر تعقيداً، إذ عانت الإدارة التركية، منذ بداية وجودها في المنطقة، من موقف بعض القبائل المعادي لها. وقد تعود أسباب فشل السلطة في فرض سيطرتها في بايلك الغرب، إلى كثرة المنافسين لها، المتمثلين في الزيانيين في تلمسان وضواحيها، والإسبان في وهران، وتأثير سلاطين المغرب الأقصى في المنطقة الغربية، الذين كانوا يحرضون سكان المناطق الحدودية الغربية ضد الأتراك. كما كانوا يتبادلون الحملات العسكرية مع الحكام الجزائريين. وقد شجعت كل هذه العوامل بعض قبائل الغرب الجزائري، على عدم الخضوع للإدارة العثمانية[1].

ويعود أول تدخل للأتراك في بايلك الغرب، إلى عهد عروج، الذي اتبع سياسة شديدة ضد قادة حركات المقاومة، الذين ألبوا الأهالي على الثورة. فقام عروج بإعدام أبي حمو الزياني والشيخ سالم التومي، وكذلك أمير تنس الذين كان كل منهم يتولى تحريض الأهالي على مقاومة الغزو التركي. واتبع أخوه خير الدين نفس السياسة إزاء مؤججي الثورات وزعمائها. ومن ذلك ما فعله مع السلطان الزياني مولاي عبد الله الذي قام بتحريض الإسبان ضد الأتراك. فما كان من خير الدين إلاّ أن قام بالتوجه إليه وتمكن من الانتصار عليه في ساحة الحرب. ففر الأمير إلى تلمسان حيث قام خير الدين بتعقبه إلى مشارفها[2].

وهكذا أجبر خير الدين الأمير مولاي عبد الله على الاعتراف بسيادة الأتراك على مملكته، ودفع ضريبة سنوية. إلاّ أن هذا الاعتراف، كان ظرفياً إذ سرعان ما توترت العلاقات من جديد بين الطرفين، بسبب تدخل الإسبان في شؤون تلمسان ومساندتهم لأمراء بني زيان[3]. ولم تدخل

[1] أرزقيشويتام، المرجع السابق، ص206.
[2] محمد دراج، المرجع السابق، ص383.
[3] أرزقيشويتام، المرجع السابق، ص207.

تلمسان تحت الإدارة التركية بشكل رسمي إلاّ في عهد حسن بن خير الدين، الذي قرر في عام 1551م، أن ينهي الحكم الزياني ويضم تلمسان إلى حكومته، ويعين فيها قيادة تركية مدعمة بحامية عسكرية[1]. وأقام الأتراك مراكز لهم في مستغانم ومازونة وتنس، لتدعيم وجودهم في تلمسان. إلاّ أن هذا كله لم يضع حداً للحركات المناوئة في بايلك الغرب ضد العثمانيين. فقد ظهرت الحركات الأولى في جبال مجاجة، التي قادها محمد بن علي. واستطاع العثمانيون إخمادها. وقيل أن الباي أعدم قائدها بعدما طاف به في كل أرجاء القبائل المساندة له. وظهرت بعد ذلك حركات تمرد أخرى، منها تلك التي قامت بها قبائل الأنجاد، القاطنة في الجبال الحدودية مع المغرب الأقصى[2].

لقد كانت هناك أسباب صعَّبت تثبيت الغزو التركي في بايلك الغرب، وإخضاع القبائل المتواجدة فيه للسلطة الحاكمة في الجزائر، وهي الوجود الإسباني في المنطقة، الذي كان يدعم القبائل ويشجعها على الاستقلال، ومن أهمها قبائل كريشتل، شافع، غمرة، حميان، قيزة، أولاد عبد الله، أولاد علي والونازرة. وقد وجد الإسبان لدى تلك القبائل الدعم الضروري، الذي ساعدهم على تعزيز وجودهم في وهران وضواحيها. فكانوا يجندون منها الرجال، ويتزودون بالمؤن والأخبار. وأورد في ذلك عبد القادر المشرفي، عن قبائل كريشتلبأنهم"كان شأنهم من الإسبانيين جلب الأخبار لهم، وتغطيس الناس، فهم المغاطيس، ويقال لهم المغطسون...وكانت لهم زواريق يسافرون فيها من مدشرهم لوهران إذا اشتد عليهم الأمر وسدت عليهم الطرق البرية يحملون فيها للإسبانيين سائر الخضر ونحوها وكان الإسبانيون لا ينقطعون عنهم في البحر لأخذ ما يفتقرون إليه من عندهم وكان من الكريشتليين بعض الأعين للنواحي الشرقية والقبلية..."[3].

---

[1] Rufe(p): Domination Espagnole à Oran sous le gouvernement du comte d'Alcaudete، 1534- 1558، éd. Mimouni Alger S.D، P131.

[2] Esterhazy(W)، op. cit، p167.

[3] عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص- ص 07-08.

عمل الأتراك عبر المراحل المختلفة، التقليل من التأثير الإسباني على قبائل بايلك الغرب. فلهذا قام الداي شعبان في عام 1098هـ/ 1686م، بفرض حصار على مدينة وهران، إلاّ أن الإسبان المتحالفين مع بني عامر، توصلوا إلى إبعاد المحاصرين، بعد مقتل الداي شعبان[1]، حيث تعد قبيلة بني عامر من القبائل المهمة التي كانت متحالفة مع الإسبان، ودعمت وجودهم بتلمسان وأمدتهم بكل ما يحتاجون من دعم مادي ومعنوي. وأهم قبائلها: شافع، بنو يعقوب وبنو حميد[2].

أمّا في عهد الداي محمد بكداش باشا(1119هـ/1708م)، فقد تولى مصطفى بن يوسف بوشلاغم المسراتي، بايلك الغرب، وقام بمحاولات لتحرير وهران، وتحقيق ما فشل فيه غيره من الدايات والبايات، وساعده "محمد بكداش" لاسترجاعها من الإسبان. وأثناء الحرب، تخلى بنو عامر عن الإسبان، وانضموا إلى صفوف الباي[3]. فتم تحرير وهران[4] في عام 1120هـ/ 1708م. وبعد ذلك أبعد الباي بني عامر إلى منطقة تسالة الواقعة في الناحية الجنوبية من وهران[5].

إن قبائل بني عامر كنموذج تعطينا فكرة على أن القبائل في بايلك الغرب، لم تكن تكتفي بتحالف واحد. وإنما تتخلى عن حليفها حسب مصلحتها. وذلك ما فعلته مع الإسبان، أثناء استيلاء الأتراك على وهران إبّان الفتح الأول سنة 1708م.

وهذا الوضع صعب مهمة الأتراك في هذا البايلك، لأنهم بمجرد إخضاعهم للقبائل الممتنعة عن السلطة وإجبارها على دفع الضرائب. تعود إلى سابق عهدها، خاصة إذا شعرت بضعف سلطة الأتراك، فإنها تتمرد وتعلن العصيان والثورة.

---

[1] أرزقيشويتام، المجتمع الجزائري...، المرجع السابق، ص- ص209-210.

[2] للمزيد من التفاصيل عن قبائل بني عامر وبطونها، أنظر: عبد القادر المشرفي، المصدر السابق.

[3] Esterhazy(W)، op. cit، p172.

[4] يسمى هذا التحرير، بتحرير وهران الأول. لأن الإسبان يعودون إليها سنة 1732م ويحتلونها. للمزيد من التفاصيل ينظر: محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم، ش.و. ن. ت، الجزائر، 1981.

[5] Esterhazy(W)، op. cit، p172.

وبقي الوضع على حاله، إلى أن تولى الحكم الباي محمد بن عثمان، في عهد الداي بابا حسان باشا 1206هـ/1792م، حيث تم تحرير وهران بشكل نهائي ودخلها الباي بن عثمان في22 فيفري 1792م. وبذلك فرضت الإدارة وجودها في بايلك الغرب، وقام الباي بإخضاع قبائل الحشم لإدارته، وحولها إلى قبائل مخزنية. وأرغم قبائل فليته والأحرار، وحميان، والسويد، وعمور، وجبل راشد على دفع الضرائب المفروضة عليها. ووصل نفوذ الباي إلى الأغواط، إذ شن عليها حملة عام 1191هـ/1781م، وأجبر سكانها على الاعتراف بسلطته عليهم، ودفع الضرائب[1].

كما سعت سلطة البايلك للحد من سلطة هذه القبائل وذلك بالتحكم في الأسواق الموسمية والأسبوعية حتى تظهر سلطتها وتحكمها في الأقليم أو الناحية. فكانت سلطة البايلك تمنع التسوق والتبادل التجاري خارج الأسواق التي كانت تراقبها الحاميات التركية ورجال المخزن، وهذا ما أجبر القبائل الممتنعة ببايلك الغرب، على دفع رسوم مستحقة على كل بضاعة محمولة إلى السوق قدرت بـ10% من قيمة البضاعة، وعندما يتم الإخلال بنظام السوق أو يصبح مكان للدعاية المضادة لسلطة البايلك فإن السلطة تلغيه أو تقوم بنقله إلى مكان آخر[2].

إن الأساليب التي اتبعتها السلطة، وإن كانت قد أخضعت بعض القبائل لها، إلاّ أن ذلك لم يكن بشكل دائم، خاصة إذا علمنا أن بايلك الغرب قد كانت ظروفه، غير مدعمة للغزو التركي فيه. شأنه شأن بايلك قسنطينة ولو أن وضعه الخاص حيث كان محتلاً من طرف الإسبان، وكان المغرب الأقصى كثيراً ما يقحم نفسه في مشاكل البايلك والقبائل القاطنة فيه. وبعض الأحيان يصل الأمر بسلطة المغرب الأقصى، إلى تشجيع إزكاء نار الفتنة بين القبائل والإدارة في البايلك.

[1]Gorguos(G)، " Notice sur le Beyd'Oran، Mohammed El Kebir"، in R.A، N°1، Alger، 1856-1857، p421.

[2]سلطانة عابد، المرجع السابق، ص173.

إن هذه الظروف كلها لم تساعد الأتراك على فرض سيطرتهم بالبايلك بشكل كامل. والوقت الذي تم فيه تحرير وهران بشكل نهائي، كانت الدولة الجزائرية قد بدأ يظهر عليها علامات الضعف والانهيار.

كما أن علاقة السلطة بالقبائل الممتنعة، كان يغلب عليها طابع الصراع والحروب. فمنذ بداية تواجدهم وهم على هذا الحال. وازداد حدة في فترة الاضطرابات السياسية والحملات الأوروبية المتكررة على السواحل الجزائرية.

وكما هو معلوم، فإن السلطة في فترة تدهور الاقتصاد، بالغت في فرض الضرائب على القبائل الممتنعة، فعملت هذه الأخيرة على التمرد عليها. خاصة القبائل القاطنة في مناطق ذات إنتاج فلاحي قليل.

نلاحظ أن الحملات قد كثرت في أواخر العهد العثماني، وذلك بسبب تدهور أوضاع البلاد الداخلية والخارجية، وتراجع الغنائم البحرية التي كانت المصدر الأساسي لاقتصاد البلاد، هذا من جهة، وانتشار الأوبئة والحروب والحملات الأوروبية المتتالية والتي انتهت بالحصار الفرنسي للسواحل الجزائرية من 1827م- 1830م من جهة أخرى.

كل هذه العوامل مجتمعة ساهمت في التأثير على علاقة البايات والسلطة الحاكمة بالقبائل الممتنعة، لأن السلطة بالغت في فرض الضرائب وحاولت أخذها بالقوة من هذه القبائل التي كانت ترفض تبعيتها لأي نوع من الحكم الخارجي. خاصة الذي لا يحترم عاداتها وتقاليدها ولا يعترف لها بالسلطة على أراضيها التي كانت تقطنها.

وهكذا فالخلاصة التي نخرج بها في هذا الفصل هي:

1- أن السلطة بالبايلكات الثلاث قد قسمت الأهالي إلى قبائل متحالفة معها وخاضعة لها وممتنعة عنها.

2- أن السلطة قد أعفت بعض القبائل المتحالفة معها من الضرائب وفرضتها في المقابل على قبائل الرعية الخاضعة لها أوالمغلوب على أمرها. في حين كانت القبائل الممتنعة عنها تحاول استخلاص ضرائبها منها بالقوة أو بشن الحملات.

3- كانت الضرائب المفروضة على القبائل في بداية الغزو التركي، ضرائب بسيطة، لأن مداخيل البحر كانت تغني خزينة الدولة. إلاّ أنّها أصبحت تشكل ظلماً ممارساً على الأهالي، في الفترات الأخيرة من الحكم التركي.

4- كانت علاقة الإدارة مع القبائل الخاضعة والممتنعة، تحددها الضرائب، فكلما التزم الأطراف بدفع ما عليهم، سلموا من بطش الإدارة، وكلما تمردوا، شنت ضدهم الحملات الردعية التي قد ينتج عنها تشريدهم وتقتيلهم ومصادرة أملاكهم.

5- إن السلطة الفعلية للأتراك لم تكن موجودة، لكن بفضل القبائل المتحالفة معهم، تمكنوا من بسط نفوذهم في أرجاء البلاد وربط الريف بالمدينة.

6- إن المصدر الأساسي للخزينة، بعد تدهور مداخيل البحر، كانت الضرائب التي سلطت بشكل كبير على القبائل الخاضعة. وأخذت بالقوة من القبائل الممتنعة. وهذا ما جعل هذه القبائل تلعب دوراً أساسياً في اقتصاد البلاد.

7- صحيح أن الإدارة كانت تخضع بعض القبائل بالقوة لها، غير أن هذا لا يستثني فكرة أن بعض القبائل من أجل مصلحتها هي التي أرادت أن تنضم طواعية إلى المخزن أو الرعية.

8- وفي الأخير، فإن القبائل المتحالفة والخاضعة والممتنعة كان كل منهم مكمل للآخر، لأن القبائل الخاضعة والممتنعة كانت كثيراً ما تلجأ إلى القبائل المتحالفة لتتوسط لها لدى سلطة البايلك. هذا من جهة. ومن جهة أخرى فإن القبائل المتحالفة، كانت تجد في هذه القبائل الدعم والمساندة والعون أثناء قيامها بالتمرد وإعلان الثورة والعكس.

الخاتمة

من خلال دراستنا لموضوع "التشكيلات العسكرية الأهلية في الجزائر خلال العهد العثماني". خرجنا بجملة من النتائج أهمها :

1- أن الدولة الزيانية كغيرها من الدول أولت عناية خاصة بالجيش وقسمته إلى مجموعات وحددت له الرواتب ، وفتحت باب التجنيد فيه لجميع الفئات الاجتماعية من أمازيغ وعرب ومسيحيين وعبيد.

2- أن الدولة عرفت ظروفا وأوضاعا صعبة بسبب موقعها الذي يتوسط دولتين معاصرتين لها ومتعادلتين معها في القوة .وحصار المرينيين لتلمسان قرابة التسع سنوات فكان له الأثر البالغ على السكان وعلى انتشار المجاعات والأوبئة. ولو أن الزيانيين تمكنوا من بعث دولتهم من جديد على يد أبا سعيد عثمان الثاني بن عبد الرحمان بن يحي بن يغمراسن سنة 749هـ/1348م ، حيث تمكن الجيش من استرجاع الكثير من المناطق التي سيطر عليها المرينيين ، ولو أن الحروب بين الدول الثلاث المرينيين، الحفصيين، الزيانيين أنهكتها وأضعفتها . فكان ذلك حافزاً للتدخلات الأجنبية(العثمانيين والإسبان) التي كانت تراقب الوضع من بعيد وتألب طرف على الآخر حسب مصلحتها وأهدافها.

3- إن الوضع السياسي الذي كان يعاني منه المغرب الأوسط ، بانقسام البلاد إلى مجموعة من الإمارات والمشيخات والقبائل المستقلة أدى إلى ظهور التهديدات الإسبانية على البلاد ففي فترة وجيزة استطاع الإسبان احتلال المرسى الكبير 1505م ، ووهرانم1509م وبجاية سنة 1510م وتوسعوا أكثر بخضوع العديد من المناطق لهم وإجبارها على دفع الجزية للدولة الإسبانية. ما أدى إلى طلب القبائل المحلية لمساعدة القراصنة الأتراك (عروج وخير الدين) حيث تمكنا من بسط نفوذهم على المنطقة سنة 1518م وإنشاء أسطول وجيش جديد شبيه بالجيش الإنكشاري.

4- بقي الجيش الإنكشاري حكرا على العنصر التركي القادم من الأناضول ، وهذا يعاب على المؤسسة العسكرية في الجزائر لأنها حرمت العنصر المحلي من الإنخراط في صفوفها ، فكبرت الهوة بين الحاكم والمحكوم وازداد الشعور بالحرمان والتمييز بين مختلف الفئات الاجتماعية المكونة للمجتمع الجزائري .

5- كان الجيش الإنكشاري كثيراً ما يتدخل في الشؤون السياسية، فانحرف بذلك عن مساره، ولهذا قام الداي علي خوجة باستئصال شوكته وكبح جماحه ووضع حداً لتجاوزاته المتواصلة، وهذا بالقضاء على معظم أفراد الجيش الإنكشاري في الجزائر خلال القرن 19م.

6- اكتسبت البحرية الجزائرية قوتها من خلال أعمال البحر، فمن عملية إنقاذ مسلمي الأندلس وحماية سواحل شمال افريقيا، وخوض الحروب البحرية إلى اكتساب الغنائم الكبيرة، التي من خلالها امتلأت الخزينة الجزائرية وأصبح معظم السكان والبحارة يملكون أموالاً كثيرة.

7- تمثلت الأسباب التي دعت الأتراك إلىالاعتماد على العنصر المحلي ، إلى الامتداد الجغرافي للأيالة وطبيعة البلاد من الناحية الجغرافية والبشرية وكذلك ضعف الجيش الانكشاري .

8- برزت مجموعة من التنظيمات العسكرية الأهلية التي حلت محل السلطة التركية في تسيير بعض المناطق وجمع الضرائب فيها ومن أهمها قبائل المخزن والقبائل المتحالفة والتي ساهمت بشكل كبير في إرساء قواعد حكم الأتراك وهياكلهم الإدارية في الأوطان والأرياف.

9- انقسم أهل المخزن إلى عدة فئات، فهناك المخازنية الذين كانوا يستفيدون من القبائل الواقعة تحت إدارتهم، وهناك المخازنية المقاتلين والمجهزين عسكرياً من قبل السلطات التركية. أمّا الصنف الثالث فقد ضم القبائل المخزنية الفلاحية التي كانت تقوم بأمور الزراعة وخدمة الأرض. وقد شملت هذه القبائل معظم المناطق وكل البايلكات، غير أن بايلك الغرب احتل الصدارة، وذلك للوضع غير الآمن الذي كان يتميز به بسبب الإحتلال الإسباني لوهران.

10- اتسمت علاقة قبائل المخزن مع السلطة التركية بالجزائر بنوع من التحالف، واستمرار التعاون حتى اواخر العهد التركي ، فقد اعتمدت السلطة التركية على المخزن في عملية جباية الضرائب من الأرياف، والمحلات الفصلية لجمع الضرائب، وفي المقابل حصل المخزن على امتيازات عديدة منها الإعفاء الضريبي وتلقي مرتبات وإقطاعات شملت أراضي واسعة لتربية الحيوانات وأراضي زراعية شاسعة لزراعتها .

11- من أهم الضرائب التي ساهمت قبائل المخزن في استخلاصها من الأهالي الغرامة ، اللزمة، ضيفة الدنوش، البشارة أو الفرح، مهر الباشا، حق البرنوس، المشيرخ، المقاد، البقراج والحق، وقد كانت هذه الضرائب تدفع في مختلف المناسبات حسب الفئات والقبائل، علما ان هذه الضرائب مستحدثة من طرف الأتراك.

12- تبرز أهمية النظام الضريبي في تحديد العلاقة بين السلطة وقبائل المخزن من جهة والمجتمع الريفي من جهة ثانية، في أنها جعلت قبائل المخزن المحور بين الطرفين،فكانت العلاقة بين السلطة والمخزنيين قائمة على التعاون بمعنى التحالف القائم على المصلحة المتبادلة ولذالك عرفت تحسنا في مختلف مراحل الحكم التركي، وعلى النقيض من ذلك مع سكان الريف الذين أكنوا العداء والبغضاء للجهتين (المخزنيين والسلطة التركية)، وبدورها لم تبخل قبائل المخزن في إنماء هذا العداء، بسبب أعمالل التعدي التي كانت تقوم بها ، وتجريد القبائل من حقوقها وتصنيفها ضمن القبائل الرعية التي لا حقوق لها .

13- لعبت قبائل المخزن دوراً في مختلف المجالات ، فقد ربطت سكان الريف إداريا بالسلطة في الجزائر، وبذلك كانت حلقة وصل بين الحكام والأهالي من خلال تمركزها بالريف واستلامها لكافة المهام الإدارية المتعلقة به ، أما في المجال العسكري فقد اعتُبرت بمثابة الشرطة المحلية الرادعة للحركات المعادية وعملت على تطبيق أوامر البايلك وحماية مصالحه، وفرض احترام الرعية له وقامت أيضا بمراقبة الأماكن الإستراتيجية ودعم الحاميات العسكرية بالجنود، وبرز دورها أيضا في تصديها لحركات التمرد ضد الحكم التركي ، وخاصة في مرحلة الدايات(1671م-1830م) التي عرفت عدة انتفاضات شعبية، منها انتفاضة الدرقاوية وثورة ابن الأحرش والثورة التيجانية.

وقد ساهمت قبائل المخزن في اقتصاد البلاد بنسبة من المداخيل حيث عملت في مساحات واسعة من الأراضي الخصبة التي أكسبت الدولة دخلاً إضافيا ، وكذا الضرائب التي كانت تشارك في جمعها واكتفائها بثلث الغنائم ، أغنى خزينة الدولة .

14- اعتمد الأتراك عند دخولهم للجزائرعلى القبائل ذات الأصول المرابطية والتي ساعدتهم في الاستقراروذلك نظرا إلى الشرعية التي كانت تستند إليها هذه القبائل والمتمثلة في أصولها الشريفة

كما هو الحال مع الأشراف بجبال البابور وجرجرة ووادي الصومام ومن دورها الديني كما هي عائلة أمقرن التي كان منها أولياء وصلحها ء منطقة القبائل الصغرى لذا أطلق على هذا الصنف مصطلح"المتحالفة" مع السلطة.

15- بلغ مجموع القبائل المتحالفة في دار السلطان والبايليكات الثلاث حوالي ستة وثمانون قبيلة نذكر على سبيل المثال أولاد سيدي عبد الله الغوفل بسهل الشلف وضواحي مستغانم ببايلك الغرب وقبيلة كتامة وعائلة أولاد المقران وقبائل ايت شارفة وأولاد سيدي عمر بواد الساحل ببايلك الشرق، وقبائل قصر البخاري ومشيخة أولاد مختار وقبيلة أولاد سيدي احمد ببايلك التيطري ، وأعراش القليعة واتحاد عرش فليسة وقبيلة براكتة المرابطية بضواحي شرشال وأولاد سيدي علي مبارك بدار السلطان .

16- انطبعت العلاقة القائمة بين الأتراك والقبائل المتحالفة بطابع التعاون أحيانا والتوتر أحياناً أخرى ، فقد شهدت تذبذبات في كامل مراحل الحكم التركي بالجزائر ، ولم تستقر بأي حال من الأحوال على طبيعة واحدة، لأن هذه القبائل كلما رأت ضعفا أوالتمسته من طرف السلطات التركية، حاولت التمرد عليها والخروج على طاعتها والإتحاد مع القبائل المجاورة لها ، فانتهج الأتراك بذالك تشجيع سياسة الصفوف لخلق أعداء للزعامات المحلية البارزة.

17- جُرد صنف من الأهالي من كل حقوقه، وقد مثل هذا الصنف"قبائل الرعية" التي احتلت قاعدة الهرم الاجتماعي في الجزائر من القرنين 16م و 19م، فهي قبائل خاضعة لجميع المطالب المخزنية والفروض الضريبية ، وأهم هذه المجموعات قبائل عامر الشراقة ببايلك الشرق، وقبيلة بني عامر بأولاد سيدي احمد بن محمد، وقبيلة العمامرة وقبيلة الحرارته ببايلك الغرب ، اما ببايلك التيطري فأهم قبائله بطون صنهاجة وقبائل هوارة والحنانشة وقبيلة بني سليم وبني صالح بمقاطعة دار السلطان.

18-خضعت قبائل الرعية لكل الأصناف الضريبية ولكن رغم ذالك فإن العلاقة لم تكن علاقة جباية الضرائب فقط ، وإنما هي علاقة مصلحة متبادلة بين الحاكم والمحكوم ، لأن هذه القبائل منها ما دخل طواعية في صنف الرعية ، للاستفادة من قطعة أرض بدفع ضريبة عليها مقابل

خدمتها كما أن هذه الضرائب في حقيقتها لم تكن مرتفعة الحجم ، خاصة في العهود السابقة لعهد الدايات ، التي بدأت تتدهور فيه العلاقة بين هذه القبائل والسلطة نتيجة للتغيرات الحاصلة آنذاك ، خاصة الخارجية ، منها تكتل الدول الأوروبية لمحاربة القراصنة في البحر المتوسط ومحاصرة الجزائر والتحرش بسواحلها في العديد من المرات ، وبالطبع هذا أدى إلى ضعف البحرية الجزائرية، وبالتالي تراجع غنائم البحر، الذي تسبب في حاجة الخزينة إلى مداخيل ، فلجأ الحكام لعدم كفائتهم إلى رفع قيمة الضرائب وإثقال كاهل السكان بها خاصة قبائل الرعية .

19- بلغ مجموع القبائل الممتنعة حوالي 200 قبيلة، منها حوالي 23 قبيلة بدار السلطان ، وحوالي 13 قبيلة بايلك التيطري وحوالي 26 قبيلة بايلك وهران ، وحوالي 138 قبيلة بايلك قسنطينة.لقدكانت العلاقة بين القبائل الممتنعة والسلطة التركية في حالة توتر دائم، لأن هذه القبائل كانت دائمة الرفض للضرائب. وقد وصلت حالة التوتر ذروتها أواخر القرن 12هـ/18م، ومطلع القرن 13هـ/19م. بسبب تدهور الأوضاع الاقتصادية لهذه القبائل من جراء عوامل طبيعية وبشرية. ولجوء الإدارة إلى استعمال العنف لجباية الضرائب، وذلك بالقمع والمصادرة والتشريد.

20 – إن القبائل المتحالفة والخاضعة والممتنعة، كان كل منهم مكمل للآخر، لأن القبائل الخاضعة والممتنعة كانت كثيراً ما تلجأ إلى القبائل المتحالفة لتتوسط لها لدى سلطة البايلك. هذا من جهة. ومن جهة أخرى، فإن القبائل المتحالفة كانت تجد في هذه القبائل الدعم والمساندة والعون أثناء قيامها بالتمرد وإعلان الثورة والعكس.

21 – شكل الفرسان الذين ساعدوا حسن باشا بن خير الدين النواة الأولى لفرق الزواوة. فكانت هذه المبادرة كتشجيع للأتراك لدخول المنطقة وإقحامها في شؤون البلاد. غير أن هذا المجهود لم يأتي بنتيجة يرضاها العثمانيون، لأن العلاقة بين المنطقة والأتراك كانت تتأرجح حسب الظروف ومصلحة الطرفين. وساهم في ذلك وجود قوتين متعارضتين وهما إمارة كوكو، وإمارة بني عباس. حيث سعى كل منهما للقضاء على الأخرى وذلك بالاستعانة بالقوة التركية، بالرغم من معارضتهما لهذه الأخيرة.

22 – كان للزواوة دوراً عسكرياً منذ دخول الأتراك للجزائر، فقد ساندوهم ووفروا لهم القوة اللازمة من الفرسان والجنود. شاركوا في معظم الحروب التي شنها الأتراك عل المناطق، بهدف القضاء على نفوذ الإسبان المتواجد فيها. كما أنهم شاركوا في الحصار المضروب على وهران وتلمسان والمرسى الكبير. والحروب مع المغرب وتونس. إضافة إلى محاربتهم للقبائل المعادية للسلطة والموالية للإسبان والمتعاونة معهم، مقابل امتيازات إدارية وتولي القيادة والمشيخة بالمنطقة.

23 – أتقن سكان الزواوة معظم الصناعات التي تميزت بالجودة العالية، فعلى الرغم من بساطة المواد المصنوعة إلاّ أنها كانت مطلوبة في معظم أرجاء الجزائر وحتى خارجها. فكانت المساهمة لسكان هذه المناطق كبيرة، إذ وفرت العديد من الحاجيات الضرورية سواءً ما تعلق باللباس أو الأثاث أو الأواني المنزلية، وتعدّ ذلك إلى صناعة الآلات الخاصة بالمجال الزراعي، فوفرت على نفسها استيراد كل هذه المنتجات بل أصبح لديها فائض من أجل تصديره. ونظراً للنشاط الصناعي الذي تميز به سكان الزواوة، فقد عملوا على صناعة العملة المزيفة التي أضرت بالاقتصاد.

24 – لعبت الفرق المحلية المشكلة من الأهالي دوراً في مختلف المجالات، على الرغم من التهميش الذي لحقهم. حيث اعتمدت الحكومة التركية على التشكيلات الأهلية سواءً في حروبها مع الإسبان أو مع الأهالي، بسبب الضعف الذي أصاب الجيش الإنكشاري. كما أن الإدارة اعتمدت على الأهالي بالدرجة الأولى، لربط الريف بالسلطة في البايلك ودار السلطان وجعلت من هذه القبائل حلقة وصل بينها وبين الأهالي في المناطق البعيدة عن السيطرة التركية. وقد اتخذت لذلك تدابير وقائية، خوفاً من تمردها، فلجأت إلى انتهاج سياسة الصفوف بين القبائل الحليفة لها، وتأليب طرف على الأطراف الأخرى، بغرض تفكيكهم وإضعاف قوتها. وبالتاليضمان ولائها لها.

وفي الأخير نتمنى أن يكون هذا البحث المتواضع، قد ساهم في دعم الكتابات التاريخية الجزائرية. والنتائج التي خرجنا بها هي مجرد أراء واستنتاجات قابلة للمناقشة والتعديل، كما يمكن من خلالها اتخاذ مواضيع عديدة للدراسة في أوجه مختلفة ونرجو أننا استطعنا تحقيق ولو جزء بسيط من الأهداف المرجوّة والإجابة على الإشكاليات المطروحة.

الملاحق

الملحق الأول: خريطة الوضع السياسي للمغرب مطلع القرن 16 م.

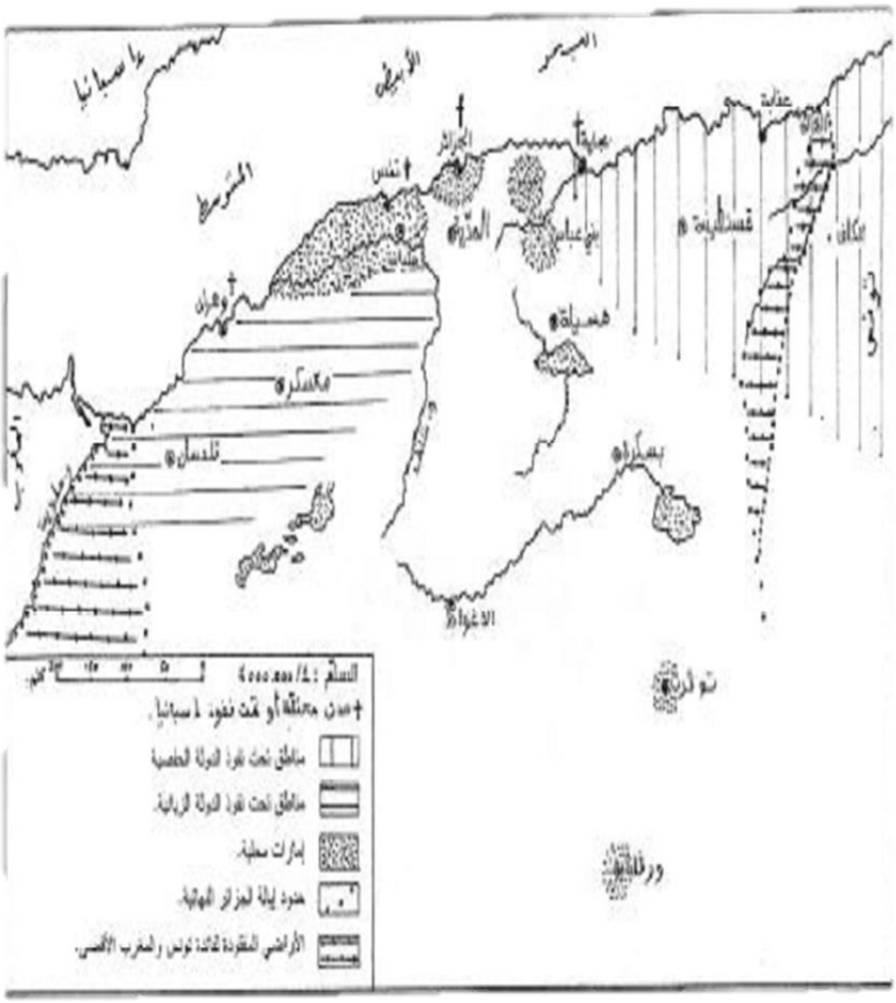

سعيدوي والبوعبدلي، المرجع السابق،ص36.

الملحق الثاني: خريطة التقسيم الاداري للجزائر خلال العهد العثماني

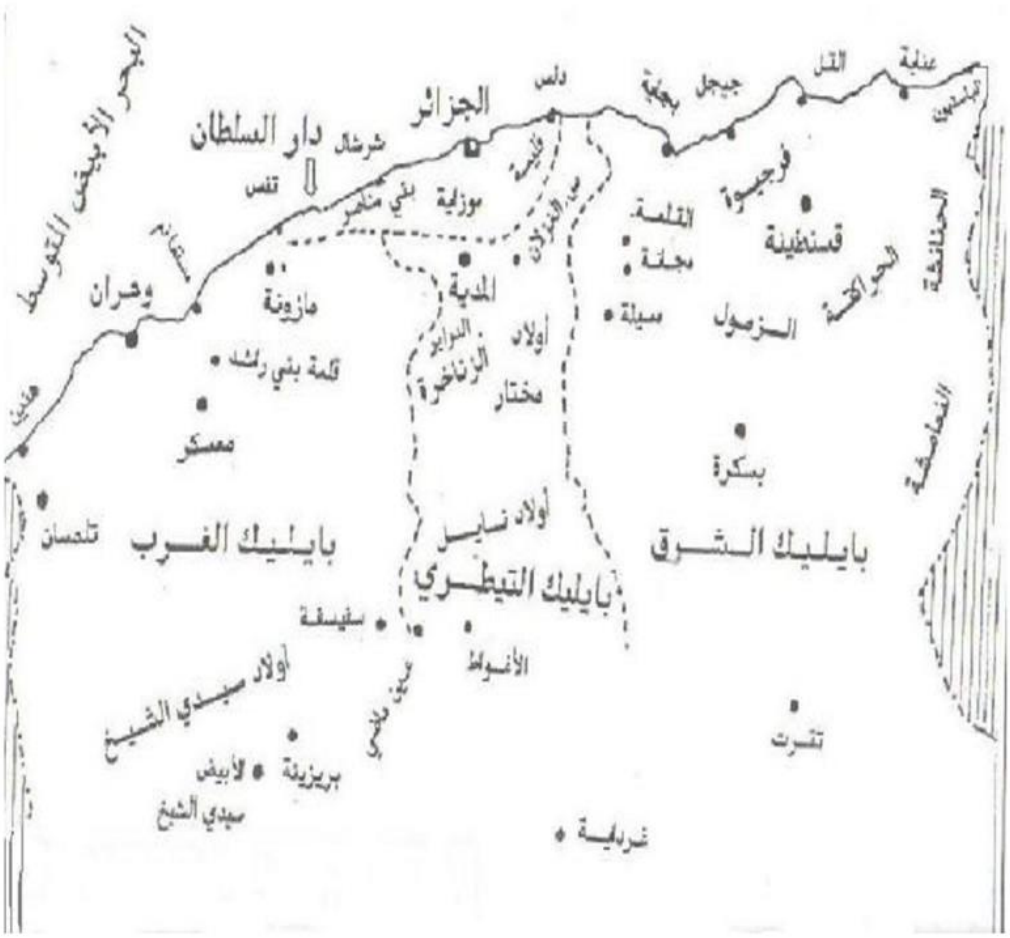

[1]– صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي، المرجع السابق ، ص283.

الملحق الثالث : خريطة تبين مشاركة بني عباس الأتراك في حملاتهم ضد الإسبان، والحملات التركية ضد القلعة

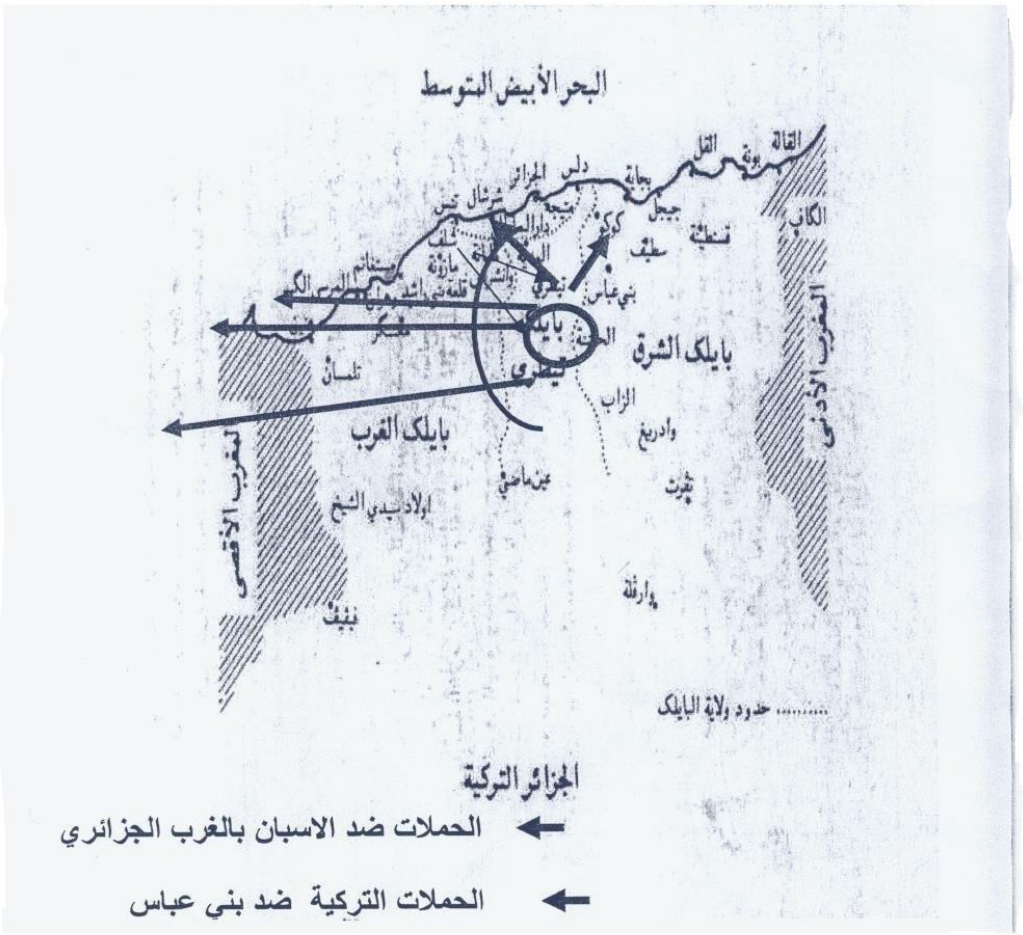

نبيـــل بومولـــة ، المرجع الـسابق ، ص 183 .

الملحق الرابـــــع: خريطة الطريــق التاريخية العابرة للبيبان على وادي الصومام

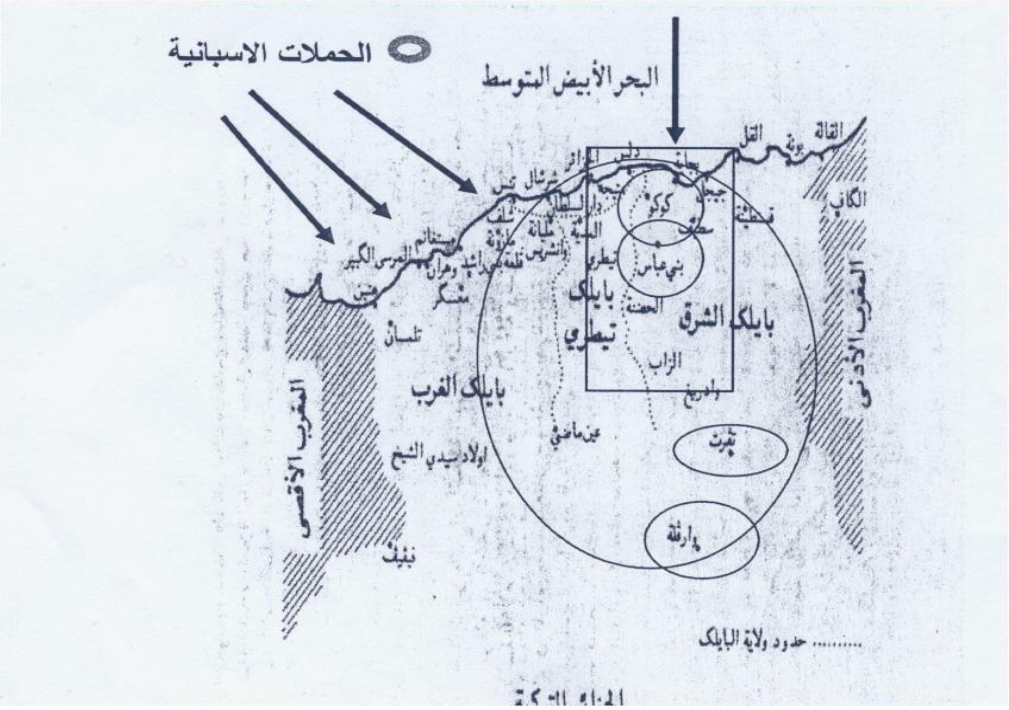

نبيل بومولة، المرجع السابق، ص 182

الملحق الخامس : خريطة الجزائر الوسطى اواخر العهد العثماني

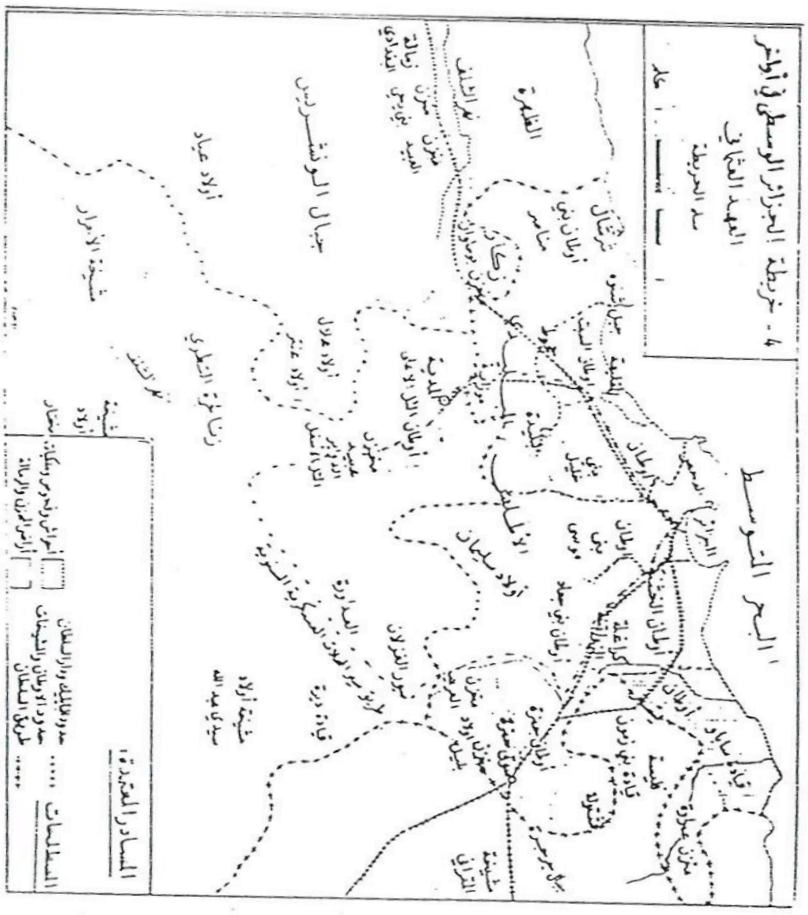

ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق،ص 373.

الملحق السادس: خريطة تبين سير خط المحلات العسكرية التركية.

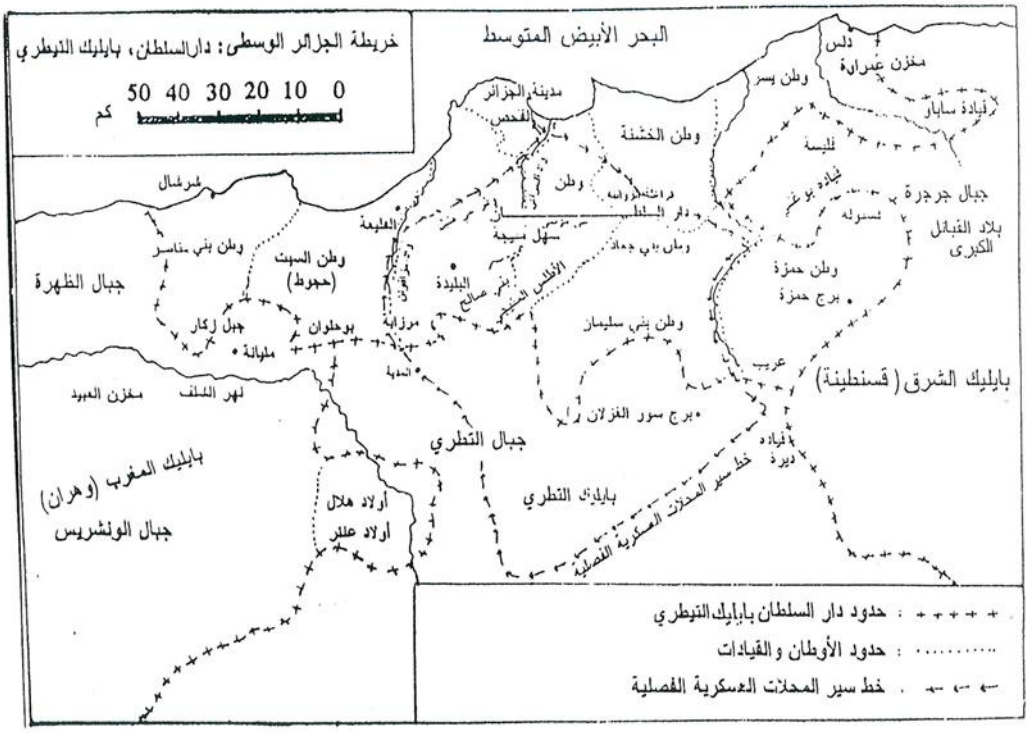

ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 173

الملحق السابع: خريطة توضح الوضع الإداري لإقليم الغرب

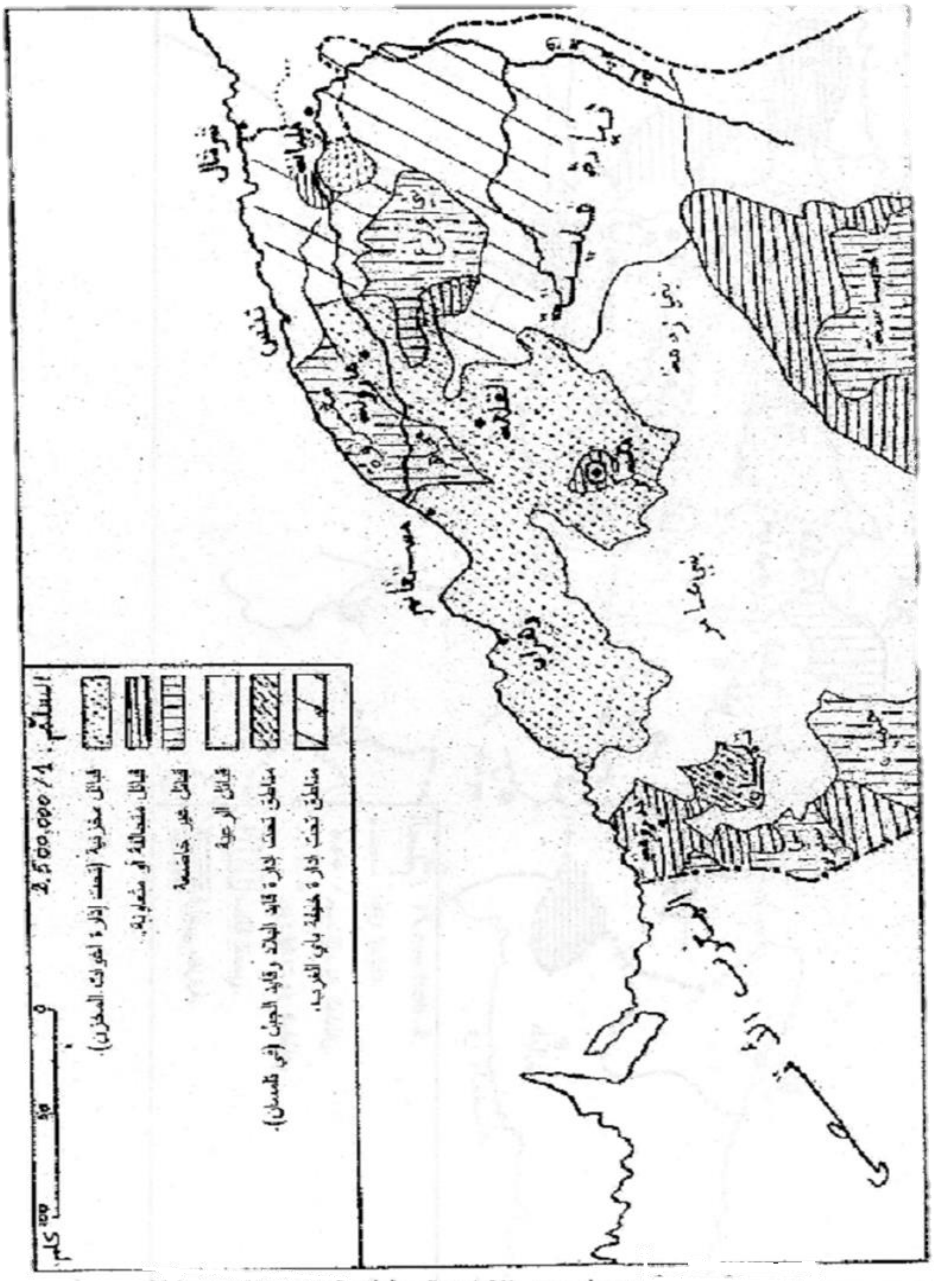

نموذج عن الإدارة المحلية: الوضع الإداري لإقليم الغرب (حسب رين« Rinn ») .

الملحق الثامن:ثكنات الجيش الإنكشاري في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني .

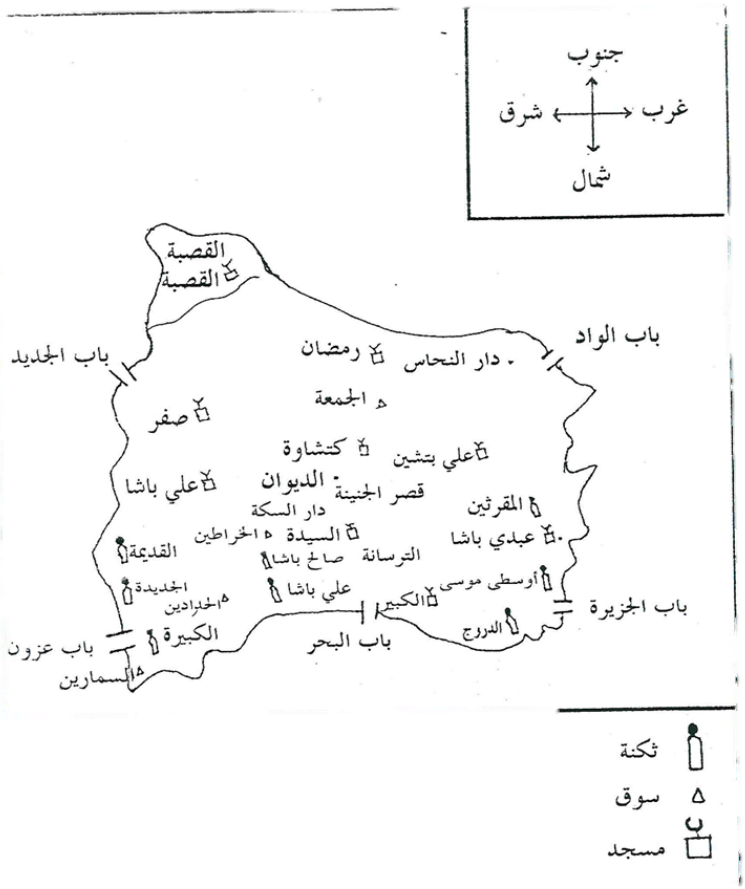

حنيفي هلايلي، المرجع السابق: ص 159.

الملحق التاسع: خريطة تبين بايلك الشرق الجزائري واهم قبائله ومن بينها قبيلم اولاد مقران

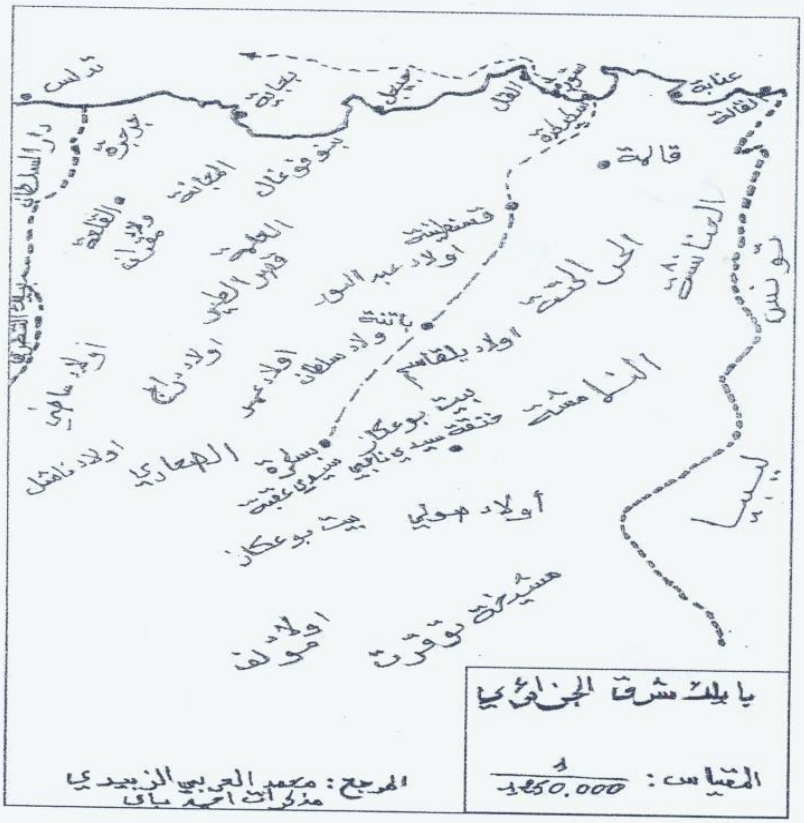

نبيل بومولة،المرجع السابق، ص185

الملـــحق العاشر : خريطة منطقة القبـــائل الشرقية والغربية وأهم قبائلها

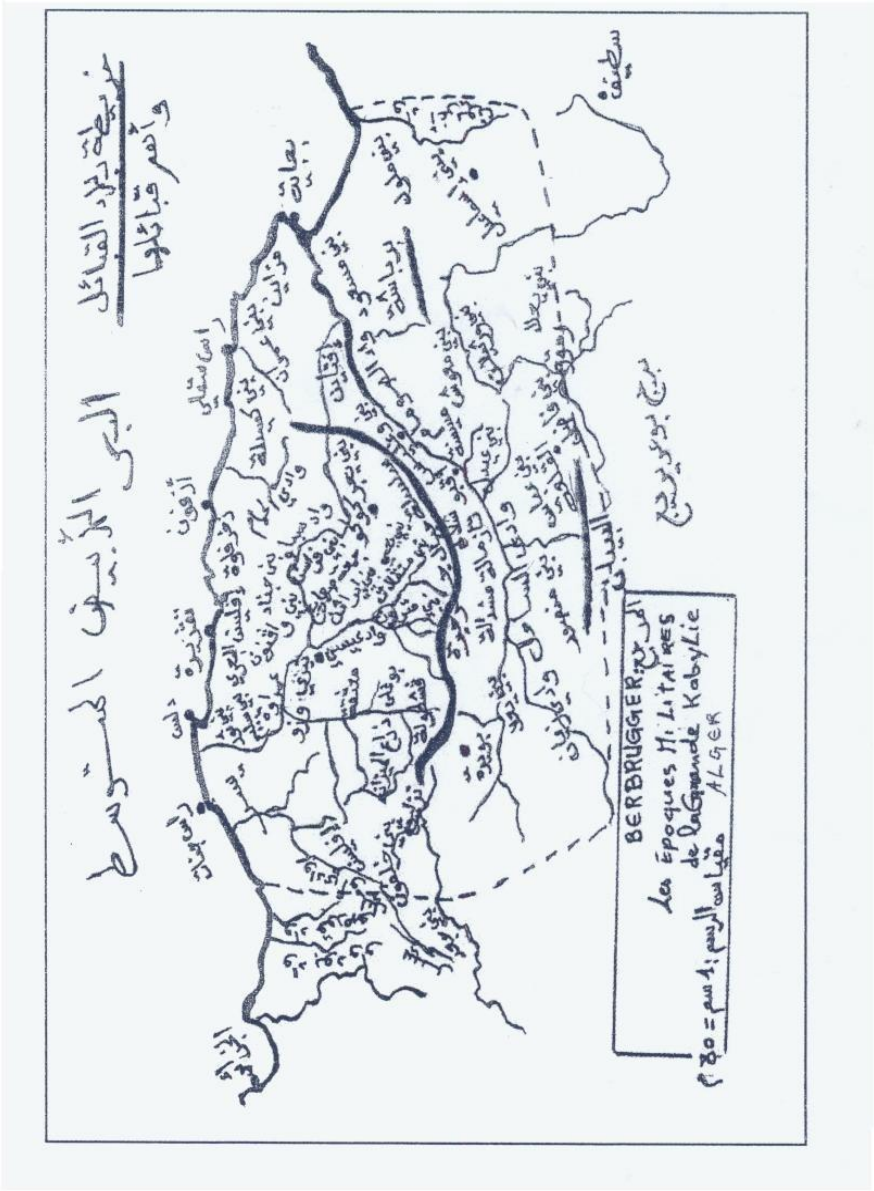

نبيل بومولة، المرجع السابق ، ص184.

الملحق الحادي عشر

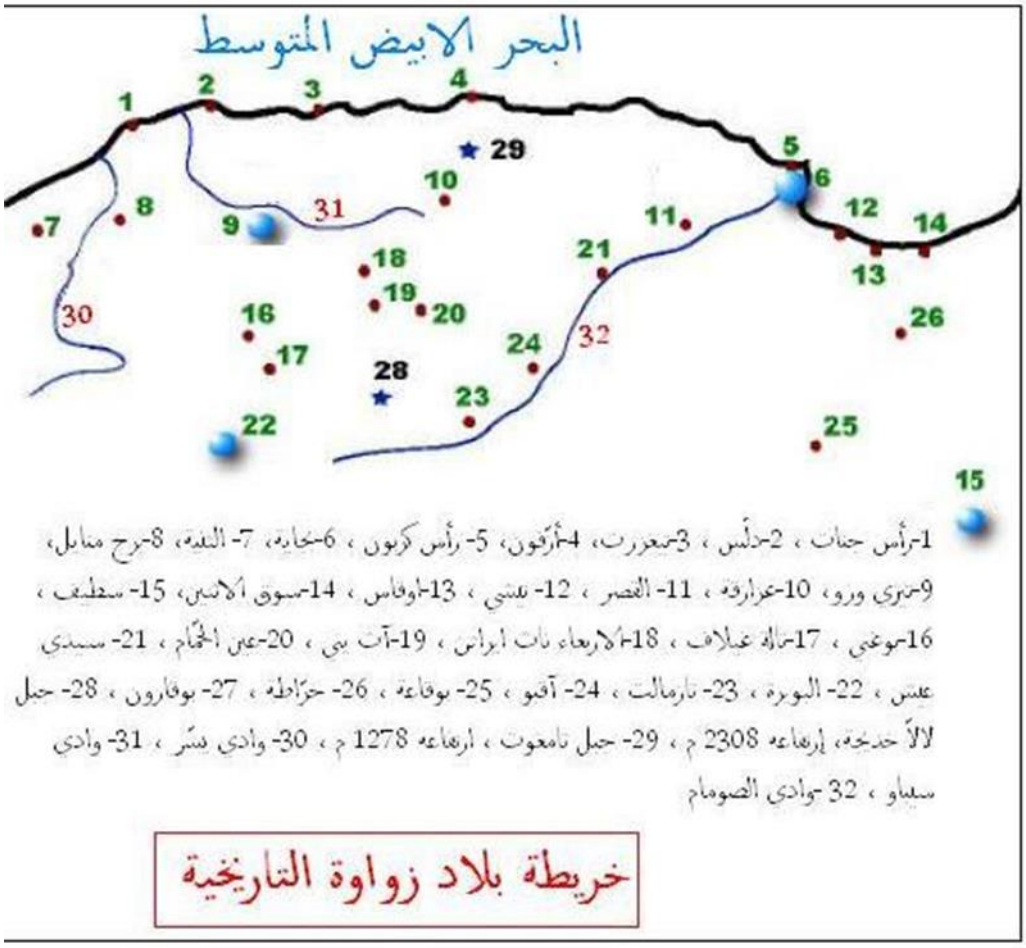

http://ar.m. wikipedia.org

الـملحق الثانـــــــي عشر:بعض الأسلحـة التي اسـتخدمها بني عباس في القرن 16 م

نبيل بومولة، المرجع السابق ،ص194.

قائمة المصادر

والمراجع

المصادر باللغة العربية:

1- البكري (أبو عبيد) ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة،د.ت.

2- ابن هطال (أحمد), رحلة محمد الكبير باي الغرب إلى الجنوب الصحراوي الجزائر, تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم, عالم الكتب،بلا, بدون ت.

3- الوزان الفاسي (الحسنبن محمد), وصف إفريقيا, ط2, ج2, (تر) محمد حجي-محمد الأخضر, دار الغرب الإسلامي،بيروت, 1983م.

4- الزهار (الحاج أحمد الشريف), مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر (1168هـ-1246هـ) الموافق لـ (1754م-1830م), تحقيق أحمد توفيق المدني, ش.و.ن.ت, 1980م.

5- كاثكارث(جيمس ليندر), مذكرات أسير الداي كاثكارث قنصل أمريكا في المغرب, د.ط, (تر) إسماعيل العربي,د. م. ج،الجزائر, 1982م.

6- ابن مبارك (الحاج أحمد), تاريخ حاضرة قسنطينة, تصحيح وتعليق: نور الدين عبد القادر, المدرسة العلمية للدراسات العلمية, الجزائر, 1952.

7- بن ميمون الجزائري (محمد), التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية, تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم, ش.و. ن. ت،الجزائر, 1981.

8- المشرفي (عبد القادر), بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر, تحقيق: محمد بن عبد الكريم, مكتبة الحياة, بيروت, (د ت)

9- مؤلف مجهول, مفاخر البربر, تح: محمد بعلي, الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي, اسبانيا, 1996م.

10- بن عبد القادر (مسلم), أنيس الغريب المسافر, تحقيق: رابح بونار, الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع،الجزائر, 1974م.

11- بن العنتري (محمد الصالح), فريدة مؤنسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة, مراجعة وتقديم وتعليق: يحي بوعزيز, د. م. ج, (د.ت).

12- العنتري (صالح), ذخائر المغرب العربي(مجاعات قسنطينة), تحقيق: رابح بونار, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر, 1974م.

13- فون مالتسان(هاينريش) ، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، تر: أبو العيد دودو، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1979م.

14- شالر(وليام), مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر(1816م-1824م), تعريب: اسماعيل العربي, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, الجزائر, 1982م.

15- التنسي(محمدبن عبد الله) ، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، (ت ح) محمود بوعياد، منشورات ANEP، د.ت.

16- خوجة (حمدان بن عثمان), المرآة, (تع) محمد العربي الزبيري,م. و. ف.م،الجزائر, 2006م.

17- ابن خلدون (عبد الرحمان) ، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج7، دار الفكر،بيروت ،2000م.

18- بن ابي الضياف (أحمد) ، اتحاف اهل الزمان بأخبار تونس وعهد الأمان، تح لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، 1999م.

المراجع باللغة العربية:

1- أحمد عبد الرحيم (مصطفى), أصول التاريخ العثماني, ط2, دار الشروق, بيروت, 1993م.

2- اندريه جوليان (شارل) ، تاريخ افريقيا الشمالية (تونس،الجزائر ، المغرب الأقصى)من الفتح الاسلامي الى سنة 1830م، تع محمد مزالي والبشير بن سلامة،الدار التونسية للنشر، ش.و.ن.ت،الجزائر، تونس، 1798.

3- الأعرج السليماني (أبو عبد الله) ، تاريخ الجزائر بين قيام الدولة الفاطمية و نهاية ثورة الأمير عبد القادر ، (ت ح) : مختار حساني ، م.و.ج، د.ت.

4- بومولة(نبيل), صفحات من تارخ بجاية في العهد العثماني(إمارة المقرانيين في القرن 10هـ/16م), دار هومه،الجزائر, 2013م.

5- بوعزيز (يحي), المراسلات الجزائرية الاسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد (1780م-1798م), ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر, 1993م.

6- بوعزيز (يحي) ، الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،2007م.

7- بوعزيز (يحي), الموجز في تاريخ الجزائر, ط2, ج2, د. م. ج،الجزائر, 2009م.

8- بوعزيز (يحي), مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية, ط.خ, دار البصائر،الجزائر, 2009م.

9- بحري (أحمد), الجزائر في عهد الدايات دراسة للحياة الاجتماعية إبّان الحقبة العثمانية, ج2, دار الكفاية, الجزائر, (د. ت).

10- برنيان (أندري) وآخرون, الجزائر بين الماضي والحاضر,(تر) اسطنبولي رابح ومنصف عاشور, ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر, 1985م.

11- برنشفيك(روبار) ، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13م إلى نهاية القرن 15م ، ط1 ، ج1، (تر)حَمَّادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي،بيروت ،1988م.

12- الجيلالي (عبد الرحمان) ، تاريخ الجزائر العام ، ج2 ، دار الأمة , الجزائر 2010م.

13- الدراجي (بوزياني) ، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، د.م.ج، الجزائر،1993م.

14- هلايلي(حنيفي)، ,بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني, ط1, دار العهد،الجزائر,2007م.

15- هلايلي(حنيفي), العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الإيالة 1815م-1830م, ط1, دار الهدى،الجزائر, 2007م.

16- وولف (جون ب), الجزائر وأوروبا 1500م-1830م, (تر) أبو القاسم سعد الله,المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر, 1986م.

17- حساني (مختار) وآخرون ، التاريخ العسكري للجزائر من الفتح الإسلامي إلى القرن 10هـ/ 16م، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، د.ت.

18- حساني (مختار) ، تاريخ الدولة الزيانية الأحوال السياسية ، ج1، منشورات الحضارة،الجزائر ، 2009م.

19- كاربخال(مارمول) ، أفريقيا ج2، تر : محمد حجي وآخرون، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1989م.

20- كركار (جمال) ، العرف والعمل الجزائري وأثرهما في الفتاوى والأحكام: منطقة الزواوة خلال فترة الاحتلال أنموذجاً، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2013م.

21- المدني (أحمد توفيق) ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا (1492-1792م)، م.و.ك، الجزائر، 1984م.

22- المدني (أحمد توفيق) ، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1931م.

23- الميلي (مباركبن محمد) ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2 ، (تق) محمد الميلي، م، و، ك،الجزائر ، د.ت.

24- نايت بلقاسم (مولودقاسم), شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830م, ط2, ج1, دار الأمة, الجزائر, 2007م.

25- سبنسر (وليم), الجزائر في عهد رياس البحر,(تع) عبد القادر زبادية, دار القصبة، الجزائر, 2007م.

26- سعد الله (أبو القاسم), تاريخ الجزائر الثقافي(1500م- 1830م), ط2, ج1, دار الغرب الإسلامي, بيروت, 1989م.

27- سعيدوني(ناصر الدين), النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800م-1830م), الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, الجزائر, 1979.

28- سعيدوني(ناصر الدين), ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني, ط1, دار الغرب الإسلامي،بيروت, 2000م.

29- سعيدوني(ناصر الدين), دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية (الفترة العثمانية),ط1, دار الغرب الإسلامي, بيروت, 2001م.

30- عباد (صالح) ، الجزائر خلال الحكم التركي 1514م-1830م، دار هومة،الجزائر ، 2014م.

31- عمورة (عمار) ، موجز في تاريخ الجزائر،ط1 ، دار ريحانة , الجزائر ، 2002 م.

32- قاسيمي (زيدين) ، قيادة سيباو(تاريخ منطقة القبائل في العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي)، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، أوت 2009م.

33- قنان (جمال), قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر, م. م. و. ج،الجزائر, 1994م.

34- شويتام(أرزقي), دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي (الفترة العثمانية 1519م-1830م), ط1, دار الكتاب العربي, الجزائر, 2010م.

35- شويتام(أرزقي), نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830م, ط1, دار الكتاب العربي, الجزائر, 2011م.

36- خلاصي (علي) ،الجيش الجزائري في العصر الحديث،ط1، دار الحضارة،الجزائر ، 2007م.

37- خلفات (مفتاح) ، قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين(6هـ ـ 9هـ / 12م ـ 15م) دراسة في دورها السياسي والحضاري، الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو،د.ت.

38- خنوف (علي), السلطة في الأرياف الشمالية لبايلك الشرق الجزائري نهاية العهد العثماني وبداية العهد الفرنسي, مطبعة العناصر, الجزائر, 1999م.

39- غطاس (عائشة) وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954م، د.ت.

المقـــالات:

1- بوداوود(عبيد) ،" تلمسان في مواجهة الحملات الحفصيةالمرينية "، مجلة عصور، ع07/06، جوان/ ديسمبر،2005م.

2- بن جبور (محمد)،"البحرية الجزائرية في أواخر العهد العثماني", مجلة عصور, ع12-15-14/13, 2008م-2009م.

3- المشهداني(مؤيد محمودحمد) و سلوان ر(شيد رمضان), "أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518م- 1830م", مجلة الدراسات التاريخية والحضارية, مج 5, ع16, نيسان2013م.

4- سي يوسف (محمد) ، المرأة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد 25/ أوت 2002، منشورات التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان.د.ت.

5- سعيدوني(ناصر الدين),"دور قبائل المخزن في تدعيم الحكم التركي بالجزائر" , مجلة الأصالة, مج13, ع32, الجزائر, ابريل1976م.

6- العيد (فارس), "التركيبة الاجتماعية في الغرب الجزائري قبيل الاحتلال الفرنسي", مجلة عصور, ع18.19, جانفي- ديسمبر 2012م.

7- فكاير (عبد القادر) ، " الغارات الاسبانية على مدينة تلمسان خلال النصف الأول من القرن السادس عشر " ، مجلة عصور الجديدة ، ع2 ، 2011م.

8- قداش(محفوظ), " الجزائر في العهد التركي", الأصالة, ع52, 1977م.

الرسائل الجامعية:

1- أولاجي (بومدين), قراءة تحليلية في الواقع الاجتماعي للطرق الصوفية ودورها في حركة التواصل(الجزائر العثمانية), رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر,إشراف.أ.د. محمد مكحلي, جامعة سيدي بلعباس, 2011م-2012م.

2- آيت حبوش (حميد), المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني(1519م- 1830م) على ضوء المصادر الأوروبية, رسالة ماجستير تخصص تاريخ حديث ومعاصر, إشراف.د. حنيفي هلايلي, جامعة سيدي بلعباس, 2008م- 2009م.

3- أرزقي فراد (محمد), المجتمع الزواوي في ظل العرف والثقافة الإسلامية(1749م- 1949م), رسالة دكتوراه تخصص تاريخ الحديث والمعاصر, إشراف د. أرزقيشويتام, جامعة الجزائر, 2010م-2011م.

4- بودالي(جمعي), الحياة السياسية والعسكرية لإيالة الجزائر في عهد البايلربايات (1518-1587), رسالة ماجستير تخصص تاريخ حديث ومعاصر, إشراف أ.د.لونيسي ابراهيم، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس, 2011م-2012م.

5- بودويرة(حياة), الملكية والمجتمع في منطقة فرجيوة خلال القرن التاسع عشر, رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر,إشراف.أ.د. فاطمة الزهراء قشي, جامعة قسنطينة2, 2011م- 2012م.

6- بولجنت(كيسة) ، العادات والتقاليد في بلاد الزواوة بين القرنين 17م- 19م، رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف.أ. مختار حساني، جامعة الجزائر 2، 2009م-2010م.

7- بولحبال(رياض), أخبار بلد قسنطينة وحكامها لمؤلف مجهول(دراسة وتحقيق), رسالة ماجستير في الدراسات العليا, إشراف.أ.د. إسماعيل سامعي, جامعة منتوري قسنطينة, 2009م-2010م.

8- بونقاب(مختار), تاريخ الطريقة الدرقاوية في الجزائر, رسالة ماجستير في التاريخ الحديث, إشراف.أ.د. فغرور دحو, جامعة وهران,2001م-2002م.

9- بوشنافي(محمد), الجيش الإنكشاري خلال العهد العثماني في الجزائر(1700م-1830م), رسالة ماجستير في التاريخ الحديث,إشراف.أ.د. بلقاسمي بوعلام, جامعة وهران, 2001م-2002م.

10- بوخروفة(عمر), أراضي الملك في الجزائر العثمانية, رسالة ماجستير, إشراف.د. ناصر الدين سعيدوني, جامعة الجزائر, 1981م.

11- بحري (أحمد), الحياة الاجتماعية بالجزائر في عهد الدايات, رسالة ماجستير تخصص تاريخ حديث, إشراف.أ.د. فغرور دحو, جامعة وهران, 2001م- 2002م.

12- بلبوري(سيد احمد), وهران وضواحيها: اجتماعياً-سياسياً-اقتصادياً إبان الاحتلال الاسباني 1505م-1792م, رسالة دكتوراه تخصص تاريخ حديث ومعاصر, إشراف. نور الهدى بوخالفة, جامعة سيدي بلعباس, 2006م-2007م.

13- بليل (رحمونة), القناصل والقنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية من 1564م إلى 1830م, رسالة دكتوراه تخصص تاريخ حديث ومعاصر, إشراف.أ. فغرور دحو, جامعة وهران, 2002م-2003م.

14- بن جبور(محمد), صورة الجزائر والجزائريين من خلال الكتابات الفرنسية في القرنين 17مو18م, رسالة ماجستير تخصص العلاقات الدولية, إشراف.د. غازي جاسم, جامعة وهران, 2002م-2003م.

15- هلايلي(حنيفي), النظام الحربي للجزائر في العهد العثماني منذ مطلع القرن السابع عشر حتى سنة 1830, رسالة دكتوراه تخصص تاريخ حديث ومعاصر, إشراف.أ.د. عبد الحميد حاجيات, جامعة سيدي بلعباس, 2003م-2004م.

16- الحداد (سعاد), دراسة مجموعة الأسلحة الخفيفة للفترة العثمانية المحفوظة بمتحف الآثار القديمة دراسة أثرية فنية, رسالة ماجستير في الآثار العثمانية,إشراف.د. عز الدين بويحياوي, جامعة الجزائر2, 2010م-2011م.

17- بن حيدة (يوسف), الطرق الصوفية في الجزائر وبلاد المغرب ودورها في نشر الوعي والإخاء والتضامن الاجتماعي, رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر,إشراف.أ.د. محمد مكحلي, جامعة سيدي بلعباس, 2010م- 2011م.

18- الطالب (سرحان حليم), تطور صناعة السفن الحربية بالجزائر على عهد العثمانيين (1514م-1830م) من خلال المصادر التاريخية والأثرية, رسالة ماجستير تخصص الآثار الإسلامية, إشراف.د. صالح بن قربة, جامعة الجزائر, 2007م-2008م.

19- كشرود (حسان), رواتب الجند وعامة الموظفين وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر العثمانية من 1659 إلى 1830م, رسالة ماجستير تخصص تاريخ حديث, إشراف فاطمة الزهراء قشي, جامعة منتوري قسنطينة, 2007م-2008م.

20- لعريبي(إسمهان), الحياة الاقتصادية في بايليك الشرق خلال العهد العثماني (1713م-1792م), رسالة دكتوراه تخصص تاريخ حديث ومعاصر, إشراف.أ.د.حنيفيهلايلي, جامعة سيدي بلعباس, 2012م-2013م.

21- لعريبي (مجاهد), الحزام الدفاعي لمدينة الجزائر في الفترة العثمانية - برج الكيفان أنموذجاً-, رسالة ماجستير تخصص الآثار الإسلامية, إشراف.أ.د. بويحياري عز الدين, جامعة الجزائر, 2007م-2008م.

22- محرز(أمين), الجزائر في عهد الآغوات (1659م-1671م), رسالة ماجستير تخصص تاريخ حديث, إشراف.د.عائشة غطاس, جامعة الجزائر, 2007م-2008م.

23- مكحلي (محمد), ثورات رجال الزوايا والطرقية في الجزائر خلال العهد العثماني 1707م-1827م, رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر,إشراف.أ.د. عبد الحميد حاجيات, جامعة سيدي بلعباس, 2003م-2004م.

24- مكيوي(محمد), العلاقات السياسية والفكرية المغاربية للدولة الزيانية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول(633هـ-1236م/737هـ-1337م), رسالة دكتوراه في الفنون, إشراف د.الغوتيبسنوسي,جامعة تلمسان, 2007م-2008م.

25- معاشي (جميلة), الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 9هـ (16م) إلى القرن 13هـ (19م) دراسة إجتماعية سياسية, رسالة ماجستير تخصص تاريخ حديث, إشراف.د. حماد حسين, جامعة قسنطينة, 1990م- 1991م.

26- معاشي (جميلة), الانكشارية والمجتمع بباياك قسنطينة في نهاية العهد العثماني, رسالة دكتوراه تخصص تاريخ حديث, إشراف.أ.د. كمال فيلالي, جامعة منتوري قسنطينة,2007-2008 م.

27- عابد (سلطانة), التراتيبية الاجتماعية بباياك الغرب وأثرها على مقاومة الأمير عبد القادر(1832م- 1847م), رسالة دكتوراه تخصص تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر, إشراف.أ. فغرور دحو, جامعة وهران, 2010م- 2011م.

28- بن عتو (بلبروات), الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري 1779م- 1797م, رسالة ماجستير تخصص تاريخ حديث ومعاصر, إشراف.أ.د. بلقاسمي بوعلام, جامعة وهران, 2001م- 2002م.

29- بن عتو (بلبروات), المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني, رسالة دكتوراه تخصص تاريخ حديث ومعاصر, إشراف.د. بلقاسمي بوعلام, جامعة وهران, 2007م- 2008م.

30- صغيري (سفيان), العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر(1671م-1830م), رسالة ماجستير تخصص تاريخ حديث ومعاصر, إشراف.د. حسينة حماميد, جامعة باتنة, 2011م-2012م.

31- القشاعي موساوي (فلة), النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771م- 1837م, رسالة ماجستير تخصص تاريخ حديث,إشراف.أ.د. ناصر الدين سعيدوني, جامعة الجزائر, 1989م- 1990م.

32- شدري معمر (رشيدة) ، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات(1671م-1830م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف.د. فلة موساوي القشاعي، جامعة الجزائر، 2005م- 2006م.

33- شويتام(أرزقي),المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني926هـ-124هـ/1519م-1830م, رسالة دكتوراه دولة تخصص تاريخ حديث ومعاصر,إشراف.أ.د. عمر بن خروف, جامعة الجزائر, 2006م- 2007م.

34- شيخ (فاطمة), الصورة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للجزائر في عهد الداي حسين باشا (1818م-1830م), رسالة ماجستير تخصص تاريخ حديث ومعاصر, إشراف.أ.د. حنيفي هلايلي, جامعة سيدي بلعباس, 2011م-2012م.

الموسوعات:

1- دم, موسوعة المغرب العربي, ط1,مج3,ج5, القاهرة:مكتبة مدبولي, 1994م.

المصادر باللغة الأجنبية:

Bibliographie les sorces:

1- Esterhazy (W), Notice historique sur le Makhzen D'oran,perimerie Oran, 1849

2- Rinn (L),Le Royaume d'Alger sous le dernier Dey, présentation de A.Rebahi,ed Grand Alger livres, Alger, 2005.

3- Shaw Tomas (1694-1751), Voyages dans plusieurs provinces de la Barbarie et du levant, Contenant de observations géographiques, physiques, philologiques, …sur les royaumes d'Alger et de Tunis, sur la Syrie, l'Egypt et l'Arabie pétrée, …traduits de l'Anglais, la HATe, 1743, T1.

4- Shaw Tomas, Voyage la régence d'Alger au 18 siècle, traduction E. McCarthy 1830, Edition grand alger livre,2007.

5- Ventur De paradis, Alger au XVIII siècle, 1739-1799, Alger,1898.

6- venture(J.M) de paradis,tunis et Alger au XVIIIé. SBIB. Arabesindbad, paris, 1983.

المراجع باللغة الأجنبية:

Bibliographie les Références:

1- Berbrugger, Les époques militaires de la grande kabylie, bastide librairie Editeur, paris, 1857.

2- Boulifa (S.A), le Djurdjura à travers l'histoire, depuis l'Antiquité, jusqu'à 1830, S. Bringou Alger, 1923

3- De Grammont, Histoire d'Alger sous la domination turqe 1515- 1830, Ed leroux, paris, 1887.

4- Hanoteau et Letourneux, La kabylie et les coutumes kabyles, 3T. 2.T,

5- Jean Marigot , L'AlgerieKbylisee, Editions aljahidhiya , alger, 2001.

6- Jules liorel ,kabylie du Jurjera, Ernest leroux, Edition,paris,1892.

7- kaddacheMahfoud, l'Algérie Durant la période Ottomane,o.p.u,2003.

8- Mercier(E),la Question Indigène en Algérie au Commencement du Xxè siècle,A.challamel éd, paris 1901.

9- Peyssonelle, voyages dans les regences de Tunis et Alger, publiés par M Dureau de la Malle, librairie de cide, paris 1838, T1.

10- Robin Joseph Nil , la grande kabylie sous le RégineTurc,Editions Bouchene,1999.

11- Robin, note Historique sur la grande Kabylie, De 1830 a 1838, Editions bouchene, 1999.

12- Rozette et Carette, Algérie Etat Tripolitaine, 2eme edition, Edition bouslama, Tuinis ,s.d.

13- Rulfe(p): Domination Espagnole à Oran sous le gouvernement du comte d'Alcaudete, 1534- 1558, éd. Mimouni Alger S.D.

14- Vayssettes(e), Histoire de constantine sous la domination Turque de 1517- 1837, présentation de O. S.Tengour, éd. Bouchene 2002.

المقالات:

1- Emerit,"les tribus privilégiées en Algérie dans la première moitié du XVIVe siècle", in, A.E.S.C,(N°1),1966.

2- Federmann(H) et Aucapitaine, " Notes sur l'histoire et l'administration du Beylek du Titteri ", in R.A, N° 9, Alger 1865

3- Feraud (L. charles) , exploitation des Forets des la karasta dans la Kabylie oriental, sous la domination turque. In ,R.A.N° 12, 1868.

4- Feraud(ch), "Ain Beida, province de constantine", in R.A, N°16, Alger 1872.

5- Georges Marcais Note sur un coffre kabyle, R.A, N° 68, 1927.

6- Gorguos(G), " Notice sur le Beyd'Oran, Mohammed El Kebir", in R.A, N°1, Alger, 1856-1857

7- Guin (M)," notes historiques sur les Adaoura", in R.A, N° 17, Alger 1873.

8- Haedo (FD), Histoire des Rois d'Alger, tr de H.D. de G rammont,IN,RA, n25 , 1881.

9- Haedo " Topographie et histoire générale d'Alger" ,R.A, N°15, Alger, 1871.

10- Rinn (L), " le Royaume d'Alger sous le dernier Dey", R.A, N°41, 1897.

11- RinnLouis " le Royaume D'Alger sous de dernier der, chapitre 7, beylik Qsantina".R.A, N°43, 1899.

12- Robin (J.N):"Note sur l'organisation militaire et administrative des turcs dans la grande Kabylie", in R.A. N° 17, Alger, 1873.

الفهارس

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن

فهرس الجماعات والقبائل والفرق العسكرية

فهرس المصطلحات العسكرية

فهرس الأعلام:

– أ –

ابن الأحرش: ص96، 153.

أحمد باي (المملوك): ص154.

إسحاق: ص 30، 34، 35، 54.

أيدين (رايس): ص 61،

– ب –

بتشين (علي): ص 49، 59، 107، 144.

بن بوختوش(أحمد بن عمر): ص132.

أبي بكر: ص 27.

بومزراق(الباي): ص95.

– ت –

أبو تاشفين: ص25، 27، 26،28، 29، 30، 31.

تاشفين الأول: ص21.

تكلرلي(محمد باشا): ص 57.

توجين: ص 20.

– ث –

أبو ثابت: ص 28، 29، 30.

– ج –

جانا: ص 20.

- ح -

الحاج (أحمد): ص 122، 123.

أبو الحسن: ص 28، 29، 30.

حسن (آغا): ص 49، 109.

حسن (باشا): ص 36، 49، 59، 101، 107، 108، 133، 168.

حسين (داي): ص 70، 115، 118.

أبو حمو موسى الأول: ص 21، 25.

أبو حمو موسى الثاني: ص 20، 22، 23،30.

حميدو (الرايس): ص 71، 112، 115.

- خ -

ابن خلدون (عبد الرحمان): ص 20، 22، 23، 26، 28، 102، 103، 104، 105.

ابن خلدون (يحي): ص 20، 21.

خليل (آغا): ص69.

خوجة (حمدان بن عثمان): ص 42، 126.

خير الدين (باشا): ص 34، 36، 37، 39، 40، 41، 48، 59، 61، 62،106، 107، 108، 113، 115، 121،124، 157، 185.

- د -

درغوث (باشا): ص 48، 62.

الدرقاوي (بن الشريف): ص 96، 143.

دوريا (أندريا): ص 36، 62.

– ذ –

الذباح (محمد): ص 107.

– ر –

رزجيك: ص20.

– ز –

زردال: ص 20.

أبا زكريا: ص 27.

زيان: ص 20، 21، 24.

أبا زيان: ص 30،25 ، 35، 36، 37.

– س –

أبي سرحان: ص 26.

أبا سعيد: ص 24، 25، 27، 28، 29، 30.

أبا سعيد عثمان الثاني: ص 29.

سليم الأول: ص 36، 39، 40، 46.

سليمان القانوني: ص 40، 41.

سنان رايس: ص 49.

– ش –

شارل الخامس: ص 49، 62.

شارلكان: ص 62.

شاكر (باي): ص154، 155.

شاو: ص 42، 43.

– ص –

صالح (رايس): ص 49، 57، 59، 62، 64، 69، 108، 113، 114، 115، 150، 152.

– ع –

العباس: ص 26.

عثمان: ص 28.

بن عثمان (عبد الحق): ص28.

عروج: ص 34، 35، 36، 48، 54، 55، 56، 121، 106، 115، 168.

علج (علي): ص 59، 62.

أبي عنان: ص 29، 30.

– ف –

ابو فارس: ص 30.

فرديناند الخامس: ص 33.

فوردوكان: ص 60.

– ق –

قارة (حسن): ص 49.

ابن القاضي (أحمد): ص 106، 108.

القاطلوني (هلال): ص 21.

القلي (أحمد): ص 145، 165، 166.

قورصو (حسن): ص 37، 50، 57، 64، 69، 108.

– ك –

كارلوس: ص 56.

– ل –

ابو عبد الله: ص 27، 33.

– م –

ابو مالك: ص 31.

محمد: ص 25، 26، 27، 31، 33، 34، 36.

محمد باشا: ص 57، 64، 72.

محمد شاكر: ص 164.

محمد الكبير (باي): ص 93، 95، 79، 141.

محمد الياس: ص 34.

محمد بن يوسف: ص 26.

أبو محمد عبد الله: ص 27.

محمود الثاني: ص 42.

محي الدين رايس: ص 49.

مراد الرابع: ص 62.

مُسامح: ص 21.

مسعود: ص 26، 28.

مسعود بن برهوم: ص 26.

مُصاب: ص 20.

موسى بن عبد الله: ص 27.

موسى بن عثمان: ص 25.

موسى بن علي: ص 26، 28.

ميزوموتو (حسن): ص 57.

– ن –

نابليون: ص 53.

نفارو (بيدرو): ص 34.

– و –

واسين: ص 20.

ورسيك: ص 20.

الوزناجي (مصطفى): ص 153، 155.

– ي –

يادين: ص 20.

ابو يحيى: ص 27.

يحيى بن موسى: ص 27.

يغمراسن بن زيان: ص 20، 21، 24.

يوسف: ص 26، 28، 25.

يوسف بن يعقوب: ص 25.

فهرس الأماكن:

– أ –

أراغونة: ص 33.

إزمير: ص 41.

أغريون (وادي): ص 104.

الأغواط: ص 152، 171.

إسبانيا: ص 32، 33، 36، 49، 50، 52، 55، 61، 62.

إفريقية: ص 27.

أكفادو (مضيق): ص 108.

الإمارات الايطالية: ص 59.

أوراس (جبل): ص 19.

الأناضول: ص 40، 41، 42، 57، 64، 68، 71، 98، 85.

إنجلترا: ص 59، 60.

الأندلس: ص 33، 48، 49، 53، 59، 61.

إيالة الجزائر: ص 39، 40، 41، 42، 43، 51، 53، 54، 55، 57، 58، 59، 61، 63، 64، 65، 67، 68، 69، 70، 71، 72، 73، 87، 95، 101، 112، 141.

إيجه (بحر): ص 41.

- ب -

بابور (جبل): ص 122، 133.

البايلك: ص 76، 77، 78، 80، 81، 82، 83، 84، 85، 86، 90، 95، 96، 97، 98، 106، 112، 144، 147، 150، 151، 152، 154، 147، 148، 149، 150، 151، 153، 154، 155، 159، 160، 162.

بايلك التيطري: ص 68، 79، 80، 94، 95، 129، 137، 138، 145، 146، 147، 155، 157.

بايلك الشرق: ص 80، 81، 95، 108، 138، 147، 149.

بايلك الغرب: ص 81، 83، 94، 95، 137، 140، 143، 147، 148، 157، 158، 159، 160.

بايلك قسنطينة: ص 80، 81، 130، 139، 145، 146، 149، 150، 152، 153، 160.

بايلك وهران: ص138، 139، 145.

بجاية: ص 25، 26، 27، 28، 30، 34، 35، 83، 109، 110، 120، 122، 103، 105، 106، 108، 131، 147.

البحر الأبيض المتوسط: ص 48، 61، 33، 105.

بحر الشمال: ص 53.

برج بوعريرج: ص 89، 109، 105.

بروزة (معركة): ص 55.

بريفيزا: ص 61، 62.

بسكرة: ص 83، 112.

برشك: ص 29.

بلاد القبائل الكبرى والصغرى: ص 86.

بلاد المغرب: ص 29، 32، 33.

البنيون (حصن)، ص 36.

البويرة: ص 109، 110، 120، 105.

بوسعادة: ص146، 152.

– ت –

تازة: ص 24.

تافيلالت: ص 20.

تاوريرت: ص 24.

تبسة: ص 83، 137، 147.

تدلس: ص 119، 105.

تلمسان: ص 54، 19، 21، 24، 25، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 82، 112، 118، 147، 157، 158، 159.

تمبكر الأول (حصن): ص 26.

تمزيزدكت: ص 27.

تهل (وادي): ص 26.

توقرت: ص 113، 163.

تونس: ص 27، 28، 29، 30، 31، 35، 57، 60، 62، 19، 118، 120، 121، 106، 143، 160، 161.

تيزي وزو: ص 109، 110، 113، 105.

– ث –

ثامذة: ص 113.

ثاورقة: ص 113.

ثنية بني عائشة: ص 89.

ثيمزار: ص 113.

– ج –

جرجرة: ص 107، 116، 120، 101، 103، 106.

الجزائر: ص 48، 51، 52، 53، 54، 55، 56، 57، 58، 59، 60، 61، 62، 63، 66، 67، 79، 83، 84، 87، 88، 89، 90، 93، 106، 107، 108، 110، 112، 129، 132، 134، 136، 138، 150، 158.

جيجل: ص 35، 60، 83، 115، 122، 124، 133، 134، 147.

- ح -

الحامة: ص 107.

حلق الوادي (جزيرة): ص 35.

الحوض الغربي للبحر المتوسط: ص 48، 52، 61، 34.

دار السلطان: ص 79، 80، 83، 94، 98، 128، 129، 138، 145، 147.

- ذ -

ذراع بن خدة: ص 113.

- ر -

راشد (جبل): ص 20.

ريغ (وادي): ص 68.

الريف: ص54.

- ز -

الزاب: ص 20.

الزواوة (منطقة): ص 104، 105، 108، 109، 115.

الزيتون (وادي): ص 77.

– س –

سجلماسة: ص 20، 28.

سطيف: ص 80.

سكيكدة: ص 102.

– ش –

شرشال: ص 36، 54، 29.

الشرق الجزائري: ص 96.

شمال أفريقيا: ص 39، 47، 53.

شمال أوروبا: ص 59.

– ص –

صحراء المغرب الأوسط: ص 20.

– ظ –

الظهرة: ص 81.

- ع -

بني عباس (منطقة): ص 105، 106، 107، 111.

عمراوةالتحاتة: ص 104، 112، 113.

عمراوةالفواقة: ص 112، 113.

عنابة: ص 26، 83.

- غ -

غرناطة: ص 31، 47.

- ف -

فرجيوة: ص 78.

فرنسا: ص 59، 60، 62، 63، 70.

فيجيج: ص 20.

- ق -

قسنطينة: ص 54، 26، 27، 80، 83، 110، 112، 121، 137، 149.

القصب (واد): ص 30.

القيروان: ص 29.

– ك –

كوكو (إمارة): ص 105، 106، 107، 108.

– م –

متيجة: ص 26.

المحيط الأطلسي: ص 53.

المدية: ص 29، 31، 162، 155.

المرسى الكبير: ص 55، 33، 34، 40.

المغرب الأقصى: ص 24، 31، 37.

المغرب الإسلامي: ص 74.

المغرب الأوسط: ص 19، 20، 25، 30، 31، 32، 37.

المنصورة الجديدة: ص 28.

ملوية (واد): ص 19، 20.

– ن –

نافارين (منطقة): ص 63، 66.

– هـ –

الهضاب العليا: ص 86.

هولندا: ص 60.

- و -

ورقلة: ص 113.

الولايات المتحدة الأمريكية: ص 53.

الونشريس (منطقة): ص25.

- ي -

يسّر (وادي): ص 104، 105.

اليونان: ص 53.

فهرس الجماعات والقبائل والفرق العسكرية:

– أ –

الأتراك: ص 36، 37، 47، 66، 67، 68، 70، 71، 85، 87، 92، 76، 106، 107، 112، 114، 121، 122، 126، 132، 134، 124، 167.

الإسبان: ص 31، 34، 35، 36، 37، 40.

الأسرى المسيحيين: ص45.

الأعلاج: ص 49، 50، 64.

الأغوات: ص 46، 57، 58، 97، 141.

الأندلسيين: ص 47، 49.

إنكشارية: ص

الأهالي: ص 55، 60، 66، 67، 73، 74، 86، 88، 91، 92، 94، 98، 101، 115، 121، 141، 145، 151، 160، 164، 168، 172.

الأوروبيون: ص 43، 53، 58، 59.

– ب –

الباشوات: ص 69.

البايات: ص71، 86، 89، 92، 134، 151، 153، 154، 155، 156، 159، 161.

البحارة الجزائريين: ص 39، 48، 49، 50، 53، 60، 61، 112.

البدو: ص 70، 86.

البرانس: ص 102.

– ت –

بنو توجين: ص 21، 22.

– ج –

الأجناد (فرقة عسكرية): ص 23.

جند الكفر: ص 22.

الجند النظاميين: ص 97.

الجند غير النظاميين: ص 97.

جنود القبائل: ص 21.

الجنود المرتزقة: ص 22.

الجنويين: ص 35.

الجيش الإنكشاري: ص 39، 40، 47، 54، 55، 56، 63، 66، 67، 69، 70، 71، 98.

الجيش الحفصي: ص 27.

الجيش الزياني: ص 20، 21، 22.

الجيش المرتزق: ص 68، 98.

الجيش المريني: ص 25.

- ح -

الحرفيين: ص65.

الحماة (فرقة عسكرية): 23.

بني حميدان: ص 81.

- خ -

الخماسين: ص 93.

الخوجات: ص 97.

- د -

الدايات: ص 52، 57، 60، 64، 70، 92، 95، 142، 159.

الدوايز: ص82، 83، 92، 95، 128، 155.

- ر -

بني راشد: ص 20، 21، 35، 54.

الرعية: ص 40، 78، 79، 86، 87، 91، 92، 94، 95، 97.

رياس البحر: ص 19، 39، 53، 54، 55، 58، 59، 61، 63، 65.

- ز -

الزعماء المحليين: ص 98.

زناتة: ص 19، 28.

– س –

سكان الأرياف: ص 85، 91، 134، 149، 126.

بني سليم: ص 29.

– ش –

الشرطة المحلية: ص 95.

شيوخ القبائل: ص 87

– ص –

آث صدفه: ص 103.

– ض –

الضباط: ص 45، 46.

– ع –

بني عباس: ص 32.

العبيد: ص 22، 23، 24، 68، 77، 92، 95، 110، 113، 114، 155.

العرب: ص 101، 130.

- غ -

الغرازلة: ص 77.

- ف -

الفرسان: ص 95، 97.

الفلاحين: ص 96.

- ق -

قبائل أمازيغية: ص 21.

قبائل أولاد أم هاني: ص 79.

قبائل أولاد بودرهم: ص79.

قبائل أولاد سيدي أحمد: ص79، 82.

قبائل أولاد سيدي الشيخ: ص 90.

قبائل أولاد ضياء: ص 79.

قبائل الحراكتة: ص79، 81، 130، 149، 151، 153، 154.

قبائل الحشم: ص 79، 143، 148، 160.

قبائل الدوابر: ص 83، 92، 95، 155.

قبائل الرعية: ص 78، 79، 86، 92، 94، 97، 136، 137، 138، 140، 139، 141، 142، 143، 144.

قبائل الزمالة: ص 83.

قبائل الزواوة: ص 112، 113، 114، 101، 102.

قبائل الظهرة: ص 81، 89.

قبائل بني عامر: ص 90، 170.

القبائل العربية: ص 21، 23، 27.

قبائل عريب: ص 93.

قبائل كريشتل: ص 90.

القبائل المتحالفة: ص 98، 161.

قبائل المخزن: ص 77، 78، 79، 80، 81، 82، 83، 84، 85، 86، 87، 88، 89، 90، 91، 92، 93، 94، 95، 96، 97، 98.

القبائل المستقلة: ص 157، 158، 162، 172.

القوات البحرية: ص 60.

- م -

متطوعين: ص 39، 40، 41، 42، 43، 72.

محلة: ص 54، 78، 88، 93.

آثمنقلات: ص 117، 101، 102.

الموريسكيين: ص 61.

الميليشا التركية: ص 44.

– ن –

– هـ –

هاشم: ص 82، 89.

– و –

بني عبد الواد: ص 19، 20، 21، 22، 23، 25، 29، 32.

– ي –

آث يتسورغ: ص 101.

آث يراثن: ص 101.

آث يليلتن: ص101.

فهرس المصطلحات العسكرية:

أوجاق: عددها بالجزائر 424 وجاقاً، وهي فرقة مكونة من عدد من الجنود.

أوضا باشي: رتبة عسكرية في الجيش العثماني، كانت معروفة قبل إلغاء الإنكشارية، يترأس حاملها مجموعة من جنود الإنكشارية يستقرون في أوضه–غرفة– وللأوضة باشي لباس مميز.

ايسكييولداش: الجندي القديم.

آغا الانكشارية:القائد الأعلى لقوات الانكشارية.

بولكباشي: قائد فرقة من الجنود.

اليولداش: الجندي ومعناها الصديق والرفيق.

يني يولداش: الجندي الجديد.

المحلة: هي جيش يضم الجنود النظاميين وغير النظاميين تعمل على توطيد الأمن وجباية الضرائب.

قائد المرسى: ضابط سام في البحرية يتكلف بمهام التفتيش ومراقبة الميناء.

القبودانباشا:قائد الأسطول العثماني، وتقلد حكام الجزائر في فترة البيلربايات هذا المنصب الرفيع.

فهرس الموضوعات

مقدمة.

الفصل الأول: الأوضاع العسكرية في الجزائر مطلع القرن 16م وأسباب تشكل الفرق الأهلية ص 02- 64.

المبحث الأول:الأوضاع العسكرية في المغرب الأوسط قبل القرن 16م. ص19.

المطلب الاول: الوضع العسكري للجيش في عهد الدولة الزيانية. ص 02.

اولا: تركيبة الجيش الزياني. ص 04.

ثانيا: العطاءات والرواتب. ص06.

المطلب الثاني: دور الجيش والفرق العسكرية الزيانية في التوسع. ص07.

المطلب الثالث: التحرشات الاسبانية على المغرب الأوسط. ص 17.

أولا:الاحتلال الاسباني للشواطئ الجزائرية. ص 18.

ثانيا:ظهور الإخوة بربروسا في شمال أفريقيا. ص 19.

المبحث الثاني:الأوضاع العسكرية في الجزائر بعد ظهور الأتراك. ص24.

المطلب الأول: ظهور الإنكشارية ووضعها بالجزائر(الجيش البري). ص 24.

أولا: عملية التجنيد. ص 26.

ثانيا: عدد الجيش وتنظيمه في الثكنات. ص 29.

المطلب الثاني:البحرية الجزائرية. ص 33.

أولا: أسباب قوة البحرية الجزائرية. ص 35.

ثانيا: السياسة الإستراتيجية للبحرية الجزائرية. ص 37.

المطلب الثالث: دور الانكشارية ورياس البحر في بناء الدولة. ص 41.

أولا: أدوار الجيش الانكشاري في بعث الاستقرار. ص 41.

ثانيا: دور رياس البحر في استقرار الجزائر. ص 46.

ثالثا: علاقة الجيش الانكشاري برياس البحر. ص 52.

المبحث الثالث:أسباب ظهور التنظيمات العسكرية الأهلية في الجزائر إبان العهد العثماني. ص 56.

المطلب الأول: الامتداد الجغرافي للأيالة. ص 56.

المطلب الثاني: ضعف الجيش الانكشاري. ص 58.

الفصل الثاني: تشكيلة قبائل المخزن. ص65- 93.

المبحث الأول:التعريف بقبائل المخزن.ص66 .

المطلب الأول : قبائل المخزن أصولها وخلفياتها. ص 66.

المطلب الثاني: القبائل والأعراش المخزنية بدار السلطان. ص 69.

المطلب الثالث: القبائل والأعراش المخزنية بباليك التيطري. ص 71.

المطلب الرابع: القبائل والأعراش المخزنيةبباليك الشرق. ص 71.

المطلب الخامس: القبائل والأعراش المخزنيةبباليك الغرب. ص 73.

المطلب السادس:أماكن تواجد قبائل المخزن. ص 75.

المبحث الثاني:علاقة قبائل المخزن مع السلطة والمجتمع. ص 77.

المطلب الأول:علاقة قبائل المخزن بسلطة البايلك. ص 77.

المطلب الثاني:علاقة قبائل المخزن بالمجتمع الريفي. ص 80.

المبحث الثالث:دور قبائل المخزن الإداري والعسكري والاقتصادي. ص85 .

المطلبالأول:دور قبائل المخزن في الميدان الإداري. ص 85.

المطلب الثاني:دور قبائل المخزن في المجال العسكري. ص 88.

المطلب الثالث :دور قبائل المخزن في المجال الاقتصادي. ص 91.

الفصل الثالث: تنظيم فرقة الزواوة. ص 94- 121.

المبحث الأول:التعريف بفرقة الزواوة. ص95.

المطلب الأول: أصل قبائل الزواوة ونسبها. ص 96.

المطلب الثاني: أهم فرق الزواوة. ص 97.

المطلب الثالث: المجال الجغرافي لفرق الزواوة. ص 99.

المبحث الثاني:علاقة الزواوة مع السلطة. ص101.

المبحث الثالث:دور فرق الزواوة في مختلف المجالات. ص 107.

المطلب الأول: فرق الزواوة عسكرياً. ص 107.

المطلب الثاني: دورها في المجال الاقتصادي. ص 115.

المطلب الثالث: دورها في المجال الإداري. ص 118.

الفصل الرابع: تشكيلات عسكرية أهلية أخرى. ص 122- 163.

المبحث الأول:القبائل المتحالفة مع السلطة ص 123.

المطلب الأول: أهم المجموعات المتحالفة وأماكن تواجدها. ص 124.

المطلب الثاني: علاقة القبائل المتحالفة مع السلطة. ص 126.

المطلب الثالث: دور القبائل المتحالفة في مختلف المجالات. ص 129.

المبحث الثاني:قبائل الرعية الخاضعة للسلطة.ص133.

المطلب الأول: أهم مجموعات الرعية ومجالها الجغرافي. ص 134.

المطلب الثاني: العلاقة بين قبائل الرعية والسلطة. ص 137.

المطلب الثالث: مساهمة قبائل الرعية فلاحياً. ص 141.

المبحث الثالث :القبائل المستقلة عن السلطة (الممتنعة). ص 144.

المطلب الأول: أهم المجموعات الممتنعة وأماكن تواجدها. ص 144.

المطلب الثاني: علاقة القبائل الممتنعة بالسلطة. ص 147.

الخاتمة. ص164.

الملاحق. ص 170.

قائمة المصادر والمراجع. ص184.

الفهارس . ص200

التشكيلات العسكرية الأهلية في الجزائر خلال العهد العثماني 1518م– 1830م.

أدى ضعف الجيش الإنكشاري في الجزائر أثناء الحكم التركي، وعدم تمكنه من بسط نفوذه على المناطق الريفية والجبلية، إلى اعتماد السلطة على تشكيلات عسكرية مكونة من الأهالي. إذاً ما هي هذه الفرق؟. وفيما تمثل دورها آنذاك؟.

برزت قبائل المخزن كأهم تشكيلة، ساهمت في استخلاص الضرائب من سكان الريف، وشن الحملات الردعية على القبائل المتمردة. مما وتر العلاقة بينها وبين هذه الأخيرة، على خلاف السلطة فقد كانت علاقتها بها يسودها التحالف طيلة الحكم التركي.

وقد انقسمت القبائل إلى أصناف ثلاث، فهناك صنف خاضع للسلطة والمسمى بالرعية والذي وقع على عاتقه مختلف أنواع الضرائب. وصنف مستقل وممتنع عن السلطة يقطن المناطق الجبلية والذي كانت سبباً في تأخير تقدم الأتراك نحو المناطق الريفية. وفئة ثالثة متعاونة ومتحالفة مع الأتراك وقد حظيت هذه الأخيرة بالدعم والمساندة ومنحت بعض الامتيازات كتوارث الحكم والمشيخة. وتميزت بعلاقتها الحسنة مع الأتراك.

إضافة إلى قبائل المخزن لعبت فرق الزواوة دوراً أساسياً في تثبيت الحكم التركي بمنطقة القبائل ووصل الأمر إلى تجنيد بعض أفرادها في الجيش النظامي.

وفي الأخير فقد ساهمت الفرق المحلية المشكلة من الأهالي في ربط الريف بالسلطة في البايلك ودار السلطان وتمثيلها في البوادي البعيدة واستتباب الأمن فيها.

Résumé:

Les Groupes militaires indigènes en Algérie a l'époque ottoman en 1518 m– 1830.

Au cours de la domination turque en Algérie l'autorité politique a adopte les tribes des zones rurales et montagneuses a traves les troupes militaires indigènes le Makhzens lui-même tirent les taxes et sanctions les tribes rebelles. Alors, quelles sont ces équipes? Le rôle représente le temps?

Tribus ont émergé comme la programmation du magasin principal, a contribué pour extraire des taxes de la population rurale et campagnes sanctions des tribus rebelles. Relations tendues entre eux et ce dernier, contrairement à la puissance a été dominée par ses relations avec l'Alliance au cours de la domination turque

Les tribus ont été divisés en trois classes, il ya une catégorie soumise à l'autorité, appelée la paroisse, qui l'a signé sur lui de différents types d'impôts. La classe des indépendants et l'abstention de trouve le pouvoir et qui a été la cause de l'état d'avancement de retard vers Turcs zones montagneuses rurales. Et une troisième catégorie coopérative alliés avec les Turcs et ce dernier a reçu le soutien et l'aide accordés certains privilèges de gouvernance comme hériter chefferies. Et caractérisé par de bonnes relations avec les Turcs.

En plus des équipes des tribus de magasins joué un rôle clé dans la stabilisation de la domination turque la région tribale et vint à recruter certains de ses membres dans l'armée régulière.

Enfin, les équipes locales composée des parents ont contribué de lier la puissance en albailk rural et Dar Al Sultan et représentation dans les campagnes éloignées et sa sécurité